اختصار

شرح المنة في اعتقاد أهل السنة

للشيخ الدكتور/ ياسر برهامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه ، اللهم صلِّ وسَلِّم وبارك عليه ،{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** } (آل عمران : ١٠٢) ،{ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** } (النساء : ١) ، { **يَــا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** } (الأحزاب ٧٠-٧١)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وإن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

لمَّا كان الإيمان بالعقيدة الصحيحة والدعوة إليها هو أهم الأمور وآكد الواجبات ، لأنها الأساس الذى تبنى عليه صحة الأعمال وقبولها ،كان اهتمام الرسل صلوات الله وسلامه عليهم واتباعهم بإصلاح العقيدة أولاً عما يناقضها ، فكانت دعوة الأنبياء جميعا كما قال تعالى { **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** } ولقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر سنة يدعو إلى التوحيد ولمَّا فتح الله عليه مكة كان أول ما بدأ به هدم الأصنام والأمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له

وقد اهتم علماء هذه الأمة بالعقيدة الصحيحة قدراً كبيراً من جهودهم وتعليمهم وتأليفهم حتى شغلت كتب العقيدة حيزاً كبيراً من المكتبة الإسلامية وصار لها الصدارة بين محتوياتها وهذا دليل على اهتمامهم بهذا العلم .

وها نحن مع أحد هذه الكتب القيمة كتاب (المنة شرح اعتقاد أهل السنة) للدكتور ياسر برهامي حفظه الله ، الذي لقيَّ كتابه قبولاً بين الإخوة ، ولقد وجدت إخواني أثناء دراسة هذا الكتاب يحتاجون إلى تلخيص له لكى يسهل عليهم دراسته ، فأحببت أن أختصر الجزء الأول من الكتاب الخاص بالتوحيد تسهيلاً على إخواني ، ولا يمكن الاستغناء عن الأصل .

وقد تمَّ العمل في هذا المختصر على النحو الآتي :

١ . اختصار شرح الكتاب بلا إخلال لفوائده .

٢. الاقتصار على مثال واحد عند ذكر الأمثلة ، وحذف الجمل المكررة على قدر المستطاع ، مع إضافة فوائد يسيرة هى فى الأغلب من كلام الشيخ حفظه الله تعالى فى مواضع أخرى .

٣ . ترتيب بعض جمل الكتاب ، خاصة في باب الإيمان باليوم الآخروقد تم ترتيب مسائله.

٤ . وضع عناوين وعناصر لتسهيل دراسته وفهمه .

وجزى الله كل من شارك في اتمام هذا المختصر ، وخاصةً شيخي الحبيب محمد الشريف حفظه الله الذى قام بمراجعة هذا المختصر وقد ساعدني بتوجيهاته وإرشاداته فجزاه الله خيرا .

ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به اخواني ، فإن كان من صواب فهو من الله وإن من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه براء .

وصلي اللهم وسلم على عبده ونبيه – سيدنا محمد – وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

الباب الأول:- التوحيد وأصول الإيمان

- **الفصل الأول:-** الإيمان بالأسماء والصفات.
- **الفصل الثاني:-** توحيد الربوبية.
- **الفصل الثالث :-** توحيد الألوهية.
- **الفصل الرابع:-** الحكم بما أنزل الله.
- **الفصل الخامس:-** الولاء والبراء.

الباب الثاني:- الإيمان بالملائكة. **الباب الثالث** :- الإيمان بالكتب.

الباب الرابع:- الإيمان بالرسل **الباب الخامس** :- الإيمان باليوم الآخر.

الباب السادس:-الإيمان بالقدر. **الباب السابع :-** قضايا الإيمان الكفر.

الباب الثامن :- العقيدة في الصحابة.

الباب الأول:- التوحيد وأصول الإيمان

الفصل الأول:- الإيمان بالأسماء والصفات

أهمية الإيمان بالأسماء والصفات :-

أولا:- معرفة الله أصل الدين وركن التوحيد وأول الواجبات:فإن الرسل بُعثوا لكي يعرف الناس ربهم وركن التوحيد الأساسي هو معرفة الله ﷻ،قال النبي ﷺ لمعاذ ﵁ لما أرسله إلى أهل اليمن : « **إنك تقدم على أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم......** » الحديث دل على أن من لم يوحد الله لم يعرف الله ، فالواجب على الإنسان أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته .

ثانياً :- أيات الصفات لها فضل خاص:-

كما في صحيح مسلم أن أعظم آية في كتاب الله آية الكرسي،كما في حديث أبي بن كعب ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:« **يا أبا المنذر،أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟** »، قلت الله ورسوله أعلم، قال : « **يا أبا المنذر،أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟** » ، قال: قلت :اللهُ لاَإِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، قال: فضرب في صدري وقال: « **والله لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر**» ،فهنَّأه النبي ﷺ علي العلم لأنه عَلِم أن أعظم آية في كتاب الله آية الكرسي وكل هذه الآية أسماء وصفات.

ثالثاَ: إن حب الآيات والسور المتضمنة للأسماء والصفات سبب لدخول الجنة:-

كما في صحيح البخاري **عن عائشة أن رسول الله**ﷺ **بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم ب ﴿ قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾** [الإخلاص] ، **فلما رجعوا ذُكِرَ ذلك لرسول الله** ﷺ**،فقال: « سَلُوهُ لأي شيء يصنع ذلك »، فسألوه فقال:** « **لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها** » ، **فقال رسول الله** ﷺ **:** « **أخبروه أن الله يحبه** ».

فكان حبهُ ل ﴿ **قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ** ﴾ من أسباب حب الله ﷻ له وكلها أسماء وصفات .

رابعاً: **أمرنا الله ﷻ بدعائه بأسمائه وصفاته**، فقال ﷻ ﴿ **وَلِلَّهِ الأسمَآءُ الحُسنَى فادعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلحِدُونَ فِي أسمَآئِهِ سَيُجزَونَ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ** ﴾ [الأعراف١٨٠].

قال النبي ﷺ : « **إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنَّة** » ، ومعنى أحصاها : حفظها وأطاقها وتعبد لله ﷻ بها ويدعوه بها وبشهود آثار هذا الاسم في الوجود واستحضار عظمة الله ﷻ في القلب مثل : إذا علمت أن الله هو الرزاق، طلبت منه الرزق وحده ولم تخف أن يمنعك أحد رزق الله تعالى ولم تطلب الرزق بالحرام وإنما تطلبه بما أحله الله .

التعبد بأسماء الله وصفاته على مرتبتين:

١. شهود آثار الأسماء والصفات.

٢. أن يعامل كل اسم بمقتضاه من أفعال الإنسان نفسه وسيأتي بيانه إن شاء الله.

خامساً: الفرق بين المسلمين واليهود والنصارى هو في الأسماء والصفات:

اليهود: وصفوا الله بصفات النقص منها الفقر فقد قال ﷻ عنهم : ﴿ **لَّقَد سَمِعَ اللَّهُ قَولَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِير وَنَحنُ أَغنِيَآءُ** ﴾ [آل عمران: ١٨١] ،وقال ﷻ :

﴿ **وَلَقَد خَلَقنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴾[ق: ٣٨] قال هذا ﷻ للرد على اليهود عندما قالوا أن الله تعب من خلق السموات والأرض واستراح في اليوم السابع ووصفوه بغل اليدين في قوله ﷻ: ﴿ **وَقَالَتِ ٱليَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغلُولَةٌ غُلَّت أَيدِيهِم وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَل يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيفَ يَشَآءُ** ﴾ [المائدة] .وغير ذلك مما ينسبونه إلى لله ﷻ ، كما ينسبون له العجز والجهل والمرض.

والفرق بيننا وبين النصارى في الأسماء والصفات اذ نسبوا إليه الصاحبة والولد ،قال ﷻ ﴿**وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ الرَّحمَٰنُ وَلَدًا ۞ لَّقَد جِئتُم شَيئًا إِدًّا۞ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرنَ مِنهُ**

وَتَنشَقُّ ٱلأَرضُ وَتَخِرُّ ٱلجِبَالُ هَدًّا۝ أن دَعَواْ لِلرَّحمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم:٩١-٨٨]، لمجرد أن يوجد من يدعو للرحمن ولداً يكاد الكون أن ينشق فَرَقَاً من الله تعالى ، ونسبوا إليه الموت والبكاء وسائر صفات المخلوقين حين قالوا « المسيح ابن الله »،ويعتقدون أن المسيح هو الله أو أنه ابن الله أو أنه ثالث ثلاثة.

أما أهل السنة : يصفون الله بصفات الكمال وينزهونه عن صفات النقص .

سادساً: من أهمية الإيمان بالأسماء والصفات، أن ظن الجاهلية في صفات الله مهلك ،قال ﷻ في من شك في صفة السمع والعلم لله تعالى : ﴿ **وَلَكِن ظَنَنتُم أنَّ ٱللَّهَ لاَ يَعلَمُ كَثِيرًا مِّمَّاتَعمَلُونَ۝ وَذَلِكُم ظَنُّكُم ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُم أردىٰكُم فَأَصبَحتُم مِّنَ ٱلخَسِٰرِينَ** ﴾ [فصلت:٢٢-٢٣] ﴿ **أردىٰكُم** ﴾ أي: أهلككم.

سبب نزول الآية: عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: « اجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ،وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا » ،فهؤلاء جعلوا البحث في أسماء الله وصفاته مسامرة فأنزل الله في هلاكهم هذه الآية.

العقيدة الصحيحة:هي عقيدة السلف

عقيدة السلف : « نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ».

قال« **نؤمن** » لأن هذه الكلمة أعظم بكثيرمن « **نصف** » لأن كلمة « **نؤمن** » تشمل القول والعمل، لأن الإيمان قول وعمل فهي تشمل التعبد لله بمقتضى ذلك، وكلمة «**كل** » فيها إثبات كل الصفات وهذا رد على من أثبت بعض الصفات.

وكلمة « **نصف** » : أشمل من كلمة « **أثبت** » لأن الوصف يشمل الإثبات والنفي فنحن نثبت ما أثبته الله لنفسه وننفي عنه ما نفاه عن نفسه ونثبت ما أثبته الرسول ﷺ وننفي ما نفاه الرسول ﷺ.

« **نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ**»**:** نستفيد منها أن مصدر التلقي عند أهل السنة هو الكتاب والسنة الصحيحة « الأدلة السمعية » ومصدر التلقي عند أهل البدع العقول والسمع عندهم تابع للعقل ، لأن العقل عند المبتدعة دلالته دلالة قطعية أما نصوص الكتاب والسنة دلالتهما دلالة ظنية ، فيقدمون العقل على النقل عند التعارض وهذا باطل ، أما أهل السنة عند التعارض يقدمون النقل على العقل.

مثلاً : منهج التلقي عند أهل البدع من الأشاعرة وغيرهم يختلف عن منهج أهل السنة في التلقي ،الأشاعرة أثبتوا سبع صفات ثبوتية فقط ،ولكن ما الدليل على إثبات سبعة فقط دون باقي الصفات ؟ ألا وهو العقل ،قالوا أن ما أثبته العقل نثبته وما نفاه العقل ننفيه ، فالأصل عندهم في الإثبات والنفي هو العقل، والشرع تابع للعقل ، لكن منهج التلقي عند أهل السنة هو الشرع أما العقل فتابع ، فيجب إثبات جميع الصفات بما هو وارد في الكتاب والسنة .

وليس هناك فرق بين بعض الصفات وبعضها وليست صفات الله مقتصرة على سبع كما يعتقد الأشاعرة ، بل كل ما ورد في الكتاب والسنة يجب الإيمان به، ومن ذلك الحياة ،السمع ، البصر والقدرة ،الإرادة ،العلم ،الكلام ،الرحمة ،المحبة ، والرضا، فالله يحب عباده المؤمنين، يحب المتقين ويرضى عن المؤمنين.

ـ صفة السخط على الكافرين قال ﷻ ﴿ **أن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيهِم وَفِي ٱلعَذَابِ هُم خَٰلِدُونَ**﴾ [المائدة :٨٠] ،فالله يَسْخَط على الكافرين .

ـ صفة الفرح ،قال ﷺ « **لَلّهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أحَدِكُمْ سَقط عَلَى بَعِيرِهِ وَقدْ أضَلَّهُ فِي أرْضِ فَلاَةٍ**» .

- الضحك لرجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة كما قالﷺ « **يَضْحَكُ اللهُ لِرَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قالُوا كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ يُقْتَلُ هَذَا فَيَلِجُ الجَنَّةَ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الآخَرِ فَيَهْدِيهِ إِلَى الإِسْلاَمِ ثُمَّ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُسْتَشْهَدُ** » .

- صفة اليدين قال ﷻ ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ** ﴾ [المائدة :٦٤].

- وصفة القدم قال رسول الله ﷺ « **لاَتَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍحَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبّ العِزَّةِ تَبَارَكَ وتَعَالَى قَدَمَهُ فَتَقُولُ قطْ قطْ وَعِزَّتِكَ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ** »

كل ذلك على ما يليق بعظمة الله ﷻ ولا نقول إنها تشبه صفات المخلوقين كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

التعطيل

قال شيخ الإسلام في تعريفه « **من غير تعطيل** ».

التعطيل هو : « نفي المعنى الحق الذي دلت عليه الصفة ».

درجات التعطيل :

١. تعطيل الباطنية : نُفاة النقيضين وهم في عقيدتهم جمعوا بين المتناقضات قالوا : إن الله لا سميع ولا ليس بسميع ، ولا حى ولا ليس بحى وهم غلاة الشيعة من القرامطة .

٢. تعطيل الفلاسفة : أشهرهم ابن سينا والفارابي ، وهم أثبتوا الوجود المطلق لله بلا تقييدات ،وجود بلا ذات ، ولا اسم ، ولا صفة ولا فعل .

٣ تعطيل الإتحادية من الصوفية :

كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض، و معتقدهم أنهم يقولون الوجود كله شيء واحد وهو ذات واحد ظهر- أي الخالق - في صور متعددة ، و الحلولية يقولون أن الله في كل مكان ، وأنه يحل في كل المخلوقات وأنه سارٍ فيهم كسريان الملح في الماء والسمن في اللبن ، وهو أصل قول جهم لا يثبت صفة ولا فعل لله ويقول : سارٍ حالاً في

الوجود ، كل شيء في الوجود الله ، وهؤلاء كفار بلا نزاع . لذلك الإتحادية كانوا أشد منهم كفراً ،لا يقولون بذات حلت في الأخرى كالملح في الماء يحل فيه ، بل يقولون إنها شيء واحد وينكرون على الحلولية قولهم ، ومن مقالتهم الكفرية كما في أوراد الطائفة الشاذلية « اللهم انشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة ».

قولهم « عين بحر الوحدة » هذا هو الإتحاد وأن يكون الكون كله شيئاً واحداً ولا يوجد تعدد عندهم ، والتلمساني يقول « وما الكلب والخنزير إلا إله » .وهذا خروج من الملة باجماع أهل الإسلام ، لذلك كان السلف يقولون : « **إن الله مستوٍ على عرشه بائن من خلقه** » ، أي منفصل عن الخلق.

وهناك تنبيه : بعض جهلة المسلمين يحفظون أن الله تعالى في كل مكان أو وجود ، لكن لو قلت له : هل الله موجود - تعالى وتنزه - في الكلب والخنزير؟ يقول : « أعوذ بالله » فهذا جاهل أم اعتقاد الصوفية يصرحون بهذا الكلام .

٤. **تعطيل الجهمية الأوائل النفاة لصريح الكتاب والسنة :** لا يثبتون اسماً ولا صفة ولا فعلاً لله تعالى وناشرعقيدتهم الجهم ابن صفوان وهو تلميذ الجعد ابن درهم ، والجعد هو أول من أظهر هذا الإعتقاد وقال : « إن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يستوي على العرش ». فال ذلك صراحة باللفظ ، فكفره أهل زمانه من التابعين ،وقتله خالد ابن عبد الله القسري وهو أحد - ولاة بني أمية - و ذبحه يوم الأضحى ونزل عن منبره فذبحه في أصل المنبر .

٥**. تعطيل المعتزلة** : أخذوا معتقدهم عن الجهمية ولكن صاغوه بعبارات أخف ، فأثبتوا ذات الرب وأسماءَه الحسنى ، ونفوا صفاته فقالوا : سميع بلا سمع بصير بلا بصر ، عليم بلا علم وهذا كلام متناقض .

⇐ **الشبهة الأولى عندهم في ذلك :**

قالوا لو أثبتنا لله سمعاً قديماً فقد أثبتنا إلهين ، ولو أثبتنا بصراً لصاروا ثلاثة ألهة ، فيصير عندنا آلهة شتى وهذا ينافي التوحيد فأنكروا صفات الله بهذه الشبهة الباطلة .

الرد : صفات الله تقوم بذات الرب تعالى ، ولا تقوم منفردة مستقلة ، فالانفصال بين الصفة والموصوف أو بين الذات والصفات إنما هو في الذهن فقط وليس في الخارج فليس هناك سمع مستقل ولا بصر مستقل ليكون هناك تعدد .

الشبهة الثانية عند المعتزلة والأشاعرة أيضا في انكار الصفات دعوى التشبيه فقالوا لو أثبتنا الصفات لله تعالى يلزم من ذلك التشبيه بأن تكون صفات الله مشابهة لصفات المخلوقين.

الرد : ما قاله شيخ الإسلام : « الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى فيه حذوه فإذا أثبتنا الذات إثبات وجود لا كيف هكذا الصفات إثبات وجود لا كيف ».

٦. **تعطيل الأشاعرة** : أتباع أبي الحسن الأشعري ، وهو اعتقاد أن لله تعالى سبع صفات أو ثلاث عشر أو عشرين ، دون باقي الصفات ويقولون أن العقل يثبتها ، أصل هذه البدعة أن العقل مصدر التلقي عندهم كما سبق .

فهم يثبتون الأسماء لله تعالى وسبع صفات فقط أو عشرين وينكرون باقي الصفات بدعوى التشبيه ويؤولونها إلى الصفات السبعة مثل اليد يؤولونها بالقدرة والغضب يؤولونه بإرادة الانتقام وصفة الرحمة يؤولونها بإرادة الثواب .

الرد على الأشاعرة قال شيخ الإسلام : « الكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر» كما أثبتنا سمعاً بلا تشبيه هكذا نثبت لله يداً بلا تشبيه .

*** حكم هذه الفرق :**

1. الفرق الخارجة عن الملة من المعطلة (هم الحلولية والإتحادية والباطنية والفلاسفة وغلاة الجهمية الذين ينفون صريح الكتاب والسنة ، كفار نوعاً وعيناً).

2. أما المعتزلة : أقوالهم أقوال كفرية ولكن لا يكفر المعين منهم حتى تقام عليه الحجة لوجود الشبهة عندهم وأيضاً لم يصرحوا بتكذيب صريح القرآن والسنة .

3. الأشاعرة : هم أهل بدع وضلال واقرارهم بالصفات المشهورة المعلومة من الدين بالضرورة في الجملة منع من تكفيرهم .

التحريف

قال شيخ الإسلام في عقيدة السلف : « **من غير تحريف** » :-

* **التحريف نوعان** :-

١ .**التحريف اللفظي :** ومعناه التغيير في لفظ الآية أو الحديث كقول بعض المعتزلة في قوله تعالى { **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا** } [النساء : ١٦٤] ،يقرؤها : « وكَلَّمَ اللهَ مُوسَى تكْلِيماً » ، ليثبت أن الكلام لموسى وليس صفة لله تعالى ، فجعل الكلام من فعل موسى ليهرب من إثبات صفة الكلام لله تعالى ، ولكن كيف يفعل في قول الله تعالى : { **وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ** } [الأعراف : ١٤٣] ، فهي لا تحتمل إلا وجهاً واحداً هو أن الله تعالى هو الذي كلم موسى عليه السلام .

٢ . **التحريف المعنوي** : هو تحريف المعنى بحيث يبقى اللفظ على ما هو عليه ، ولكن يحرف المعنى ، ويدخل في التحريف التأويل المذموم الذي ابتدعه بعض الخلف لشبهات عقلية فاسدة كقول المعتزلة والأشاعرة في قوله تعالى : { **ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ** } [طه : ٥] أي استولى ، فهم يثبتون اللفظ ويحرفون المعنى الحقيقي وهو العلو والارتفاع ، فقالوا الإستواء هو الاستيلاء.

ومثل قولهم في قول النبي ﷺ « **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ كُلَّ ليلة فَيَقُولُ : مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟؟ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟؟ حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْر** » ، فيقولون : ينزل أمر ربنا أو ينزل مَلَك من ملائكة ربنا ، ولا يثبتون نزول الرب سبحانه وتعالى ، ويقولون أن اليد معناها القدرة ونحو ذلك من التحريفات .

فهؤلاء يسمون التحريف تأويل لأن التأويل كلمة مشهورة عندهم ولا يسمونه تحريفاً وذلك لأنهم يقولون أن نصوص الآيات متشابهة تحتاج إلى تأويل . لذلك نقول لايجوز أن نصف الرب إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ ، ولا نحرف لأن التحريف نوع من التعطيل وإن كان دون التصريح بالتعطيل ، فالذي يُحرف يحاول ألا يُكذب صريح القرآن فيؤول وهذا فعل المعتزلة والأشاعرة ، وأصل هذه التأويلات هي تأويلات الجهمية لما فشلت حيلتهم في رد الكتاب والسنة صراحة لجؤوا إلى التأويل .

التأويل

سؤال: لماذا اختار شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفه للصفات « من غير تحريف »، ولم يقل (من غير تأويل) ؟

أولاً : لأن لفظ التحريف هو الذي ورد ذمه في القرآن ،كما قال ﷻ :

{ **يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** } [المائدة : ١٣] وهذا فعل أهل الكتاب ، بخلاف التأويل لأنه يستعمل لغةً وشرعاً بمعنى التفسير .

ثانياً : التحريف كله مذموم أما التأويل فمنه مذموم وهو التحريف ، ومنه محمود وهو التفسير ، وأيضاً التأويل له معاني أُخرى .

*** معاني التأويل الواردة في الشرع :**

١. بمعنى التفسير : كما قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه « **اللهمَّ فقّهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ** » ، التأويل هنا بمعنى التفسير ، فالرسول ﷺ يدعو لابن عباس أن يعلمه الله تعالى تفسير القرآن .

٢. ما يؤول إليه الكلام أي عاقبته وحقيقته التي ينتهي إليها ، وهذا النوع من التأويل إما أن يكون خبراً ، أو يكون أمراً أو نهياً :

أ ـ فالخبركالإخبار بقيام الساعة وأهوالها ونحو ذلك من أهوال القيامة كما في قوله ﷻ : { **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ, ۚ يَومَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبلُ قَد جَآءَت رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ** } [الأعراف :٥٣] ،ومعنى هذا التأويل في الخبر هو وقوع

المخبر به ، فعندما يحدث المُخبر به ويقع يقال هذا تأويل الكلام السابق كما قال تعالى { **يَومَ يَأتِي تَأوِيلُهُ** } أي يوم يأتي تأويل القرآن { **يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبلُ** }، وهم الكفار﴿ **قد جَآءَت رُسُلُ رَبّنَا بِالحَقِّ** ﴾، أي يوم يقع ما أخبر الله ﷻ به في القرآن .

ومثال ذلك ما أخبرنا الله تعالى من الأمور الغيبية ولم نرها مثل في الجنة فاكهة وعسل ، هذه أخبار وتأويل هذه الأخبار من حيث وقت وقوعها وكيفيتها ومعرفة معانيها التفصيلية هذا بالتأكيد مما ادخره الله تعالى لأهل الإيمان ، كما قال رسول الله ﷺ : « **يَقُولُ اللهُ ﷻ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَالاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** »

فتأويل هذه الأخبار الغيبية لا يعلم كيفيتها إلا الله ، أي لا يعلم وقت الساعة إلا الله ، ومن ذلك لا يعلم كيفية صفات الله إلا الله ، وكيفية السمع وكيفية البصر ، فهذه الأمور الغيبية الخبرية لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى أي لا يعلم كيفيتها إلا الله .

ب ـ أما إذا كان الكلام أمراً ونهياً فيكون التأويل فعل المأمور أو ترك المنهي عنه كما قالت عائشة رضي الله عنها : « **كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : « سُبْحَانَكَ اللهمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللهمَّ اغْفِرْ لِي » ، يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ** » أي يفعل ما أُمِرَ به في القرآن ، لأن الله ﷻ قال له: { **فَسَبِح بِحَمدِ رَبِّكَ وَٱستَغفِرهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَاۢ** }. [النصر : ٣]

* <u>نضرب مثال من القرآن يوضح معاني التأويل</u> **:** قول الله ﷻ : ﴿ **وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلاَّ ٱللَّهُۗ وَٱلرَّسِخُونَ فِي ٱلعِلمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّن عِندِ رَبِّنَا** ﴾[آل عمران :٧] .

<u>هذه الآية لها قراءتان :</u>

القراءة الأولى : هي الوقف الازم على لفظ الجلالة : { **وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلاَّ ٱللَّهُ**} ثم نبدأ { **وَٱلرَّسِخُونَ فِي ٱلعِلمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّن عِندِ رَبِّنَا** } . « التأويل » هنا يكون معناه ما يؤول إليه الكلام وحقيقته أي حقيقة الأمور الغيبية لا يعلمها إلا الله ، ولا يصح حملها على التفسير لأن مفهوم ذلك أن الراسخين في العلم لا يعلمون التفسير ، فهل هناك آيات لا يعلم تفسيرها أحد ؟ الجواب : لا لأن الله ﷻ قال**:** { **كتاب أنزَلنَهُ**

إِلَيكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلبَٰبِ } [ص :٢٩]. فنحن مأمورون بتدبر

جميع آيات القرآن لذلك نقول ليس هناك آيات بلا تفسير أو لايُعرف تفسيرها بل كل القرآن يمكن أن يعلمه الناس .

القراءة الثانية : كان يقرأ بها ابن عباس ﷺ كان يقرأ { **وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلعِلمِ** } ، بلا وقف يعني أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله ،فهذا محمول على التأويل بمعنى التفسير ، فلا يصح أن نقول إنها تُحمل على معرفة الأمور الغيبية لأن الراسخين في العلم لا يعلمون وقت قيام الساعة ولا يعلمون كيفية الغيبيات والصفات لأنه لا يعلمها إلا الله ، المقصود بالوقف على الراسخين في العلم التأويل أي التفسير وهو معرفة المعنى دون الكيفية .

٣.هناك معنى ثالث اصطلاحي للتأويل :-

وهو المقصود في هذا الباب « **وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح لدليل يقترن به** »[١] ، فإن كان هذا التأويل بلا دليل فهو المذموم شرعاً كمن يؤول { **ٱستَوَىٰ** } باستولى واليد بالقدرة ، والرحمة بإرادة الخير والثواب .

وقد أجمع السلف على الكف عن هذا التأويل ، ولم يفسروا أحاديث رسول الله ﷺ بهذه التأويلات البعيدة بل قالوا « **أمروها كما جاءت** » ، أي دالة على معانيها اللائقة بالله تعالى والإقرار بجهل كيفيتها.

---

(١) **مثال على التأويل بقرينة ، عند أهل السنة والجماعة** في الحديث القدسي قول الله ﷻ« **عبدي مرضت ولم تعدني** » هذا يؤول بمرض العبد والقرينة في نفس الحديث « **مرض عبدي فلان فلم تعده** » فصرفنا ظاهر الحديث إلى معنى بعيد مرجوح وهو مرض العبد بالقرينة التي في الحديث .

قال شيخ الإسلام : « من غير تكييف ولا تمثيل » :

« **من غير تكييف** » : أي لا نعتقد كيفية معينة لصفات الله ، مع أن لها كيفية لكن هذه الكيفية مجهولة ، فنفي الكيفية هنا ـ الكيف مجهول ـ أي نفي معرفتنا بالكيفية

« **من غير تمثيل** » : أي نعتقد أن الله لا يماثله أحد من خلقه، قال تعالى :

{ **لَيسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ** } [الشورى :١١] .

الفرق بين التكييف والتمثيل :-

١. بينهما عموم وخصوص : التكييف أعم من التمثيل ،فكل ممثل مكيف وليس كل مكيف ممثل ،فالذي شبه الله تعالى بخلقه فقد كيَّف صفات الله ، والتكييف أعم من التمثيل وهو أن تكون له كيفية في ذهن المكيف ليست في شيء من الموجودات ، أما التمثيل نوع خاص وهو أن يمثل صفات الله بصفات المخلوقين .

٢. نفي التكييف مقيد وهو نفي علمنا بالكيف ، نحن لا ننفي الكيفية مطلقاً لصفات الله فهناك كيفية لصفات الله تعالى لكن نحن لا نعلمها ، أما التمثيل فهو نفي مطلق لأنه ليس هناك مثيل لله تعالى ولا لصفاته ، فالتمثيل منفي وجوده مطلقاً .

هل آيات الصفات وأحاديثها من المحكم أم من المتشابه ؟

تعريف المحكم : هو ما لا يحتمل إلا معنى واحد ،أما **المتشابه** : هو ما يحتمل أكثرمن معنى .

قال تعالى : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ﴾ [آل عمران ٧]

الغيبيات كلها من الآيات المتشابهة ومن ضمنها كيفية صفات الله تعالى ، والصفات من المتشابه أي مجهولة الكيفية ولكن معانيها محكمة ومعلومة. أما من قال أن آيات الصفات من المتشابه أي معناها غير معلوم مثل الكلام الأعجمي أو الحروف المرصوصة بلا معنى ، ويقول أن التفسير مجهول لا يعلمه أحد فهذا باطل .

موقف أهل السنة والجماعة في التعامل مع التشابه :-

يردون الآيات المتشابهة إلى الآيات المحكمة فيتسق الكتاب كله[1]

فالمؤمنون حالهم عند الآيات المتشابهة أنهم { **يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا** } [آل عمران :٧] ،ويردون المتشابه إلى المحكم ، ويدركون أن الجزء المجهول بالنسبة لنا - وهو الكيفية - لايستطيع أحد علمه ، فيتسق الكتاب كله ، فنقول { **لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ**} [الشورى : ١١]، هذه آية محكمة ، فنثبت السمع والبصر ولكن بكيفية مجهولة لا نعلمها

موقف أهل الزيغ والضلال :-

يردون المحكم ويتبعون المتشابه من القرآن ابتغاء الفتنة والضلال ، كما ثبت عن ابن عباسؓ قال : « **مافَرَقُ هؤلاء يجدون رِقَّةً عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه** »

التفويض

التفويض له معنيان :-

١ - تفويض المعنى . ٢- تفويض الكيفية .

والتفويض هو :- رد العلم إلى الله وحده .

فهل السلف عندما يفوضون في باب الصفات ويقولون « **أمِرُّوها كما جاءت**» ، هل كانت عندهم بلا معانٍ ؟! وهل كانوا يفوضون المعنى ويُردُّون علم المعنى إلى الله ﷻ ؟!وبالتالي تكون الأسماء والصفات كالحروف المقطعة ملصقة بجانب بعضها البعض

الجواب : لا فليس هذا مقصدهم بل قولهم « **أمِرُّوها كما جاءت** » أي دالة على معانيها دون الخوض في الكيفية .

---

(1) **مثال على المحكم والمتشابه** : قال تعالى عن عيسى { **إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** } هذه الآية من المتشابه ، احتمل أن يكون عيسى هو الكلمة أي هو كن ، ويحتمل أن يكون خلقه بهذه الكلمة وليس هو كن ،نرد هذا المتشابه إلى المحكم وهو قوله تعالى { **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** }، هذه محكمة أي كُون عيسى بكلمة كن . **هكذا الصفات** فالكيفية احتملت التشبيه وعدم التشبيه فنردها إلى المحكم وهو قوله تعالى { **ليس كمثله شيء** }

مثال: كلمة « يسمع » كلمة معلومة ومفهومة لا تحتاج إلى تفسير ولذلك مَنْ قال: « لا كيف ولا معنى » يقصد أنه ليس هناك معان يُعَرَّفُ بها اللفظ ، وهو واضح لا يحتاج إلى تعريف ولا يحتاج أن يسأل عن معناه لأنه واضح بخلاف بعض الأسماء تحتاج إلى تفسير فنفسرها مثل « الصمد » أي الذي يَصْمُد إليه الخلائق في حوائجهم ، أي يقصدونه ،والذي لايأكل ولايشرب .

إذاً فما المتشابه من آيات الصفات وأحاديثها الذي لا يعلمه إلا الله ؟ هو الكيفية ، أما من يقول معانيها مجهولة، أو إنها بلا معانٍ نعرفها ويجعل الصفات كالحروف الأعجمية فقد أخطأ ، بل قد أتى ببدعة ضلالة .

- **التفويض الواجب عند السلف** :- هو تفويض الكيف لا تفويض المعنى .

- **أما التفويض عند أهل البدع** :- فوضوا المعنى والكيف معاً ، فقد جمعوا بين التعطيل والجهل بعقيدة السلف والكذب عليهم .

البعض من المتأخرين يظن أن السلف مفوضة ،أي يفوضون المعنى ، وهذا كلام باطل لا يجوز.

أنواع الصفات

١. صفات ذات . ٢. صفات أفعال .

باستقراء أدلة الكتاب والسنة قسم العلماء الصفات إلى صفات ذات وصفات أفعال .

الصفات الذاتية : هي الصفات القائمة بذات الرب تعالى ، وهي غير متعلقة بالمشيئة ، لأن كمال الصفات الذاتية لا تتعلق بالمشيئة ، مثل صفة الحياة ، فالله حي ، ولا نقول أبداً: الله حي إذا شاء وإذا شاء مات – نعوذ بالله – لأن صفة الحياة كمالها أن لا تتعلق بالمشيئة ، وكذلك صفة القدرة ، لانقول : الله قدير إذا شاء ويعجز إذا شاء ، فهذه الصفات لا تنفك عن ذات الله ،مثل السمع ، البصر ، القدرة ، الوجه واليدين

الصفات الفعلية : هي الصفات المتعلقة بالمشيئة ، مثل: ما ثبت من أن الله تعالى يرحم من يشاء ويعذب من يشاء، ويرضى عن من يشاء ، ويغضب عن من يشاء ، فأفعال الرب هي التي تتعلق بالمشيئة والإرادة ، يتصف بها إذا شاء ، أما الصفات الذاتية فلا تتعلق بالمشيئة ، فالصفات

الفعلية هي صفات قديمة النوع حادثة الأفراد ، فهي قديمة النوع أي يتصف بها في الأزل ، وحادثة الأفراد يتصف بها باختياره ومشيئته ، مثل الضحك ، الفرح ، الغضب ، السخط والكلام.

الأسماء الحسنى

جاء في الحديث المرفوع أن النبي ﷺ قال: « **إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مِائَةً إلاَّ وَاحِداً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ** » ، متفق على صحته . فهل معنى ذلك أن أسماء الله تسعة وتسعون فقط ؟

الجواب : لا ، بل معناه أن هذه الأسماء التسعة والتسعين من يحصيها ويقوم بحق كل اسم منها ويتعبد لله بمقتضى كل اسم ، ويدعو الله بها مع حفظ هذه الأسماء يدخل الجنة وليس معنى ذلك أنها تسعة وتسعون فقط ، بل هناك أسماء حسنى لله تعالى نحن لا نعلمها ، كما في حديث النبي ﷺ

« **أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلاَءَ حُزْنِي** .... » فهذا دليل على أن هناك أسماء استأثر الله تعالى بعلمها .

هذه الأسماء التسعة وتسعين موجودة في الكتاب والسنة ولكنها غير محددة بعددها في الكتاب والسنة حتى يجتهد الناس في الدعاء بكل الأسماء الموجودة في الكتاب والسنة لكي يكون بذلك قد دعا الله بالتسعة والتسعين اسماً ، مثال ذلك قول النبي ﷺ عن يوم الجمعة « **فِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ الله شَيْئًا إلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ** » ، حتى وإن قلنا هي آخر ساعة بعد العصر ، فنحن لا نعرفها تحديداً، فالذي يمكث من العصر إلى المغرب يوم الجمعة يذكر الله سوف يدرك هذه الساعة ، وكذلك ليلة القدر في العشر الأواخر ، لكن أية ليلة هي تحديداً ؟ فنحن نطلبها في العشر الأواخر بأن نقوم العشر الأواخر كلها حتى ندرك ليلة القدر .

فكذلك لكي ندرك التسعة والتسعين اسماً، وندعو الله بها ، فالسبيل لذلك أن نتعبد بكل ما ورد في الكتاب والسنة . وقد اجتهد بعض العلماء القدامى والمعاصرين في تحديد تسعة وتسعين اسماً لله تعالى ، بما فيها الأخذ برواية الترمذي ، فجَمْعُ هذه الأسماء محاولة من أهل العلم لحصر الأسماء التسعة والتسعين ، والصحيح أنه مجرد اجتهاد ، ونحن نحاول أن نجتهد في كل الأسماء التي وردت ، وندعو الله بها .

اشتقاق الأسماء

هل يصح اشتقاق أسماء لله تعالى مما ورد فيه أفعال في القرآن العظيم ؟

نقول : قال الله ﷻ { **وَلِلَّهِ الأسمَآءُ الحُسنَىٰ** } فالأسماء لابد أن تكون حسنى سواء أكان ذلك في اشتقاق ، أم كان ذلك في إطلاق الأسماء التي وردت بصيغة الاسم .

الصحيح الذي عليه عامة السلف أنهم يصححون الاشتقاق بشرط : أن يكون المعنى صحيحاً دالاً على الكمال المطلق ، ولا يوهم نقصاً بوجه من الوجوه ، مثل اسم المُنعم فهو لم يرد ولكنه اسم يدل على الكمال ، وهو ﷻ على الحقيقة هو المُنعم ، ولا نقص في ذلك ـ وهو مشتق من قول تعالى { **صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** } ـ هكذا اسم الستار فهو مشتق من اسم الله الستير ، قال النبي ﷺ« **إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ ،يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّتْرَ** » ، فالستار هو اسم قريب جداً في المعنى من اسم الستير ، ويدل على معنى كمال مثلما يدل اسم الستير تماماً ، فلا مانع من أن نقول إن الله هو الستار.

لذلك يصح الاشتقاق إذا كان يدل على كمال مطلق لا نقص فيه ،أما إذا احتمل النقص فلا يصح الاشتقاق ،مثل اطلاق « ماكر ، وخادع ، ومستهزىء » بعيداً عن السياق الذي وردت فيه لأنها توهم نقصاً عند اطلاقها ، لذلك لابد أن تستعمل ، أو تشتق اشتقاقاً يدل على الكمال المطلق لله ،لذلك نقول: في قوله تعالى : { **وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ** } [آل عمران : ٥٤] والله خير الماكرين ، الله مستهزىء بالمنافقين وإن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم في قوله تعالى : { **يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ** } [النساء : ١٤٢] ، فكلمة « خادعهم » اسم ،ولكن لا نقول : هو خادع ، بل نقولها في سياقها ، ولا نجردها منه لأن ذلك من كمالها .

التعبد لله ﷻ بالأسماء والصفات

إن إبطال العقائد الفاسدة مثل التعطيل والتحريف والتكييف والتمثيل هو بيان الطريق في باب التعبد بالأسماء والصفات وليس نهايته ، لذلك بعد أن ننظف قلوبنا من العقائد الفاسدة لابد لنا من بناء الإيمان داخل قلوبنا وذلك بالتعبد لله بالأسماء والصفات ، ودعاء الرب بها قال تعالى :

{وَلِلَّهِ الأَسمَآءُ الحُسنَىٰ فَادعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلحِدُونَ فِي أَسمَآئِهِ سَيُجزَونَ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ} [الأعراف١٨٠].، فهذا هو المقصود من هذا الباب وهو التعبد لله بأسمائه وصفاته ، ويتأثر القلب بأثارها ومقتضياتها واستحضار معاني الأسماء الحسنى في القلب ، فمثلاً :-

أسماء « **العظيم ، والكبير ، والمتعال ، والمجيد ، والجليل** » تملأ القلب تعظيماً لله وإجلالاً له.

وأسماء « **البر ، والكريم ، والجواد** » تملأ القلب حباً لله وشوقاً إليه ، وحمداً له وشكراً .

وأسماء « **العزيز ، وشديد العقاب ، والجبار ، والقدير** » تملأ القلب خضوعاً وانكساراً وذلاً وخوفا ًمنه.

وأسماء « **العليم ، والخبير ، والسميع ، والبصير ، والشهيد ،والرقيب ، والحسيب** » تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات ، وتؤدي بالعبد إلى أن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فالله تعالى يراه .

وأسماء « **الغني ، والغفور ، والتواب ، والمجيب ، واللطيف** » تملأ القلب افتقاراً إلى فضله ورجاءً لرحمته ورغبة في منته .

*** التعبد بالأسماء والصفات على مرتبتين :-**

١ - شهود آثار الأسماء والصفات .

٢ - أن يعامل كل اسم بمقتضاه من أفعال الإنسان نفسه ، مثال ذلك :-

« **مشهد العلم المحيط لله تعالى** » :-

أن تشهد بقلبك أنه سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات ، ولا في قرار البحار ، ولا تحت أطباق الجبال ، بل أحاط بذلك علمه علماً تفصيلياً ، ثم التعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه .

« **مشهد اسم الله البصير** » :-

أن تشهد بقلبك أن الله يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء ، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة وعروقها ، ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل ، فإذا

أعطى العبد هذا المشهد حقه من العبودية حرس حركاته وسكناته وتيقن أنها بمرأى منه سبحانه ، ومشاهده لا يغيب عنه منها شيء .

« **مشهد علو الله على خلقه** » :-

فمن شهد علو الله على خلقه وفوقيته لعباده ،واستوائه على عرشه كما أخبر به أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق ﷺ ، وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج القلب إليه مناجياً له ، مطرقاً، واقفاً بين يديه ، ويشعر بأن عمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفىٰ خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه ما يخزيه ويفضحه .

هكذا التعبد بكل اسم يكون بشهود أثار الاسم مع التعامل بمقتضى هذا الاسم ، وهذا الباب من أعظم أسباب السعادة ، وهو أن يتعبد الإنسان بمقتضى أسماء الله وصفاته ، ويدعو بها ، ونجد أن أدعية الكتاب والسنة كلها تدور حول التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته .

الفصل الثاني : توحيد الربوبية

معنى توحيد الربوبية : الإيمان بإنفراد الرب ﷻ بأفعاله، فالإيمان بالله رباً هو :

اعتقاد أن الله تعالى منفرد بمعانٍ ثلاثة أساسية :

الأول : الخلق والرزق والتدبير .

الثاني : المِلك والمُلك التام .

الثالث : الأمر والنهي والسيادة .

المعنى الأول :-

أنه عزوجل المنفرد بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والضر والنفع والخفض والرفع والعطاء والمنع وهذه أفعال لله تعالى ، وهذا النوع من التوحيد مرتبط بالاعتقاد فهو توحيد اعتقادي خبري مثله مثل توحيد الأسماء والصفات ، فنعتقد أن لله صفة السمع وأنه السميع والبصير والعليم وغير ذلك من أسمائه الحسنى وصفاته العُلى ، وهنا في هذا الباب نعتقد أن الله وحده الذي يخلق ، وهو وحده الذي يرزق ، وهو وحده الذي يُحيي ، وهو وحده الذي يُميت ، وهو وحده الذي يُعطي ويمنع ، وهو وحده الذي يضر وينفع ، قال تعالى : { **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ**

أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ } [يونس : ٣١-٣٢] فهاتان الآيتان فيهما الاستدلال بتوحيد الربوبية على وجوب التقوى، أي على توحيد الألوهية { **فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** } أي أفلا تتقون الشرك ، أفلا تتقون عبادة غيره وهو وحده الذي يرزقكم من السماء والأرض ، وهذا النوع من الاستدلال أكثر أنواع الاستدلال في القرآن استعمالاً، وهو الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية .

*** مظاهر الشرك في هذا المعنى في توحيد الربوبية :-**

مثل من يعتقد أن مع الله تعالى من يخلق أو يرزق ، أو أن معه من يُحيي أو يُميت أو يضر وينفع ، أو يُدبر الأمر ، فهو شرك بالله تعالى في ربوبيته ، مثل المجوس الذين يعتقدون أن هناك خالقين ، خالقاً للخير وخالقاً للشر ، وأيضاً اعتقاد أن غير الله من الأولياء ، أو الأنبياء أو الملائكة يدبرون الأمر مثل ما يزعمون عباد القبور أن الله قال : « المُلك مُلكي وصرفت فيه البدوي » ، أويزعمون أن للكون أقطاباً أربعة ، كل واحد منهم يأخذ ربع الكون يدبره ، وبناءً على ذلك سألوهم قضاء الحاجات ، وجلب النفع ودفع الضر ، وهذا لا يمكن أن يكون مبنياً على غير اعتقاد بل لابد أن يكون عندهم اعتقاد أنهم يملكون شيئا من النفع والضر إما على سبيل الوساطة أو أن الله فوض إليهم ذلك ، وكل هذا من الشرك الذي لا ينفع صاحبه معه عمل .

<u>المعنى الثاني :افراد الله بالمِلك والمُلك التام :</u>

معنى "المِلك " فهو وحده الذي يملك الأشياء ، أما " المُلك " هو الذي له الأمر والنهي والسيادة وهو المعنى الثالث ، فبعض الملوك لهم الأمر والنهي على الناس ، ولهم تعظيم وفي نفس الوقت لا يملكون الناس لأن الناس أحرار ، وبعض الناس قد يكون له مِلك ولا يكون مَلِكاً ، فهو يملك الدار أو الدابة ، وليس له الأمر والنهي على الناس.

فمن معاني الربوبية اعتقاد أن الله ﷻ منفرد بالمِلك والمُلك التام وحده لاشريك له ، كما قال تعالى: { **قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**} [المؤمنون :٨٨]، وقال تعالى : { **تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } [الملك : ١] ،وقال تعالى : { **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** }

[فاطر : ١٣، ١٤] ، فأقام سبحانه الدليل على عدم جواز دعاء أحد من دونه بأن هذا المدعو لا يملك شيئاً، فجعل الدليل على توحيد الأوهية بتوحيد الربوبية وهو معنى المُلك هنا ، { **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** } ، فبالتالي كيف تدعونهم من دون الله ؟!

*** من مظاهر الشرك في هذا المعنى :-**

أن يعتقد الإنسان أنه يملك نفسه وهذا أخطر مظاهر الشرك في قضية المِلك والمُلك أن يظن الإنسان نفسه حراً مع أوامر الله تعالى إن شاء قبلها وإن شاء ردها ، حتى جعلوا حرية الكفر والطعن في الدين من أساسيات حقوق الإنسان بزعمهم ، وهذا من أخطر المعاني الموجودة حالياً في هذا المقام ،مثل اعتقاد دعاة الغرب بالحرية المطلقة بما فيها حرية الكفر وسب الله تعالى والأنبياء ونشر الإباحية ، فأفعالهم هذه مبنية على اعتقاد أن الإنسان مالكٌ وأنه حر ، فمن يعتقد ذلك حتى دون أن يتصرف تصرف الأحرار فهو كافر .

المعنى الثالث : إفراد الله بالأمر والنهي والتشريع (١) :

قال ﷻ: { **أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** } [الأعراف : ٥٤] .فالرب : هو الذي له الخلق والأمر . فكما يعتقد الإنسان المؤمن أن الله تعالى منفرد بالخلق فكذلك يعتقد أنه تعالى منفرد بالأمر الكوني والشرعي .

أمر الله تعالى نوعان :-

أ . أمر كوني   ب . أمر شرعي .

أ. الأمر الكوني : أي أن الله يأمر في الكون بما يريد فيكون ما أراد { **إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** } [يس : ٨٢] ، فكل ما يأمر به يكون وينفذ ، فهو منفرد بالأمر الكوني الذي يُكَوّن به الخلق فيقول كن فيكون، كما قال تعالى : { **وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** } [البقرة : ١١٧] .

(١) المشركون أقروا بالنوعين الأوليين ، وجحدوا المعنى الثالث ، أقروا أن الله ووحده الذي يخلق ويرزق ويدبر وله المِلك ، ولكن جحدوا أن الله له حق التشريع والتحليل والتحريم وحده ، فلم يكتمل توحيد الربوبية عندهم فلازم ذلك أنهم عبدوا غير الله تعالى وأشركوا في العبادة ، لأنه لو اكتمل في قلب العبد توحيد الربوبية كاملاً استلزم ذلك أن يفردوه وحده بالعبادة

ب. الأمر الشرعي : أي الذي يشرعه لعباده نحو : افعل أو لاتفعل ، كما قال ﷻ: { **ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ** } [البقرة : ٢١] ، فقوله تعالى : { **ٱعْبُدُواْ** } هذا أمر شرعي ، وليس من باب : كن فيكون ، وإلا لو كان من باب كن فيكون لوجد الناس أنفسهم يُصلون ويصومون ، كما يجدون قلوبهم تدق ، وعروقهم تنبض فالله ﷻ منفرد بالأمر الكوني والشرعي .

*** مظاهر الشرك في هذا المعنى :-**

اعتقاد أن مع الله ﷻ من له حق الأمر والنهي والتشريع ، أو حق تبديل الشريعة فهذا قد جعله رباً مع الله ، والدليل على ذلك قول الله ﷻ عن اليهود والنصارى : { **ٱتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ** } [التوبة : ٣١] ،وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ : « **يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ** » ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ : { **ٱتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ** }، قلت : ﷺ« يا رسول الله ، إنا لسنا نعبدهم ! » ، قال ﷺ : « **ألم يُحَرِّمُوا الحَلاَلَ ويُحَلِلُوا الحَرامَ فاتَبَعْتُمُوهم ؟!** » ، قلت : « بلى » ، قال ﷺ : « **تلك عِبَادَتُهم** ».

في هذا الحديث قضيتان :-

١. قضية اعتقاد أن لغير الله تعالى أن يغير الشرع ،وله أن يحكم ويحلل ويحرم فمن اعتقد ذلك في أحد فقد اتخذه رباً فهذا شرك في الربوبية .

٢. فإن اتبعه على التبديل معتقداً ما قاله دون ما قاله الله ورسوله فقد عبده من دون الله وهذا شرك في الألوهية ، قال تعالى : { **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ** } [التوبة : ٣١] ، فهم أُمروا أن يعبدوه بكل معاني العبادة التي من ضمنها اتباع الشرع . فمن اعتقد أن لأحد من الخلق حق التشريع أو التحليل والتحريم فقد أشرك في توحيد الربوبية حتى ولم يتحاكم إليه ، أما إذا أضاف إلى ذلك طاعته في التحليل والتحريم فقد عبده من دون الله تعالى وهذا شرك في الألوهية.

قال شيخ الإسلام بن تيمية : « هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً ، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين :

أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعوهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤوسهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله مشركاً ، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم .

الثاني : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحلال وتحريم الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم من المعاصي التي يعتقد أنها معصية فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب .

الفصل الثالث :- توحيد الألوهية

توحيد الألوهية : هو توحيد الرب تعالى بأفعال العباد .

فالعبد هو الذي يصلي ويصوم ويركع ويسجد ويخاف ويرجو ، فإذا وجَّه هذه العبادات لله وحده لا شريك له فهذا هو توحيد الألوهية .

فتوحيد الألوهية : هو توجه العبد بكل عباداته[1] وأفعاله الظاهرة والباطنة لله وحده والكفر بكل ما يعبد من دون الله من الطواغيت ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله : أي لامعبود بحق إلا الله ، فهذه الجملة فيها نفي الألوهية عن أي أحد وإثباتها لله تعالى .

*** معنى الإله :**

١. هو المعبود المطاع .

٢. والذي تميل إليه القلوب وتشتاق إليه .

٣ . والذي تحار فيه العقول .

---

(١) **تعريف العبادة :**قال شيخ الإسلام بن تيمية : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .

أقسام العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله :

أ. **عبادات قلبية :** مثل الخوف والرجاء والمحبة والتوكل والإخلاص والإنابة **.**

ب.**عبادات بدنية** : مثل الصلاة والحج والجهاد والصوم والذبح ج. **عبادات قولية** : مثل الذكر وقراءة القرآن والاستغفار والتسبيح والدعاء والحلف. د. **عبادات مالية** : مثل الزكاة المفروضة والصدقة والنفقة في الحج وعلى الزوجة .

فالله تعالى وحده هو الذي له هذه المعاني بحق ، وهو وحده المعبود بحق ، وهو الذي تميل إليه القلوب لأن القلوب فُطرت على أن تميل إلى الله وحده فلو مالت لغيره سبحانه فإنها تشقى أعظم الشقاء ، والشقاء الموجود فى الدنيا والآخرة سببه أن القلوب وُجهت إلى حب غير الله والخضوع لغير الله ، والعبادة أساسها غاية الحب مع غاية الذل ، فإذا لم يكن هناك حب لم تكن هناك عبادة ، وكذلك أساسها الخضوع والانقياد .

الكفر بالطاغوت

قال تعالى : { **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** } [البقرة : ٢٥٦]

الطاغوت :

أصله في اللغة : من طغى أي جاوز الحد ، **ومعناه** « هو كل ما عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ » ، فإن كان المعبود صالحاً وهو يأبى أن يُعبد من دون الله صارت العبادة للشيطان الذي أمر بها .

قال بن القيم : الطاغوت « كل ماجاوز العبد به حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه من دون الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله تعالى ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لايعلمون أنه طاعة لله » .

رؤوس الطواغيت خمسة :

الأول : الشيطان الداعي لعبادة غير الله ، وهو يدعو إلى عبادة نفسه دون طاعة الرحمن ، وطاعة الشيطان في الكفر بالله وتكذيب رسله هي عبادته من دون الله وهي كفر ، وأما طاعته في المعاصي التي يأمر بها مع اعتقاد القلب لحرمتها وبقائه على أصل الإيمان بالله ورسله فهي ليست طاعة تامة وإنما معصية .

وحد العبد الذي لا يجاوزه : أن يدعو إلى عبادة الله وطاعته ، فإذا جاوز ذلك ودعا إلى عبادة نفسه من دون الله فقد طغى .

الثاني : الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، وهو طاغوت بنص القرآن ، قال تعالى : { **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا** } [النساء : ٦٠]

لأن حد العبد : أن يكون حاكماً بشرع الله محكوماً به متحاكماً إليه فإذا جاوز العبد حده وادَّعى لنفسه الحكم بما يراه دون شرع الله فقد طغى .

الثالث : الحاكم الجائر الذي يغير أحكام الله : وهو يدعي لنفسه حق التبديل والتعديل على أحكام الله من قِبَل نفسه كالأحبار والرهبان وشيوخ الضلال ،والذي قبله يدعي لنفسه حق الاستقلال بالحكم : كالعلمانيين والقانونيين الوضعيين ، الذين يخترعون الأحكام من هوى أنفسهم ، قال تعالى : { **ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ** } [التوبة : ٣١] .

الرابع : الكاهن : الذي يدعي معرفة الغيب من دون الله ، قال تعالى : { **وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ** } [الأنعام : ٥٩] ، **حد العبد** : أن لا يدعي العلم إلا بما أعلمه الله ، ومن صفات الربوبية التي استأثر بها الله علم الغيب فإذا جاوز العبد حده وادعى لنفسه علم الغيب فقد طغى .

الخامس : الساحر: الذي يدعي مِلك الضر والنفع والخلق والإحياء والإماتة وتقليب القلوب بصرفها وعطفها ، فكل هذه صفات الربوبية فإذا ادعاها فقد طغى ، قال تعالى : { **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**} [البقرة : ١٠٢] .

* **صفة الكفر بالطاغوت** :أن تعتقد بطلان عبادة غير الله ، وبطلان ما ادعاه الطواغيت لأنفسهم من صفات الربوبية أو حقوق الألوهية ، وبغضهم ومعاداتهم ، واعتقاد كفر من عبد الطاغوت .

الشرك الأكبر في الألوهية

تعريفه : هو صرف العبادة لغير الله تعالى سواء كان هذا الغير ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو ولياً صالحاً فضلاً عما دون ذلك من الأحجار والأشجار ولو على سبيل الوساطة ، فالكفار كانوا يقولون عن آلهتهم : { **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰ** } [الزمر : ٣] ، فهذا الشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة منه .

سبب الوقوع في الشرك الأكبر :

أول شرك وقع على الأرض هو شرك قوم نوح ، وكان بسبب الغلو في الصالحين ، قال تعالى : { **وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** } [نوح : ٢٣] ، قال بن عباس رضي الله عنهما « **هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عُبِدَتْ** » هذا يدلنا أن الغلو في الصالحين من أعظم أسباب الشرك الأكبر.

والمعلوم أن اليهود يعبدون عزيراً ويسمونه ابن الله ، والنصارى يعبدون المسيح ويسمونه ابن الله ، والمشركين كانوا يسمون أوثانهم بالأسماء المؤنثة المشتقة من أسماء الله على أنها ترمز للملائكة التي اعتقدوا أنه بنات لله ـ تعالى الله عما يقولون ـ فعبدوها لتقربهم إلى الله زلفى ، كما قال تعالى : { **أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ** } [النجم :١٩-٢٣]

أما الشرك في هذه الأمة : فقد ظهر صرف العبادة للأولياء والقبور حتى وعلى سبيل التوسل لأن كثيراً من الناس لا يعبد هذه الأشياء ابتداءً ، ولكن لتقربهم إلى الله تعالى على سبيل الوساطة ، قال تعالى : { **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰ** } [الزمر : ٣] ، وقال تعالى : { **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّ هُم وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَآءِ شُفَعَٰؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ** } [يونس : ١٨] ، إذن لافرق بين كونه قاصداً لعبادة هؤلاء ابتداءً أو عبدهم على سبيل التوسل أو التقرب إلى الله ، طالما صرف العبادة لغير الله .

هناك فرق بين المشركين الأوائل وبين من وقع في الشرك من هذه الأمة :

الأوائل الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ وحاربهم ، كانوا يصرحون أنهم يعبدون غير الله ،كما قال تعالى : { **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ** } [الزمر : ٣] ، وكانوا يسمونها آلهة معبودة ، فهؤلاء كفار .

وأما ما وقع في هذه الأمة من شرك فكثيرٌ منهم لا يعتقد أنهم آلهة ولا يرى أنه يعبدهم ، وإن كان في الحقيقة يعبدهم ، ولم يعلموا أن ما يفعلونه عبادة لغيرالله فهذا لابد من إقامة الحجة عليه لأنهم لا يصرحون بالعبادة لغير الله تعالى ، وأما من صرح بأنه يعبد غير الله فالحجة قائمة عليه بكلمة لا إله إلا الله ، لذلك من قال وصرح أنه يعبد الأوثان التي على قبور الصالحين فهذا نقض أصل التوحيد صراحة ، وأما من قال أنا لا أعبدهم وإن كان قد دعاهم واستغاث بهم فهذا نذكر له الآيات والأحاديث على أن الدعاء لغير الله عبادة ، فإذا أصر على ذلك فهو كافر خارج من الملة .

مظاهر الشرك في الألوهية

١ـ دعاء غير الله :

حكمه : هو من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لمن مات وهو مُصِرٌ عليه بعد بلوغ الحجة ، مثل الدعاء والاستغاثة وطلب المدد من الأموات والغائبين .

الأدلة على إبطال دعاء غير الله :

١ . قال تعالى : { **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ *وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ** } [الأحقاف : ٥ـ ٦] الآية دليل على أن الدعاء هو العبادة ، وقال ﷺ : « **الدُعَاء هُوَ العِبَادَة** » ، فمن دعى غير الله فقد عبد غير الله .

٢ . وقال تعالى : { **وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ*وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلاَّ هُوَ** } [يونس:١٠٦ـ١٠٧]

فقد بيَّن الله ﷻ وجوب توحيد الألوهية في الدعاء ، و بيَّن دليله من توحيد الربوبية لأن كل من يدعو أحداً من دون الله فإنه لابد أن يعتقد فيه الضر والنفع فقال ﷻ : { **وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ** } [يونس:١٠٦] ، فلو اعتقد إنسان أن هذا الشيء لا ينفعه ولا يضره فكيف

يدعوه من دون الله تعالى ؟! ، وإن اعتقد فيه النفع والضر ودعاه من دون الله فهذا أعظم الشرك في الربوبية وفي الألوهية .

٣ . وقال تعالى : { **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** } [فاطر : ١٣-١٤] ،وهذا نصٌ قاطع بأن دعاء غير الله شرك، لأنه قال : { **يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ** } فسمى ذلك شركاً .

مسألة : ما الفرق بين الإستغاثة الشركية والإستغاثة الجائزة بالمخلوق ؟

الإستغاثة الجائزة بالمخلوق على أنه سبب ظاهر يكون بشروط :

١.أن يكون قادراً . ٢. حياً . ٣. حاضراً .

الدليل على جواز الإستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر القادر على أنه سبب ظاهر ومع طمأنينة القلب أن الله وحده هو الضار النافع قوله تعالى : ﴿ **فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ** ﴾ [القصص :١٥] ، ومثل ذلك الإستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر الذي نراه ، مثل قول غلام ابن مسعود الأنصاري ﵁ لما كان يضربه ورأى رسول الله ﷺ فقال أعوذ برسول الله ، فهذا ليس من الشرك لأنه أخذ بالأسباب الظاهرة الحاضرة مع ثقته بالله وتوكله عليه .

أما من استغاث بالمخلوق على الغيب فهي من الشرك الأكبر سواء أكان المدعو حياً أم ميتاً ، فمثلاً لو أن إنساناً يغرق وله شيخ حي غائب عنه فقال أغثني ياسيدي فلان لكان مشركاً بالله شركاً أكبر ، لأن الدعاء هو الطلب على الغيب وهذا لا يقدر عليه إلا الله ، بخلاف ما إذا كان المطلوب منه حاضراً فمثلاً لو إنساناً يغرق فقال : أدركوني أو أغيثوني وهناك من المخلوقين حاضراً وقادراً ويتوقع الحضور بالأسباب الظاهرة فهذا طلب مباح ، أما دعاء الجن والملائكة وأرواح الأنبياء فهذا هو الشرك الأكبر لأنه دعاء على الغيب .

٢. الذبح لغير الله [1]

وهذا من الشرك الأكبر أن يُذبح لغير الله عز وجل معظماً ومتقرباً لهذا الغير ، قال تعالى : { **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ**} [الكوثر :٢] ، فإذا كانت الصلاة لغير الله شركاً فالنحر لغير الله أيضاً شركاً .

قال تعالى : { **قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ *لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ** } [الأنعام :١٦٢-١٦٣]، { **وَنُسُكِي** } على أحد أوجه التفسير ذبحي، وقال النبي ﷺ : « **لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ** ».

أما من ذبح من أجل إكرام الضيف وإطعامه فهذا ليس شركاً ، لذلك لابد من اعتبار أمر النية ، فمن ذبح لغير الله بقصد التقرب والتعظيم مثل الذبح للقبور والذبح للجن كطلب السحرة والكُهان لمن يذهب لهم لعلاج المس الشبطاني مثلاً ذبح بعض الطيور أو الحيوانات فهذا من الشرك الأكبر الذي لايغفره الله لمن مات عليه ولابد من إقامة الحجة .

*** أما ما يُذبح عند قدوم السلطان فهذا يُنظر لدلالة الحال واعتبار النية :**

- فمن ذبح وأراق الدم تعظيماً وتقرباً للسلطان فهذاهو عين الشرك .
- أما من ذبح لكي يكرمه ويطعمه فهذا ليس شركاً ، فلابد من الانتباه من هذا حتى لا يحدث فيه خلط .

أما الذبح الشركي لغير الله يشمل أنواع :

١. ما ذُبح بنية التقرب والتعظيم كما ذكرنا .

٢. ماسُميَّ عليه غير اسم الله ، كمن يقول باسم المسيح أو باسم الصليب أو باسم الولي فهذا من الذبح لغير الله .

٣. ما ذُبح على النصب مثل الذبح عند الأصنام .

---

(١) **هناك مسألتان يدور عليهما باب الذبح :**
أ. **التسمية:** وهي أن يذكر اسم الله على الذبيحة ، وهي واجبة ،قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ** ﴾

ب. **النية والقصد** : وهو أن تذبح بقصد التقرب والتعظيم لله وحده . وهذا هو التوحيد أن يكون الذبح باسم الله تقرباً وتعظيماً لله.

حكم اللحوم المستوردة :

١. إذا عرفنا أن هذه اللحوم المستوردة لم يُذكر اسم الله عليها أو عرفنا أنها لم تُذبح وأنها ميتة هذا نقول فيه : الخلاف غير سائغ ، قال تعالى : { **وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَم يُذكَرِ اسمُ اللهِ عَلَيهِ وَإِنَّهُ لَفِسقٌ** } [الأنعام : ١٢١]

٢. أما إذا لم نعلم فهذا هو الذي فيه الخلاف السائغ ، ومن العلماء قال بجواز الأكل من اللحوم المستوردة ، ويقول الأصل في ذبائح أهل الكتاب أنهم يلتزمون الذكاة المبيحة للحيوان ، ولكن الراجح أنه لا يجوز الأكل من هذه اللحوم المستوردة إلا إذا علمنا أن الذبح قد تم على ما شرع الله تعالى ، لأن الأصل في الذبائح الحرمة ، قال ﷺ : « **وإن وجدت مع كلبك كلباً غيره وقد قتل فلا تأكل فإنك لا تدري أيهما قتله** » فجعل النبي ﷺ كونك لا تدري هو العلة في المنع ، لذلك الأصل المنع عند الشك .

٣. **النذر لغير الله والحلف بغير الله** :

من الشرك الأكبر النذر للقبور والصالحين والجن ، والدليل على أن النذر عبادة من العبادات قوله تعالى : { **وَمَآ أَنفَقتُم مِّن نَّفَقَةٍ أو نذرتم من نَذرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن أَنصَارٍ** } [البقرة :٢٧٠] ، هذا دليل على أن النذر عبادة وصرفها لغير الله يكون شركاً .

وأيضا من الشرك الحلف بغير الله ، قال ﷺ « **من حلف بغير الله فقد أشرك** ».

*** ما الفرق بين النذر والحلف** :

النذر لغير الله الأغلب الأعم أنه مرتبط باعتقاد ولذلك هو ليس مما يجري على الألسنة بخلاف الحلف بغير الله الأغلب فيه أنه لا يصحبه اعتقاد بسبب كثرة جريانه على الألسنة كمن يحلف بالنبي والكعبة ونحو ذلك مما تَعود الناس عليه من غير قصد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله تعالى ، وإن كان النذر والحلف في الأصل من باب واحد لكن الحلف بغير الله غالبا يكون بغير القصد الذي ذكرنا وبالتالي هو شرك أصغر ، ولكن من حلف بغير الله معظماً له كتعظيم الله أو أشد فهذا من الشرك الأكبر ، أما النذر فالأغلب الأعم يصحبه اعتقاد أن المنذور له يملك قضاء الحاجات ، فيكافئونهم على قضاء الحوائج بهذا النذر لذلك هو من الشرك الأكبر، ولكن لاينعقد إنما عليه التوبة منه ولا يوفي به وليس فيه كفارة .

٤ . **نسبة علم مفاتيح الغيب وتصريف الكون لغير الله** :

وهذا النوع في الحقيقة تابع للشرك في الأسماء والصفات ، وذكرناه هنا لإنتشاره ولأنه مقدمة للشرك الأكبر في الألوهية : وهو نسبة علم مفاتيح الغيب للأنبياء أو الأولياء أو الكهان أو العرافين ، واعتقاد أنهم يصرفون الكون ، فهذا شرك أكبر في الربوبية والأسماء والصفات ، قال تعالى : { **وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظلماتِ ٱلأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ** } [الأنعام : ٥٩] ، فمن اعتقد أن غير الله يعلم علم مفاتيح الغيب فقد جعل لله نداً في الأسماء والصفات ، فإذا أضيف إلى ذلك اللجوء إليهم ودعائهم من دون الله ليضروا أو ينفعوا فقد زاد شركاً في الألوهية ، مثل من يأتي السحرة والكهنة ليسحروا له أو يخبروه عن مستقبله .

مسألة : حكم إتيان الكاهن وسؤاله عن علم الغيب الأمر فيه على التفصيل :

١ . إن اعتقد صدقه فى إدعائه علم الغيب المطلق الذى استأثر الله به ورضى به فهذا كفر أكبر .

٢ . إن صدقه فى إدعائه علم الغيب النسبى من الأمور التى تغيب عن البعض دون البعض كمعرفة مكان الضالة ونحو ذلك فقد اختلف العلماء فى حكمه :

القول الأول : هذا كفر دون كفر ، ولا تقبل له صلاة أربعين يوما ، لقوله ﷺ « **من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ** » والكفر فى الحديث محمول على الكفرالأصغر بقرينة الحديث الاخر لقوله ﷺ « **من أتى عرافا فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة أربعين يوما** » وهذا القول هو الصحيح لجمعه بين النصوص .

القول الثانى : التوقف فيه فلا يقال كفر مخرج من الملة أو لا يخرج منها بغرض الزجر وهو أشهر قولى الإمام أحمد.

القول الثالث : أنه كفر أكبر مخرج من الملة مطلقا ، وهو قول ضعيف يرده الإخبار بعدم قبول صلاته أربعين يوما ، والكافر الكفر الأكبر لا تقبل صلاته مطلقا .

فصل في السحر

أصل السحر في اللغة : هو كل ما خفي ولطف .

حكمه : أنه حرام بالكتاب والسنة والإجماع ، وهو من الكبائر .

من القرآن قال تعالى : { **وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ** } [البقرة :١٠٢]، فالآية دليل على أن السحر المتعلم من الشياطين كُفر ، ومن الملكين هاروت وماروت كُفر، وقد قال الله عنهما { **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ** } وهوما يسمونه الصرف أي صرف قلب الرجل عن المرأة عكسه العطف وهذا الأمر قد يكون بالتقرب إلى الشياطين تبعاً للسحر ، ويمكن ايضا لشياطين الإنس عمل تفرقة و عطف ، مثل التبرج ، التبرج هذا نوع من العطف ،لأنه عندما يرى المتبرجة ينصرف عن امرأته ويريد هذه المرأة ، وكذلك النميمة تفرق ولكنها من الكبائر وليست كفراً ، والشياطين لها من هذا الباب القدر الواسع لمن لم يتحصن ويمكن أن يقع حتى للعبد التقي الصالح كما وقع في حق النبي ﷺ فإنه قد سحره لبيد ابن الأعصم حتى يخيل إليه أنه أتي الشيئ ولم يأتيه ، أنه أتى أهله ولم يأتيهم هذا في أمر العلاقة بين الرجل والمرأة خصوصاً وكما ذكرنا مما يمكن أن يقع كبلاء على الأنبياء ،ومن يكذب بهذا يكذب بالأحاديث الصحيحة الثابتة وهذا ليس بممتنع عقلاً ولا شرعاً وإنما النبي ﷺ معصوم في البلاغ ومعصوم أن يكتم شيئاً أمره الله بأن يبلغه ومعصوم بأن يقول على الله ما لم يوحى إليه ومعصوم أن يأتي الكبائر والذنوب وليس معصوماً ﷺ أن يصيبه مرض، وقال الله تعالى { **وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ** } إلا بإذن الله الكوني القدري لأن الله لم يأذن شرعاً في السحر ولم يأذن شرعاً في تعلم ما أنزل على الملكين ببابل ولم يأذن سبحانه في أخذ هذه الأسباب والعلم بها .

السنة : في الحديث : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » ، قالوا يا رسول الله وما هن ، قال : « **الشرك بالله والسحر** ... » فهذا الحديث يدل على وجود السحر وأن له حقيقة ، خلافا للمعتزلة الذين انكروا حقيقة السحروقالوا إنما هو تخيل فقط .

<u>الإجماع</u> : على أنه من الكبائر .

حكم الساحر :

اختلف أهل العلم في كفر الساحر : على قولين :

١. ذهبت طائفة من السلف أنه يكفر ، ومنهم مالك وأبو حنيفة وأحمد .

٢. التفصيل في حكمه : قال الشافعي إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فإن وصف ما إن يوجب الكفر مثل ما يعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يُلتمس منها فهو كفر وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر ، وهذا هو الراجح التفصيل .

إذا كان سحره فيه شرك مثل التقرب إلى الشياطين هذا كفر ، أما إذا وصف الساحر سحره بأن فيه أدوية ودخان يخلطها ويفعل أشياء يخدع بها الناس مثل خفة اليد هذا حرام مع اعتقاد حرمته فإن استحله كفر لأنه استحل معلوم من الدين بالضرورة أنه حرام .

النُّشرة

قال ابن القيم :النُّشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان :

الأول : حل السحر بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور ، وهذا الذي سئل عنه النبي ﷺ كما في حديث جابر بن عبد الله قال : سئل النبي ﷺعن النشرة قال : « **هي من عمل الشيطان** ».

الثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز .

فصل في اتخاذ القبور مساجد

وقد سدّ النبي ﷺ باب الغلو في الصالحين وبناء المساجد على قبورهم بقوله ﷺ « **ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك** »، وهذا نص واضح في تحريم بناء المساجد على القبور وقال ﷺ في مرضه الذي لم يقم

منه « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »، قالت عائشة رضي الله عنها « يُحذر ما صنعوا »، وفي رواية أخرى قالت « فلولا ذلك أُبرز قبره غير أنه خُشي أن يُتخذ مسجداً».

أما قبر النبي ﷺ الذي صار كأنه في المسجد بعد اتساع المسجد هذا وضع استثنائي لعدم جوازنقل المسجد وعدم جواز نقل القبر ، والحقيقة أن المسجد مبني قبل القبر قطعاً لأن الرسول ﷺ هو الذي بنى هذا المسجد ، ولم يزدد المسجد فضيلة بالتوسعة التي أدخلت القبر فيه حتى صار القبر كأنه داخل المسجد ، والحقيقة أن القبر حتى بعد هذه التوسعة لا يستطيع أحد أن يتخذه مسجداً إلا بأن يدخل داخل الحجرة ، فيصلي بداخلها ، وهذا بحمد الله لا يقع ، استجابة من الله لدعوة النبي ﷺ « **اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد** ».

والمسجد الذي يُبنى بجوار القبرحتى ولو كان هذا القبر منفصلاً عن المسجد ، ولكن بُني المسجد تعظيماً للقبر ويقصد المسجد من أجل تبركاً بصاحب القبر، فهذا يدخل في النهي ، لقول النبي ﷺ «.....**يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد** »

وكذا من قصد القبر ولو كان بلا بناء ليصلي عنده - إليه أو بجواره - لكان ممن اتخذ القبر مسجداً .

أما من صلى بجوار قبر اتفاقاً كمسجد بجوار المقابر منفصل عنها بطريق لكنه قريب منها فهذا لا يضر لأنه منفصل عنها بخلاف ما إذا كان القبر مقصوداً ليصلي عنده .

حكم الصلاة في المساجد التي بها قبور :-

أولاً : الصلاة في المسجد الذي فيه قبر لايجوز لأن هذه البقعة منهي الصلاة فيها.

ثانياً : أما باعتبار الصحة أو البطلان الصحيح في ذلك التفصيل :

١. فمن كان قاصداً القبر لأجل الصلاة عنده أو قصد المسجد تبركاً وتعظيماً لصاحب القبر فصلاته باطلة .

٢. وأما من صلى اتفاقاً لأجل أنه يريد أن يحضر درس علم لشيخ يظنه عالماً أو هو عالم ببعض فنون العلم كالتجويد فهذا صلاته صحيحة مع الإثم .

٣. وأما من صلى وهو لا يعلم بوجود القبر ، فصلاته صحيحة ولا يأثم لأن العلم شرط من شروط التكليف ، والدليل : عمرﷺ عندما رأى أنس بن مالك ﷺ يصلي عند قبر، فقال عمر : القبر القبر ، ولم يأمره بالإعادة ، فدل على أن صلاته صحيحة .

لذلك أمر النبي بهدم كل قبر مرتفع مشرف ، فالمسلم الحريص على التوحيد يتجنب الصلاة في هذه المساجد التي بُنيت على القبور سداً لذريعة الشرك .

لأن من أعظم أسباب الوقوع في الشرك الغلو في الصالحين ، وبناء المشاهد والقباب والمساجد على القبور .

<u>حكم الطواف بهذه القبور والتمسح بها :</u>

أولاً : حكم الطواف حول القبور :

١. الطواف حول هذه القبور على سبيل التعظيم والتقرب لهم كما يتقرب المسلمون لله تعالى بالطواف حول الكعبة فهذا شرك أكبر.

٢. أما إن كان على سبيل النظر إلى جوانب القبر مثلاً كما يفعل السائحون ، هذا ليس شركاً ، لكن فيه إقرار بالمنكر أو سكوتاً عنه .

ثانياً : حكم التمسح بقبور الأولياء وغيرهم : قد يكون شرك أكبر أو أصغر حسب الإعتقاد

١. من تمسح بالقبر أو حديد القبر - حتى ولو قبر النبي ﷺ - معتقداً أنه ينفع ويضر بذاته من دون الله أي استقلالاً أو مع الله أي على سبيل الشركة ، كان ذلك شركاً أكبر .

٢. وإن اعتقد أنها سبب وأن الله هو النافع الضار سببها- أي سبب الحديد - فنقول : هذا كذب على الله ، لأن الله لم يشرع التمسح بذلك ولم يقل لنا رسول الله ﷺ إنها سبب ، فهذا جعل سبب فيما لاسبب فيه ، فهذا شرك أصغر لأنه ذريعة للشرك الأكبر .

فصل في الشرك الأصغر

<u>الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر :</u>

١. الشرك الأكبر ينافي أصل الإسلام ، ولو مات وصاحبه عليه فهو مخلد في النار ، أما الشرك الأصغر فحكمه حكم الكبائر في الجملة ، بمعنى أنه إذا مات قبل أن يصل به إلى الشرك الأكبر مات على أصل الإسلام .

٢. الشرك الأكبر لا يغفره الله إن مات عليه ، أما الشرك الأصغر فهو في المشيئة ، قال تعالى : { **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ** } أي الشرك الأكبر فهو لايغفره الله ،{**وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** } أي ما دون الشرك الأكبر فهو في المشيئة ، قال ﷺ « **قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه** »، دليل على أن الشرك الأصغر يمكن أن يُغفر .

تعريف الشرك الأصغر : هو كل ذريعة أو سبب يؤدي إلى الشرك الأكبر .

الأسباب نوعان : أ. سبب ظاهر .   ب. سبب باطن .

السبب الظاهر : هو الذى يشترك في معرفة كونه سبباً للخير أو الشر جميع الناس ، وهذه الأسباب مأمور بالأخذ بها بما ينفع « **احرص على ما ينفعك واستعن بالله** » .

السبب الباطن : وهو الذى لا يُعرف إلا من قِبل الشرع ، مثل صلة الرحم سبب للرزق وطول العمر ، أما أن يدعي أحد أن شيئاً هو سبب لخير أو شر دون دليل شرعي ، ولا كونه سبباً ظاهراً ، فهذا كذب على الشرع ، وكذب على القدر وذريعة إلى الشرك الأكبر ، فلهذا كان من الشرك الأصغر .أ.هـ (من فضل الغني الحميد)

من مظاهر الشرك الأصغر

١. **تعليق التمائم** والحِلَق وحدوة الحصان والخرز والتمائم والأحجبة لدفع العين والحسد فهذا شرك ، قال رسول الله ﷺ : « **مَن تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له** » ، وفي رواية : « **مَن علق تميمة فقد أشرك** ».

انواع التمائم:

أولاً : التمائم الشركية : كتعليق الخيوط والحلق والأحجبة ، فإن اعتقد أنها سبب في دفع الحسد والعين فهذا شرك أصغر ، أما إذا اعتقد أنها بذاتها تنفع وتضر فهذا شركاً في الربوبية.

ثانياً : التمائم من القرآن : هذا اختلف فيه العلماء ، فكرهه عبد الله بن مسعود وأصحابه ، وهو قول بن عباس ، ونُقل جوازه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعائشة ، وهذا لا يصح فالصحيح المنع لعدة أمور :

أ . لعموم النهي ولا يوجد مخصص .

ب. سداً للذريعة .

ج. منعاً للإمتهانة ، لحمله أثناء قضاء الحاجة .

٢. <u>الرياء</u> :

تعريفه : هو طلب الجاه والمنزلة عند الناس بالعبادات وهو مشتق من الرؤية ومثله التسميع ، أي طلب سماعهم لعبادته ، قال ﷺ : «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** »، فسئل عنه ، فقال : « **الرياء** ».

<u>أقسام الرياء :</u>

١. إن كان الرياء في أصل من أصول الدين كمن قال لا إله الا الله رياءً فهذا من الشرك الأكبر.

٢. وإن كان الرياء في الأعمال فهو من الشرك الأصغر ، وله ثلاث حالات :

الحالة الأولى : أنه لا يُراد بالعمل سوى المخلوقين لغرض دنيوي ، كحال المنافقين في صلاتهم ، فلا يشك مسلم في حبوط هذا العمل .

الحالة الثانية : أن يكون العمل لله ويشاركه الرياء في أصله ، فالنصوص تدل على بطلانه ، كما قال تعالى في الحديث القدسي : « **أَنَا أَغْنَى الشُرَكَاءِ عَنْ الشِّركِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** ».

الحالة الثالثة : أن يكون أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء ، فهذا إن كان خاطراً ودفعه لم يضره بلا خلاف ، وإن استرسل معه ، ففيه خلاف بين السلف ، هل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته ؟ وقد رجح بن رجب أنه يجازى على أصل نيته ، ولكن لا شك أن أجره قد نقص.

٣. **<u>الحلف بغير الله تعالى</u>** : قال النبي ﷺ « **من حلف بغير الله فقد أشرك** » ، وفي رواية : « **فقد كفر أو أشرك** » وقد سبق الكلام أنه من حلف بالمخلوق معظما له كتعظيم الله أو أشد فقد أشرك الشرك الأكبر ، وأما إذا حلف به ولم يقصد أن يعظمه كتعظيم الله تعالى ولكن من باب الجريان الحلف على اللسان فهذا شرك أصغر .

٤. **<u>التطير :</u>**

تعريفه : هو التفاؤل أو التشاؤم بالطير وغيرها ، قال النبي ﷺ :« **الطيرة شرك** ».

فإن اعتقد أن الطير ينفع ويضر بذاته فهو شرك أكبر ، ولو اعتقد أنها سبب في جلب النفع ودفع الضر فهو شرك أصغر ،كمن يعتقد أن البومة سبب للشر والحمامة سبب للخير والطير الفلاني سبب للبركة في البيت ، فهذه ذريعة إلى الشرك الأكبر .

<u>ويستثنى من ذلك</u> التفاؤل بالكلمة الطيبة التي يسمعها الإنسان فيظن في الله خيراً ، **قال** ﷺ **:** « **لا طيرة وخيرها الفأل** » ، قالوا يا رسول الله : وما الفأل قال : « **الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم** » ، ولكن بشرط أن لا يقصدها فتصير كالطيرة **.**

٥. **<u>التوسل البدعي</u> :**

كأن يقول للميت ادع الله لي ، استغفر لي ، أما إذا قال أغثني أو اغفر لي أو أرزقني ، فهذا شرك أكبر .

فصل في التوسل

<u>تعريف التوسل :</u>

* **في اللغة :** هو ما يتوصل به إلى الشيء .

* **في الشرع** : له معنيان :

١. **معنى القربة** : كما قال تعالى : { **أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا** } [الإسراء : ٥٧]، باتفاق أهل التفسير أن الوسيلة هي القربة .

٢. **المنزلة والدرجة الرفيعة** : كما قال النبي ﷺ : « **ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو** ».

التوسل منه الركن والواجب والمستحب :

التوسل الركن : وهو التوسل إلى الله بالإيمان به ،فلا يقبل الله تعالى تقرباً إليه بغير إيمان به وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، فمن كذب بالرسول أو القرآن أو بالملائكة ، أو كذب بالجنة والنار لا يقبل الله منه أي قربة لأنه فرَّط في الوسيلة التي هي ركن .

التوسل الواجب :هو توسل الإنسان إلى الله بفعل ما أمر وترك ما حرم .

التوسل المستحب : هو التوسل إلى الله بفعل المستحبات .

التوسل في الدعاء

وهو ذكر ما يكون الدعاء به أقرب إلى الإجابة، وهذا أحد معاني التوسل العام ، والتوسل العام هو التقرب .

* أنواع التوسل المشروع وغير المشروع في الدعاء :

١. **التوسل المشروع** :وهو ثلاثة أنواع :

النوع الأول : التوسل لله تعالى بأسمائه وصفاته :

قال ﷻ { **وَلِلَّهِ الأَسمَآءُ الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلحِدُونَ فِي أَسمَآئِهِ سَيُجزَونَ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ** } [الأعراف١٨٠]. فالعبد لا يسأل مباشرة بل يقول يارب أو اللهم ، فإنه توسل بالربوبية أو الألوهية ، وقد سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: « اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم »، فقال رسول الله ﷺ : « **قد غُفر له** » ثلاثاً. فجميع أدعية الكتاب والسنة تتضمن التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته .

النوع الثاني : التوسل إلى الله بذكر الأعمال الصالحة في الدعاء :

قال تعالى : { **رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَاغفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّار** } [آل عمران: ١٦]

قال تعالى : { **رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَٰنِ أَن ءَامِنُواْ بِرَبِّكُم فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّر عَنَّ سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلأَبرَار** } [آل عمران: ١٩٣]

ومن السنة : قصة أصحاب الغار الذين أُغلق عليهم الغار فتوسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة، قالوا : « **إنه لا ينجيكم إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم** » ، فتوسل أحدهم إلى الله تعالى ببر الوالدين والإخلاص في ذلك فقال : « اللهم إن كنت فعلت ذلك - وهو سقى والديه قبل صبيانه - ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة » ، والثاني توسل إلى الله بترك الزنى من ابنة عمه التي هي أحب الناس إليه ، وترك المال الذي أعطاها ، والثالث توسل إلى الله بإعطاء الأجير حقه وتثمير ماله وأنه أخلص إلى الله في ذلك ، ففرج الله تعالى عنهم.

النوع الثالث : التوسل إلى الله بدعاء المسلم الصالح الحي الحاضر:

قال تعالى عن أبناء يعقوب عليه السلام لأبيهم : { **قَالُوا يَأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَاطِـِٔينَ * قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** } [يوسف : ٩٧ -٩٨]

فطلب الدعاء من الحي الحاضر ممن يرجى صلاحه مشروع ، وهذا إذا كان في أمر أخروي فهو مستحب ، وأما إذا كان في أمر دنيوي فالأولى تركه ، كما قال النبي ﷺ للرجل الأعمى الذي قال له : ادعُ الله لي أن يعافيني ، فقال النبي ﷺ : « **إن شئت أخرتُ لك وهو خيروإن شئت دعوتُ** »، فقال: ادعُه ، فأمره النبي ﷺ أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء ، اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة ، يا محمد إني قد توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضى اللهم شفعه في » ففعل الرجل فرد الله تعالى عليه بصره .

فهذا قد اختار الحال الأقل بدليل حديث بن عباس رضي الله عنه في البخاري ، قال لعطاء بن رباح : ألا أُريك امرأة من أهل الجنة ، قال : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء أتيت النبي ﷺ فقالت إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، فقال : « **إن شئت صبرتِ ولك الجنة وإن شئت دعوتُ الله أن يعافيك** » فقالت : أصبر ، ثم عادت له فقالت : إني أتكشف ، فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها ، كانت يأتيها نوع من تكشف الثياب عنها ، فدعا لها النبي ﷺ ألا تتكشف .

وهو ﷺ في هذا الحديث بيَّن أن الأفضل أن يصبر الإنسان ولا يطلب الرقية ، ولا يطلب الدعاء من الآخرين ، أما في الأمر الأخروي الديني وهو ألا تتكشف مثلاً ، لأن التستر يحبه الله وشرعه وأمر به ، فلما كانت في صرعها تتكشف لم يقل لها ﷺ إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإنما

دعا لها مباشرة ، ورغبها في الصبر على الصرع ، لذلك فالأعمى قد خيره النبي ﷺ فاختار أن يدعوا الله له ، مع أن الأفضل أن يصبر على ما ابتلاه الله به .

فالغرض المقصود أن طلب الدعاء من المسلم الصالح الحي الحاضر مشروع ، وهو مستحب في أمر أخروي ، ومن ذلك قول عمر ؓ في الآستسقاء عندما يستسقي بهم في عام الرمادة ، قال : « **اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا** » فيُسقون .

المقصود من « **نتوسل إليك بنبينا** » أي بدعائه ، بمعنى نطلب منه أن يدعو لنا ، « **وإنا نتوسل إليك بعم نبينا** » أي نتوجه إليك بدعاء العباس .

٢.__التوسل الغير مشروع__ : في الدعاء له ثلاثة أنواع أيضا :

__النوع الأول :__

أن يُطلب من الميت أو الغائب أو الجن أو حتى الملائكة قضاء الحاجات وكشف الكربات ، وأن يغيثوهم ، وأن يرزقوهم أو يشفوهم أو يجلبوا لهم نفعاً أو يدفعون ضراً ، فهذا من الشرك الأكبر ، قال تعالى : { **قُلِ ٱدعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمتُم مِّن دُونِهِۦ فَلاَ يَملِكُونَ كَشفَ ٱلضُّرِّ عَنكُم وَلاَ تَحوِيلاً * أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ يَدعُونَ يَبتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ ٱلوَسِيلَةَ** } [الإسراء :٥٦ -٥٧] نزلت في عيسى ،وعزير ، والملائكة ، فهذا يدل على أن من دعا الملائكة فدعاؤه هذا من التوسل الشركي ، ومثل ذلك طلب المدد من الولي الفلاني أو من صاحب القبر ، وهذا بلا شك مرتبط باعتقاد شركي في الربوبية ، وهو أنه يعتقد أن الولي يملك النفع أو الضر أو تدبير الكون .

__النوع الثاني :__

أن يقول للميت والغائب : ادع الله لي ، أو اسأل الله لي ، أو اشفع لي في كذا ، فهذه من البدع بلا خلاف ، فهي من الشرك الأصغر والفرق بينه وبين الذي قبله واضح ، إذ الأول : دعاء غير الله ، والثاني : مخاطبة الميت بما لم يرد في الكتاب والسنة ، ولكنه لم يدعه ، ولم يسأله قضاء الحاجات فلم يصرف له العبادة ولكنه ذريعة للغلو .

النوع الثالث :

هو التوسل بذات المخلوق وجاهه ، وهو بدعة على الراجح لأن الخلاف فيه معتبراً سائغاً ، فمن توسل بهذا النوع من التوسل فقد أخطأ ولكن لا يُضلَّلُ ولا يُبدع بعينه لأن المسألة فيها اجتهاد ، فمن جوز هذا النوع من التوسل لا يخرج من دائرة أهل السنة ، بل قال قولاً مرجوحاً ، فمن قال : اللهم أسألك بحق فلان أو بجاه فلان فهو من التوسل البدعي على الراجح ، وأجازه بعض العلماء بالنبي ﷺ كالعز بن عبد السلام ، وهو منقول عن أحمد مرجوحاً ، وأجازه البعض بعموم الصالحين كالشوكاني ، لكن الصحيح من حيث الدليل هو قول أبو حنيفة ، وأصحابه ، وشيخ الإسلام على عدم جوازه ، لأنه لم يرد في كتاب ولا سنة ، وقد تركه الصحابة مع استحضارهم له ، كقول عمر رضي الله عنه « **اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا** » فعمر رضي الله عنه كان يتوسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته ولا بجاهه ، فإن ذاته موجودة وجاهه قائم ﷺ ، ومع ذلك ترك عمر والصحابة معه التوسل بالنبي ﷺ وعدلوا إلى التوسل بالعباس ، دل ذلك على عدم جواز التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته .

الفصل الرابع : الحكم بما أنزل الله

من مسائل التوحيد والإيمان مسألة الحكم بما أنزل الله ، وهي جزء من الإيمان بالله تعالى ، فعند التأمل نجد أن قضية الحكم بما أنزل الله هي ضمن توحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، ولكن نخصها بالذكر لكثرة الذين يخالفون فيها :

أولاً : الحكم بما أنزل الله ضمن توحيد الأسماء والصفات : لأن من أسمائه سبحانه وتعالى (الحَكَم والعدل) .

ثانياً :الحكم بما أنزل الله ضمن توحيد الربوبية : فمن الربوبية أن يعتقد أن الله له وحده أن يُشرع - وهذا فعل الرب تعالى - كما أنه وحده هو الذي يخلق ، وله وحده صفة الرزق ، وله وحده الضر والنفع ، كذلك له حق الحكم والتشريع وحده سبحانه وتعالى، قال تعالى : { **أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ** } [الأنعام :٦٢] ، وقال تعالى : { **إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ** } [يوسف : ٤٠]، وهي ظاهرة جداً في الحكم التشريعي وتتضمن الحكم الكوني ،

قال تعالى : { **وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** } [الكهف : ٢٦] ، هذه شاملة نوعي الحكم : الكوني القدري والحكم التشريعي .

الفرق بين الحكم التشريعي والحكم القدري :

الحكم التشريعي : مثل هذا حلال وهذا حرام ، وهذا فرض وهذا سنة ، قال تعالى :

{ **وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلبَيعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا** } [البقرة :٢٧٥].

الحكم القدري الكوني : مثل أن الله ﷻ حكم على فلان بالموت أو حكم على فلان بالحياة ، وأن فلاناً يكون ذكراً ، فالمؤمن يعتقد أن من خصائص الربوبية انفراد الرب بحق الحكم والتشريع وهذا توحيد الرب ﷻ بأفعاله هو .

ثالثاً : الحكم بما أنزل الله ضمن توحيد الألوهية : فتوحيد الألوهية هو إفراد الله بأفعال العباد ، ومن أفعال العباد التحاكم إلى شرعه سبحانه ، وترك التحاكم إلى الطاغوت ، لذلك فالتحاكم إلى شرعه سبحانه وقبول حُكمه والرضا به من أعظم العبادات التي يجب صرفها لله وحده دون سواه .

من مظاهر الشرك التحاكم إلى الطاغوت

اعتقاد أن غير الله له أن يُشرع هذا شرك في الربوبية ، والتحاكم إلى من يحكم بغير شرع الله شرك في الألوهية ،ويُعد أيضاً إلحاداً في الأسماء والصفات لأنه جعل لله شريكاً في أسمائه وصفاته ، قال تعالى : { **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلاً بَعِيدًا** } [النساء : ٦٠]، **الطاغوت** هو :كُهْان في جهينة أو كعب بن الأشرف اليهودي .

سبب نزول هذه الآية : خصومة بين رجل منافق وبين يهودي ، فقال المنافق نتحاكم إلى كعب ابن الأشرف ، لأنه علم أنه يأخذ الرشوة ، وقال اليهودي نتحاكم إلى محمد ﷺ لأنه علم أنه لا يأخذ الرشوة فاتفقا على أن يأتيا كاهناً من جهينة ، فيتحاكما إليه على عادات أهل الجاهلية والمشركين ، فكان هذا تحاكماً إلى الطاغوت .

لذلك الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله طاغوتاً سواء اخترع في الحكم وشَرَّع تشريعاً مستقلاً أو أعطى لنفسه حق التبديل والتغيير على شرع الله من قِبل نفسه كالأحبار والرهبان الذين

يحرمون الحلال ويحلون الحرام وينسبونه إلى الدين ، فكلا النوعين من الطواغيت لأنه تعدى حده كعبد ، وهو أن يتلقى الشرع بالقبول والتسليم والتحاكم إليه لا أن يُشَرّع هو .

قال تعالى : { **يَأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لاَ يَحزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَرِعُونَ فِي ٱلكُفرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأفوَاهِهِم وَلَم تُؤمِن قُلُوبُهُم وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَومٍ ءَاخَرِينَ لَم يَأتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلكَلِمَ مِنۢ بَعدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِن أُوتِيتُم هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّم تُؤتَوهُ فَاحذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتنَتَهُ فَلَن تَملِكَ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ شَيئًاۚ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ لَم يَرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۚ لَهُم فِى ٱلدُّنيَا خِزىٌۖ وَلَهُم فِى ٱلأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** } [المائدة : ٤١] إلى قوله تعالى : { **وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلكَفِرُونَ** } [المائدة : ٤٤] .

سبب نزول الآيات : نزلت في شأن اليهوديين اللذين زنيا ، وكان اليهود بعد كثرة الزنى في أشرافهم تركوا الرجم الذي هو في التوراة وبدلوه إلى الجلد والتحميم . روى البخاري ومسلم من حديث بن عمر ﷺ أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « **ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟** » فقالوا : نفضحهم ويُجلدون . قال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال عبد الله بن سلام : ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم ، قالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما . فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة ».

سبحان الله إذا كان الله قد حكم على اليهود ومن حذا حذوهم بالكفر من أجل تغيير حكم الرجم إلى الجلد والتحميم فكيف بمن يجعل الزنا حرية شخصية إذا كان برضا الطرفين؟!

وفي الآيات الثلاثة وهي قوله تعالى : { **وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلكَفِرُونَ** } { **وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلظَّلِمُونَ** } ، { **وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلفَسِقُونَ** } ، كلاً من الكفر و الظلم و الفسق ينقسم إلى نوعين : أكبر وأصغر .

الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفر الأكبر والأصغر

القسم الأول : الكفر الأكبر :

وهو الكفر الذي يفسد معه الاعتقاد ، وله صور منها ما ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية الأسبق في رسالة تحكيم القوانين الوضعية وهي :

النوع الأول : أن يجحد شريعة الله المعلومة من الدين بالضرورة ، مثل من يقول : لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين ، وأن السياسة نظام الحكم لا دخل للدين به ، وأن الدين علاقة شخصية بين العبد وربه ، ويُنكر أحكام الله في الحدود والمعاملات والأموال والدماء وغيرها ، مثل إنكار قطع يد السارق ، وجلد الزاني ، وحرمة الربا ، والقول أن هذه الأمور ليست من الدين ، فهذا جحد المعلوم من الدين بالضرورة فهو كفر أكبر بالإجماع ، وقيدنا المعلوم من الدين بالضرورة لأنه لو جحد شيء من الدين غير معلوم من الدين بالضرورة مثل النقاب واللحية يقول هذا ليس من الشريعة جهلاً منه فهذا لا يُكفر .

النوع الثاني : هو أن يعتقد ثبوت الشرع وأنه أتى بالحدود ونحو ذلك ، ولكنه يقول : إن القوانين الوضعية أفضل وأكثر مناسبة للزمان من شرائع مضى عليها أربعة عشر قرناً ، وهذا بالإجماع كفر أكبر إذ يُفضِّل حكم المخلوق على الخالق ، قال تعالى : { **أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** } [المائدة : ٥٠] ، سواء فضل القوانين الوضعية تفضيلاً مطلقاً أو نسبياً

تفضيل القوانين الوضعية مطلقاً : مثل أن يقول عندما شُرعت أحكام الشرع في الزمان الماضي كانت أحكام وحشية .

أو تفضيل القوانين الوضعية نسبياً : مثل من يقول أن الشريعة كانت مناسبة في العصور الوسطى أما في زماننا فإنها لا تتناسب ، فلا يجوز أن نحكم بقوانين العصور الوسطى المظلمة ، فكلا النوعين كفر أكبر .

النوع الثالث : أن يعتقد أن القوانين الوضعية مساوية لحكم الله تعالى ، فهو لا يفضل القوانين الوضعية ولكن يجعلها مساوية لحكم الله ومماثلة له ، قال تعالى : { **تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** } [الشعراء : ٩٧ – ٩٨]

النوع الرابع : أن يعتقد أن شريعة الله أفضل من القوانين الوضعية ، لكنها - أي الشريعة - غير واجبة بل يجوز مخالفتها إلى ما يراه هو عدلاً ومصلحة ، ويجوز الخروج عن الشريعة كمن يقول الصلاة طيبة ولكنها ليست بفريضة ، وهذا النوع في الحقيقة كثير من الناس من يراه صواباً ، يرى أن الناس يجوز لهم أن يتحاكموا إلى شرع الله ويجوز أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، نقل الإجماع شيخ الإسلام بن تيمية في كتاب منهاج السنة « كفر من ترك التحاكم إلى الشرع وتحاكم إلى من يحكم بما يراه هو عدلاً من غير رجوع إلى الشرع » ، إذاً من المعلوم بالضرورة وجوب تنفيذ أحكام الله .

النوع الخامس : وهو من أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ، ومشاقة لله ورسوله ﷺ ، وذلك هو مضاهاة القوانين الوضعية بالحكم الشرعي .

والمضاهاة هي : الإلزام في التشريع العام بخلاف حكم الله تعالى ، فهذا النوع أشد من استحلال القوانين الوضعية ، لأن هذا إيجاب الاستحلال فهو يراه واجباً .

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم : « فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات ، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فلهذه المحاكم « الوضعية » مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى وقوانين كثيرة ، كالفرنسي والأمريكي والبريطاني وغيرها من القوانين ، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة ونحو ذلك » أ.هـ

نقل الشيخ أحمد شاكر عن بن كثير - رحمهما الله - إجماع المسلمين على كفر من تحاكم إلى الياسق من التتار .

قال بن كثير في البداية والنهاية : فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله ﷺ وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة ، كفر فكيف بمن تحاكم إلى الياسق [١] وقدمه عليه ؟! **من فعل** ذلك كفر بإجماع المسلمين .

(١) **الياسق** :هو كتاب وضعه جنكيز خان ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثيرمن الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متعباً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة ﷺ

قال الشيخ الشنقيطي في كتابه أضواء البيان : إن الذين يتبعون القوانين التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله ﷻ على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم ، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس بصيرته ، وأعماه عن نور الوحي مثلهم » .

ولقد بيَّن الشيخ أحمد شاكر في كتابه عمدة التفسير ، والشيخ محمود شاكر : ضلال من يقول إن تحكيم القوانين الوضعية في التشريع العام كفر دون كفر وأنها من جنس ما قاله بن عباس لمن كانوا يسألونه من الخوارج ويستدلون على كفر حكام بني أمية بقوله تعالى : { **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ** } ، قال بن عباس فيه كفر دون كفر .

ولا شك أنه لم يقع في عهد بني أمية ولا عهد بني العباس ولا وُجِد في التاريخ الإسلامي من يأتي بتشريع مخالف لشرع الله تعالى ويُلزم به .

النوع السادس : وهو ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي من حكايات تلقوها عن آبائهم وأجدادهم ويعلمون مخالفتها للشرع ، ويقدمونها في الحكم على شرع الله إعراضاً عن حكم الله .

الفرق بين كفر النوع وكفر العين

وهذه النقول السابقة من كلام أهل العلم التي تصرح بكفر من يحكم بالقوانين الوضعية ويُحتمها على الناس لابد فيه من ملاحظة أن هذا التكفير هو من جهة النوع أي أن هذا من الكفر هو من الكفر الأكبر ، أما من جهة المُعين فالفتوى بأن فلاناً بعينه كافر لارتكابه هذا الكفر فإنما هي لأهل العلم بعد نظرهم في استيفاء الشروط وانتفاء الموانع في مسألة التكفير .

ومن شروط التكفير : العلم والبلوغ والعقل والقصد والتذكر والاختيار وعدم التأويل .

ومن موانع التكفير : الجهل الناشيء عن عدم البلاغ والصغر والجنون والخطأ والنسيان والإكراه والتأويل .

فلا يصح التسرع في تكفير المعين حتى يستيقن قيام الحجة وانتفاء العذر وليس معنى ذلك عدم تكفير مُعين بالمرة بل يمكن أن يُحكم على معين بالكفر والردة بعد ثبوت إتيانه للكفر وقيام الحجة وانتفاء الشبهة .

القسم الثاني : الكفر الأصغر :

وهو الكفر العملي الذي لا يخرج صاحبه من الملة ، وهو الذي وصف بن عباس ﵄ وغيره من التابعين حال حكام زمانهم وهو أن يحكم الحاكم تبعاً لشهوته أو هواه أو الرشوة أو غيرها في قضية أو قضايا ولو كثرت بغير ما أنزل الله **مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله ﷺ هو الحق وأنه الحكم الوحيد الذي يجب أن يحكم به ولابد من تطبيقه ولا يُلزم الناس بخلافه في التشريع العام** .

مثال : قاضي ملتزم بالشريعة وعنده أن الزاني يُرجم إذا كان محصناً ويجلد إذا كان غير محصن ، ثم جاء رجل فأعطاه رشوة لكي يغير الحكم في قضية زنى ثبتت فيزور مثلاً في الأوراق ويكتب أنه قد تبين لنا أن الشاهد الثالث غير عدل فيكون مجموع لشهود العدول في النهاية ثلاثة فقط لا أربعة وتكون الشهادة بذلك غير مستوفية لنصابها فتثبت البراءة ، فهذا حكم بغير ما أنزل الله ، لكن الأصل عنده إلزام الناس بالشريعة في التشريع العام وإن كان يخالف في التطبيق ، فهذا كفر دون كفر .

بخلاف شخص آخر يقول : ثبت لدينا أن المجني عليها كانت مختارة حين زنت ، فلذلك فالمتهم والمتهمة بريئان ولا يوجد تهمة أصلاً لأن الفعل تم بالاختيار فهذا كفر أكبر لأنه يُلزم بخلاف الشريعة ويصحح ذلك .

الفرق بين النظام الإداري والشرعي في النظام الوضعي

قال الشنقيطي رحمه الله : اعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السموات والأرض وبين النظام الذي لا يقتضي ذلك ، ولإيضاح ذلك أن النظام قسمان

١ . النظام الإداري : الذي يُراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع فهذا لا مانع منه كتنظيم شئون الموظفين وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع ولا يخرج عن قواعد الشرع مع مراعاة المصالح العامة .

٢ . النظام الشرعي : المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث ، وكدعوى أن تعدد الزوجات ظلم وأن الطلاق ظلم للمرأة ، وأن الرجم والقطع أعمال وحشية لا يسوغ فعله فتحكيم هذا النوع من النظام في أنْفُس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم كفر بخالق السموات والأرض .

فما الواجب على المسلم الآن ؟

الواجب على كل مسلم ومسلمة في أي نزاع أن يطلب من خصمه التحاكم إلى من يحكم بينهما بشرع الله من أهل العلم ، ولا يحل له أن يطلب التحاكم إلى المحكمة الوضعية التي تحكم بالقوانين التي وضعها الرجال بآرائهم .

التحاكم إلى أهل العلم هو المخرج الوحيد الشرعى فى مسائل الخصومات التي تقع بين المسلمين الذين يعيشون فى ظل القوانين الوضعية ، فتحكيم المحكم مسألة لها أصل فى الشرع ، من فعل الصحابة رضى الله عنهم حتى في وجود الخلافة والقضاء الشرعى ، فقد تحاكم كثير من الصحابة إلى بعضهم ، وكانوا إذا اختصموا ذهبوا إلى واحد منهم ليحكم بينهم وهذا عند الشافعى وأحمد ومالك – رحمهم الله – حكم مُلزم كحكم القاضي إذا ثبت رضا الطرفين بالتحكيم ، وهذا فى وجود القضاء الشرعى كما بينه الأمام الجوينى - رحمه الله - : إذا كان التحكيم اجتهاديا فى زمن وجود الإمام والقضاء الشرعى والحكم الشرعى ، فعند غياب الإمام يُصبح أمراً قطعياً ، أي عند غياب النظام الأسلامى يصبح وجوب التحكيم هو المخرج الواجب الوحيد الذى ليس للمسلمين سواه في إقامة الشرع بينهم .

ولكن لو أن خصمه رفض واضطر حتى يأخذ حقه أن يقف أمام هذه المحاكم الوضعية ليدفع الظلم عن نفسه كأن يُقبض عليه ويُتهم ظلماً ، فهو مضطر لإحضار محامٍ ليبين أنه مظلوم فهذا مضطر ، وهو في الحقيقة لا يتحاكم إليهم ، ولا يطلب منهم أن يحكموا بنظامهم ولكنه يسأل أولاً أهل العلم عن حقه الشرعي ويطلب من أولئك أن يعطوه حقه الذي يعطيه الشرع إياه ولا يجوز له قطعاً أن يطلب إلا حقه الشرعي وأيضاً لا يجوز قطعاً أن يطلب من هذه المحاكم أن يعطوه ما يعطيه القانون بخلاف الشرع ، بل لا يطلب إلا حقه الشرعي فقط الذي علمه من أهل العلم ولا يجوز له الزيادة على ذلك ، فهذا اضطرار ، ولا يكون هذا رضا بحكم الطاغوت.[١]

(١) **تنبيه** : قد يظن كثير من الناس أن قضية الحكم بما أنزل الله مقتصرة على الحكام ، ولكن المسألة أوسع من ذلك فربما يقع كثير من الناس في مظاهر الشرك التي ذكرنا وهو ليس بحاكم وليست له وظيفة القضاء ، فمن رأى أن أحكام الشرع لا تصلح أو أنه يُصحح أن يُلزم الناس بخلاف شرع الله في التشريع العام فهذا حكمه ضمن مظاهر الشرك ولو لم يكن الإنسان حاكماً .

<u>شبهة والرد عليها :</u>

هناك شبهة يرددها بعض الناس لتعطيل الأحكام الشرعية ، وهي أن عمر بن الخطاب ﵁ لم يقطع يد السارق في عام الرمادة ، وأنه سأل عمرو بن العاص ﵁ وكان والياً على مصر : ماذا تفعل إذا أتاك الناس بسارق أو ناهب ، قال عمرو : أقطع يده ، قال عمر : وإذا أتاني الناس بجائع أو عارٍ لقطع عمر يدك .

<u>الرد</u> : أن عمر ﵁ لم يُعطل أبداً إقامة الحدود ، وليس له ولا لغيره أن يفعل ذلك وهذا في الحقيقة اتهام لعمر ﵁ ، فالصحابة في الحقيقة لم يسمحوا لأحد أن يسرق بل كانوا يعاقبون السارق

بل المسألة أن عمر﵁ كان يستوفي شروط إقامة الحد ، فإذا فُقد أحد الشروط لم يُقم الحد ، وعمر﵁ لم يقل هذا العام لا تقام الحدود مثلاً ، لكن القصة التي وقعت هي أن غلمان حاطب بن أبي بلتعة – يعني مواليه – كان قد أصابهم جوع فسرقوا ناقة وأكلوها لأجل الجوع ، ومثل هذا الجائع إذا أخذ المال قهراً لكي يأكل- فضلاً عن أن يسرق - فإنه إنما يفعل ذلك للضرورة ويُلزم بقيمة هذا الشيء المسروق على أحد قولي أهل العلم ، ولا تقطع يده في تلك الحال لأنه مضطر والضرورات تبيح المحظورات .

فوقوع واقعة عين معينة لم تتحقق فيها شروط إقامة الحد ليست دليلاً على حق الحاكم في تعطيل الحدود ، كأن يكون الإنسان سرق ثم تبين أن الشيء المسروق دون النصاب ، فإن هذا السارق لا تقطع يده ، أو تبين مثلاً أنه سرق مالاً له شبهة في ملكه فإن هذا لاتقطع يده ، هذه أحكام الشريعة ولا نكون بهذا عطلنا حكم الشرع ، بل هذه شروط لا بد أن تُستوفى ، فتلبيس عظيم أن نقول إن عمر عطل حكم الشرع ، بل إن الواقعة التي عُرضت عليه لم تستوف فيها الشروط .

♣♣♣♣♣♣

الفصل الخامس : الولاء والبراء

هذا الباب من أعظم أبواب التوحيد والإيمان ، بل لا يتحقق الإيمان والتوحيد إلا به قال تعالى : { **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ** } [المائدة ٥٥ -٦٥] ، إنما أسلوب قصر، أي ليس لكم ولي إلا الله ورسولهﷺ والذين آمنوا وهذه الآية في الولاء الواجب .

وقال تعالى : { **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ** } [الممتحنة : ٤] هذه الآية في البراء الواجب .

وقد بيّن الله حرمة اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وأن من والاهم يكون منهم ، قال تعالى : { **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ** } [المائدة :٥١] ،ويخبرﷺ أن موالاتهم من علامات النفاق ومرض القلب وأنها سبب لحبوط العمل وتستوجب الخسران ، قال تعالى : { **فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ * وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ** } [المائدة : ٥٢ – ٥٣]

الولاء والبراء ضمن مسائل توحيد الألوهية ، فإن النبي ﷺ قال : « **أوثق عُرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله** » ، فهذه أفعال العباد فنحن نحب في الله وحده ، ونبغض لأجله وحده ، والنبي ﷺ أخبر أنها من أوثق عرى الإيمان، فإذا انحلت هذه العروة أصاب الإيمان خلل .

معنى الولاء والبراء : -

الولاء : له عدة معاني : منها الحب ، والرضا ، والنصرة ، والطاعة ، والمتابعة ، والمعاونة ، والقيام بالأمر والصداقة ، ولوازم ذلك كالتشبه والركون إليهم .

البراء : عكس هذه المعاني ، فالبراء : هو البغض ، والخذلان ، والمخالفة ، والمعاداة

معاني الولاء التي يجب صرفها لله ورسوله ﷺ والمؤمنين

١ . **الحب** : فيُحب الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ، قال تعالى : { **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًا لِلَّه** } [البقرة : ١٦٥] ، قال ﷺ : « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه إلا في الله ....** »

والرضا : يرضى بطريقتهم ، ويرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، ويرضى بالمؤمنين إخوة ، قال تعالى : { **رضي الله عنهم ورضوا عنه** } [التوبة : ١٠٠] ، وقال ﷺ : « **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباُ وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً** ».

٢ . **النصرة** : أن ينصر الله بنصرة دينه ، وينصر السنة وينصر كل مؤمن ظالماً كان أومظلوماً ، ونصرة الظالم بمنعه من الظلم ، ونصرة المظلوم بأن يمنعه من الظالم .

٣ . **الطاعة** : أن يطيع الله ، ويطيع الرسول ﷺ وأولي الأمر من المؤمنين وهم العلماء والأمراء الذين يقودون الناس بكتاب الله ، قال تعالى : { **يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُولِى ٱلأمر مِنكُم** } [النساء : ٥٩] ، فطاعة العلماء والأمراء مقيدة وهي في المعروف ، أما إذا أمروا بالمعصية فلا سمع ولا طاعة ، قال ﷺ : « **إنما الطاعة في المعروف** » .

٤ . **المتابعة** : وهي تكون للكتاب والسنة ، قال تعالى { **ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيكُم مِن رَّبِّكُم** } [الأعراف : ٣] ، ويتابع طريقة المؤمنين والإجماع الذي اتفقوا عليه الذي يجب ألا يخالفه أحد .

وأيضاً التشبه : وهو من قضايا المتابعة ، وهو التشبه بالنبي ظاهراً وباطناً وبالمؤمنين ، ولا يجوز أن نقول أن نتشبه بالله ، قال تعالى : { **لَيسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءُ** } . [الشورى :١١]

٥. **القيام بالأمر والمعاونة** : بأن نهتم بشأن المسلمين وننصح لهم ونعاونهم على البر والتقوى ، قال تعالى : { **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلبِرِّ وَٱلتَّقوَىۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإثمِ وَٱلعُدوَنِ** } [المائدة : ٢] وقال ﷺ: « **وتنصح مسلم وتبرأ من مشرك** ».

٦ . **الصداقة** : أي تتخذ المؤمنين أصدقاء وأخلاء ، قال ﷺ: « **لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي** » ، لذلك لا يجوز للمسلم أن يتخذ صديقاً كافراً بل ولا فاسقاً فإن مصاحبتهم من أعظم أسباب الشر .

الـولاء المحـرم

أما الولاء المحرم : فهو صرف هذه المعاني لغير المؤمنين وتتضمن :

أولاً : الحب : بمعنى محبة الكافرين على ما هم عليه من الكفر ، وهذا له معنيان :

١ . حبهم لأجل كفرهم ، فهو محب للكفر كمن يُحب أن يُعبد غير الله كالطواغيت التي تُعبد من دون الله ، يحب الشيطان ، ويحب السحرة والكهنة .

٢ . هو أن يحبهم رغم ما هم عليه من الكفر ، وهي درجة أقل قليلاً ، بمعنى أنه يقول أنه يحبهم ولو كانوا كفاراً ، فكفرهم مسألة هينة لا تقتضي بغضاً ،والخلاف فى الراى لا يفسد من الود قضية فهويختلف مع الكفار، ولكن لابأس بمودتهم .

فحكم هذه الموالاة : أي محبة الكفار بالمعنيين السابقين هذا خروج من الملة ، ومناقضة للإيمان لزوال حب الله ورسوله ﷺ والمؤمنين من قلبه ، لذلك نفى الله تعالى الإيمان عمن ودَّ الكفار ، قال تعالى: { **لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ** } [المجادلة : ٢٢] .

<u>الرضا بملة الكفر : -</u>

وهو الرضا بالكفر ، ورضي بغير الله رباً ، وهذه الأمور تكون دون المحبة فلا يلزم أن يكون محباً للكفار بل يكون راضياً بما هم عليه مُصوباً لطريقتهم ، يرى أن طريقتهم حق كما أن الإسلام حق الكل سواء ، كمن يقول عبادة البوذيين لـ « بوذا » حق ولا بأس بذلك ، وعبادة النصارى لـ « المسيح » حق ، لا بأس بذلك ، فهذا تصريح باستحقاق غير الله للعبادة فهذه مناقضة لأصل كلمة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وخروج من الملة ، ومن ذلك أيضا من لا يُكفّر من يُكذب الرسول ﷺ من الكفار كمن يقول : إن اختلافنا مع النصارى ليس في أمر التوحيد ولكن في أمر النبوة، وأمر النبوة لا يقتضي التكفير ، فهذا الكلام مخرج عن الملة لأنه يرى أن النصارى ليسوا كفارلأن الخلاف معهم في أمر النبوة ، فهو يرى نبوة الرسول ﷺ أمر يسير ، فهو يُصدق قول من يكذبه ويُصوب قول من يُصدقه فالأمر عنده مستوي الطرفين ، فهذا شاكٍ في نبوته ﷺ فضلاً أن يكون مُكذباً له ، فهذه مناقضة لأصل محمد رسول الله ﷺ لذلك المخالفة في أصل كلمة التوحيد وتصويب مخالفة الأصلين لا إله إلا الله محمد رسول الله وتصحيح ملة المُكذَّب بهما ، فهذا

لا شك في كفره ابتداءاً والحجة قائمة فليس هناك احتمال للجهل ، أما الذي يظن أن المحبة معناها إحسان العشرة لا الإقرار بالكفر فهذا يُبين له الأمر .

ثانياً : النصرة : صور نصرة الكفار :-

أولاً : من نصر الكفار بالخروج في صفوفهم ضد المسلمين وحارب المسلمين مع الكفار فهو مثلهم كافر في الدنيا وفي الآخرة مخلد في النار ، الدليل قال تعالى : { **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا** } [النساء : ٩٧].

نزلت الآيات : في من خرج من المسلمين الشبان مع المشركين في بدر إرضاءً لآبائهم، خرجوا مع المشركين لمحاربة الرسول ﷺ والمسلمين وليسوا راغبين في القتال ولكن خرجوا لإرضاء آبائهم ، فنزلت فيهم الآيات ولم يقبل الله عذرهم وهم في أحكام الدنيا لم يعطوا دية ولا صُلّيَ عليهم بل أُلقوا مع بقية الكفار في قليب بدر مع أنهم كانوا مُحبين للإسلام ، وأما من أُسر منهم أُخذت منهم الدية ، ولو كانوا مسلمين لما حل أخذ الفدية ، ولو كانوا مسلمين لما دُفنوا مع الكفار .

دل ذلك أنه من خرج في صفوف الكفار – المعلنين للكفر – مقاتلاً جند المسلمين فهو كافر ، قال تعالى : { **فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاً * وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً** } [النساء : ٨٨ – ٨٩] .

سبب نزول الآيات : نزلت في مَنْ ظاهر المشركين وعاونهم في قتالهم للمسلمين ، وكان بعض من تكلم بالإسلام من أهل مكة خرجوا في طلب حاجة لهم ، وكان منهم من يظاهر الكفار ويعاونهم على المسلمين ، فقالوا إن لقينا أصحاب محمد ﷺ فليس علينا منهم بأس- هم منافقون يظهرون الإسلام - فقال بعض المسلمين لما علموا بخروجهم انطلقوا إلى الخبثاء فاقتلوهم فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم ، وقالت طائفة : سبحان الله كيف تقاتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم وأموالهم ، والرسول ﷺ ساكت حتى أنزل الله ﷻ:

{ **فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ** } .

والآيات تصرح بوجوب قتالهم إذا لم يهاجروا ويتركوا مظاهرة المشركين ، وقد سماهم منافقين ، ونزلت الآيات تؤيد الفريق الأول .

ثانياً : أما إذا كانت المناصرة بنوع تجسس أو بمعاونة بخبر دون القتال معهم في صفوفهم ، فهذا النوع من الجاسوسية للكفار صاحبها يستحق أن يُقتل ، ولكن لا يجب أن يُقتل والدليل على ذلك قصة حاطب بن أبي بلتعة عندما أبلغ الكفار بعض أخبار الرسول ﷺ ، مع أنه كان في جيش المسلمين ولم يقاتل مع الكفار ولكن فعل ذلك لكي يحتاطوا لأنفسهم ، فلا شك أن الذي فعله فيه مراعاة لمصلحتهم ، وهي جريمة عظيمة ولكن حاطباً كان ممن شهد بدراً ، وقد قال ﷺ لما استأذنه عمر رضي الله عنه في قتله : « **إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملو ما شئتم فقد غفرت لكم** » ، وهذا دليل على أنه ليس بشرك لأن الله لا يغفر الشرك ، لذلك الجاسوسية للكفار لو كان يجب أن يُقتل كحد لأقام النبي ﷺ الحد ، كما أقام عمر بن الخطاب الحد على قدامة بن مظعون لما شرب الخمر وهو من أهل بدر ، فالحدود تقام على أهل بدر ، ولو كان للجاسوسية حد لازم لما تركه ، أما غير أهل بدر لو تجسسوا نظر الإمام الحاكم فيهم هل يقتلهم أم لا ، حسب المصلحة ، فيجوز قتل الجاسوس المسلم وليس ذلك واجباً ، والأمر مبني على المصلحة في قتله ، وهذا على الصحيح من أقوال أهل العلم .

ثالثاً : طاعة الكفار : -

قال تعالى : { **يَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ** } [الأحزاب ١]، وقال ﷻ : { **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** } [النساء : ١١٥] ، وقال ﷻ : { **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ * فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ** } [محمد : ٢٥ -٢٦] ، فإذا كانت طاعتهم في بعض الأمر كذلك فأشد منها طاعتهم في كل الأمر .

حكم طاعة الكفار:

إما أن تكون في الكفر أو في المعصية أو في المباح .

١ . طاعة الكفار في الكفر كفر : مثل الطاعة الكاملة لهم مثل أن يقول : كل ما يأمرونني به فأنا متابع لهم فيه ، حتى ولو أمروه بالكفر لكفر – وإن لم يفعل حتى الآن – فهذا من لحظة قوله

ذلك صار كافراً ، ومثل ما يأمرونه بأن يسجد لصنم أو يُعظم الصليب أو ليذبح لغير الله فيُطيعهم على ذلك الأمر بلا إكراه معتبر ، فهذا كافر كفر أكبر .

٢ . أما طاعة الكفار في المعاصي فهو على حالتين :

الحالة الأولى : أن يطيعهم في المعصية وهو يعلم ويقر على نفسه بالمعصية وأنه قد أذنب ، فهذا له حكم أصحاب الذنوب لسلامة اعتقاده .

الحالة الثانية : وأما إذا أطاعهم في المعصية ويرى أنها حلال ولا بأس بها وأن فعلها تقدم وحضارة فهذا كفر لأنه استحلال المعصية وهذا قد فسد اعتقاده .

رابعاً : التشبه بالكفار : -

قال رسول الله ﷺ : « **من تشبه بقوم فهو منهم** » ، فالتشبه بالكفار على التفصيل :

١ . من تشبه بهم في شعائر الكفر مثل تعليق الصليب وشد الزنار فهذا كفر أكبر .

٢ . من تشبه بهم في المعاصي مثل التبرج مثلاً مع اعتقاد أنها معصية فهذه معصية وإن استحل المعصية فقد كفر .

خامساً : الصداقة : -

فمن اتخذهم أصدقاء وأخلاء يقول يوم القيامة : { **يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلاً * لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولاً** } [الفرقان : ٢٨ – ٢٩] ، ولا شك أنها معصية قد تصل إلى الكفر لو تضمن تصحيحاً لمذهبه وحباً له على كفره .

سادساً : النصيحة والمعاونة : -

فمن نصح لهم وعاونهم على باطلهم ومنكرهم فقد اتخذهم أولياء ، قال تعالى : { **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ** } [المائدة :٥١] ، فلو عاونهم على إقامة الكفر لكفر ، كمعاونة النصرة ، وأما من عاونهم على معصية فهو عاصي .

سابعاً : مشاركتهم في أعيادهم وتهنئتهم بها : -

تهنئة الكفار بمظاهر الكفر أو الشرك أمر من أعظم أمور الموالاة خطراً ، وقد ثبت النهي عن النبي ﷺ للأنصار عن اللعب في يومين من أعياد الجاهلية وقال ﷺ : « **إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما بيوم الأضحى ويوم الفطر** » **وحكمها على التفصيل :**

١ . لوتضمنت المشاركة في أعيادهم والتهنئة لهم إقراراً بصحة اعتقاداتهم الباطلة كاعتقاد النصارى في موت المسيح وصلبه – وهو عندهم الرب – وهو يهنئهم معتقداً صواب ذلك فلا شك في كفره .

٢ . ولو شاركهم من باب المجاراه أو من باب حسن العِشرة فهذا ضلال مبين ومن الكبائر ، حتى ولو نسب إلى الدين والدعوة .

ثامناً : بدأ السلام على اليهود والنصارى : -

قد ثبت النهي عن النبي ﷺ قال : « **لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام** » ، فيحرم بدأهم بالسلام.

تاسعاً : من صور الولاء المحرم : السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم مع العجز عن إقامة الدين وطالما أنه لم يصحبه خروج معهم في قتال المسلمين ، كما في الحديث « **لا تساكنوا المشركين ولا تُجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا** ».

صور ليست من الموالاة

هناك أمور ليست من الموالاة لا لغةً ولا شرعاً ، مثل البيع والشراء والاجارة مع الكفار فيما يحل مثله بين المسلمين ، وكذا البر والاقساط لمن لم يقاتل في الدين وقبول الهدية منهم ، ونحو ذلك من الصور التي يأتي ذكرها بالتفصيل .

لذلك قبل الشروع في بيان هذه الصور لابد من معرفة أمرين :

أولاً : هناك طائفة تغالى فى أمر الموالاة وتدخل فيه ما ليس فيه فتحرم على المسلمين معاملة الكفار بأنواع المعاملات التى ورد الشرع بها وتجعل من فعلها موالياً لهم فيجعلون البيع

والشراء مع الكفار موالاة لهم ويستدلون بآيات الموالاة في النهى عن البيع والشراء والاجارة مع الكفار .

ثانيا : الفريق الاخر: الذى يجعل ما ثبت من صور المعاملة وسيلة يحتج بها بالباطل ليتوصل بذلك إلى جواز الموالاة المحرمة مثلاً يقولون : أن الرسول ﷺ باع واشترى مع الكفار ، وقد أهدى الكفار فيستدل بهذا على جواز حب الكفار ونصرتهم وطاعتهم .

لذلك لابد من تحديد النوع الجائز من المعاملات مع الكفار ، وكما بيَّنا ما لا يجوز من معاني الموالاة في اللغة والشرع والأحاديث بينت ما يجوز وما لا يجوز من ذلك .

من المعاملات الجائزة : -

١ . البيع والشراء : -

قال البخاري - رحمه الله - في صحيحه « باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب »

ثم ساق بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ ثم جاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها فقال النبي ﷺ « **بيعًا أم عطية** » أو قال « **أم هبة** » قال : « لا بل بيع » فاشترى منه شاة. فهذا الحديث فيه جواز البيع والشراء مع الكفار وجواز قبول الهدية منهم .

وأيضًا حديث توبة كعب بن مالك رضي الله عنه قال : « فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة .... » فهذا يدل على جواز البيع والشراء مع الكفار الحربيين ، لأن الكفار الحربيين كانوا يدخلون المدينة بأمان للتجارة بيعاً وشراءً ، ولم يكن النبي ﷺ قد عاهد أهل الشام بعد ، فدل على جواز البيع والشراء مع الكفار الحربيين .

يشترط في البيع والشراء مع الكفار الآتي :

أن يكون في ما يحل بيعه بين المسلمين يحل بيعه مع الكفار، فإذا كان الأمر يَحرم مع المسلمين فهو يَحرم مع الكفار ، مثل ما حرم الله علينا من بيع الميتة والخنزير والأصنام والخمر ، فهذه لا تجوز مع مسلم ولا مع كافر ، مثلاً لا يجوز لمسلم أن يبيع للنصارى الخنزير ولا يجوز أن يبيع خمراً بزعم أن هذا من البيع والشراء ، بل هو أمر محرم لأن النهي على العموم ، ومن ذلك الممنوع كل بيع أعان على معصية الله ، لأنه فيه تعاون على الإثم والعدوان ، ولذلك لا يجوز بيع السلاح للكفار ليقاتلوا المسلمين ولا يجوز بيع عنباً للكفار وهو يعلم أنهم يتخذونه خمراً .

٢ . الإجارة :

يجوز للمسلم أن يؤجركافراً ، الدليل : عن عائشة رضي الله عنها قالت : « واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه رجلاً من بني الديل هادياً خريتًا وهو على دين كفار قريش ».

ويجوز للمسلم أن يؤجر نفسه لكافر بمعنى أن يعمل عنده أجيراً ، الدليل ما رواه البخاري في صحيحه عن خباب قال : كنت رجلاً قيناً - حداداً - فعملت للعاص بن وائل فاجتمع لي عنده فأتيته اتقاضاه فقال : « لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد » ، فقلت : « أما والله حتى تموت ثم تُبعث فلا » ، قال : « وإني لميت ثم مبعوث » ، قلت : « نعم »، قال : « فإنه سيكون لي ثمَّ مال وولد فأقضيك » ، فأنزل الله تعالى : { **أَفَرَءَيتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا** } [مريم : ٧٧]، والآيات مكية وهي دليل على جواز أن يؤجر المسلم نفسه فيعمل عند الكافرفي دارالكفر.

ويشترط في الإجارة مع الكفار :

١ . أن يكون فيما يحل عمله ، فلا يجوز أن يعمل ساقياً للخمر أو عاصراً لها .

٢ . ألا يكون فيه مهانة للمسلم مثل أمر الخدمة لأن الله تعالى قال : { **وَلَن يَجعَلَ ٱللَّهُ لِلكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلمُؤمِنِينَ سَبِيلاً** } [النساء ١٤١] ، فلا يجوز أن يعمل خادماً عند الكفار .

٣ . من المعاملات الجائزة مع الكفار وليس من الموالاة : البر والاحسان معهم :

كالإطعام والسقيا والقسط والهبة ، كل هذه من الإحسان والبر ، قال تعالى : { **لَّا يَنـهَـٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَم يُقَـٰتِلُوكُم فِي ٱلدِّينِ وَلَم يُخرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُم أَن تَبَرُّوهُم وَتُقسِطُوٓاْ إِلَيهِم** } [الممتحنة : ٨] ، نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها لما قالت : يا رسول الله إن أمي قدمت عليَّ وهي راغبة أفأصلها ، قال : « **نعم صِلِيهَا** »

وفي الإطعام : قال تعالى : { **وَيُطعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** }

[الإنسان : ٨] ، والأسير في دار الإسلام لا يكون إلا كافراً ، والعدل والقسط معهم ، قال تعالى : { **وَإِن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلمُقسِطِينَ** } [المائدة : ٤٢] ، وهذا عام .

وهناك فرق بين الصلة والبر والعدل مع الكفار بشرع الله وبين المحبة والموالاة التي هي من أعمال القلوب لأن من الممكن أن أُعطي من أكره ، ويمكن أن أقبل الهدية ممن أُبغض .

٤ . قبول الهدية من الكفار وإهدائهم :

كما ثبت أن النبي ﷺ قال للرجل المشرك « **أبيع أم هبة** » وأيضاً بعث صاحب أيلة إلى رسول الله ﷺ بكتاب وأهدى له بغلة بيضاء ، فكتب إليه رسول الله ﷺ وأهدى له برداً ، إثابة على الهدية ، وأيضاً قبل ﷺ هدية المقوقس مارية القبطية أي المصرية .

ولكن كيف يجمع بين هذه الأدلة التي فيها قبول النبي ﷺ الهدية من الكفار وبين أنه ردَّ هدية كافر وقال : « **إني نُهيتُ عن زَبد المشركين** » ، أي عن عطايا المشركين ؟

الجمع : إذا أراد الكافر بالهدية الموالاة يمتنع المسلم من قبول هديته ، ويشرع قبول هدية الكافر واعطائه الهدية لتأليف قلبه للإسلام مما يرجى إسلامه ، كما فعل عمر أنه أهدى أخاه حُلة حمراء يتألفه بها.

أما في أعياد الكفار لا يجوز للمسلم قبول هدية الكافر لأن هذا فيه تعظيم لأعيادهم ، أما إذا أهدى له هدية بمناسبة زواج أو عيد المسلمين مثلاً فيجوز قبولها بشرط ألا يكون ذلك دافعاً للمسلم أن يهدي له في عيده ، لذلك الأمريختلف باختلاف الأحوال ، فتنبه .

٥ . عيادة المريض الكافر :

بشرط : لدعوته إلى الإسلام أو لأية مصلحة شرعية راجحة ، والدليل : أن النبي ﷺ عاد اليهودي ودعاه إلى الإسلام فأسلم ، وعاد عمه أبو طالب ودعاه إلى الإسلام فلم يسلم ، دل ذلك على جواز عيادة المريض .

٦ . الزواج من الكتابية :

قال تعالى: { **وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ** } [المائدة : ٥] فيجوز للمسلم أن يتزوج الكتابية مع الكراهة **بشروط** :

١. بغضها على دينها .

٢ . أن تكون محصنة عفيفة فلا يجوز أن يتزوج زانية ، وهذا الشرط عزيز في بلاد الكفار في وقتنا الحاضر .

٣ . أن يكون الزواج في بلاد الإسلام ، فلا يتزوج كتابية في ديار الحرب، لأن الكفار قد يغلبونه على أولاده ويترتب على ذلك أن يفتن أولاده عن دينهم .

مسألة : كيف يمكن الجمع بين آية المائدة { **وَٱلْمُحصَنَٰتُ منَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلكِتَٰبَ مِن قبلِكُم** }، وبين آية سورة البقرة : { **وَلاَ تَنكِحُواْ ٱلمُشرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤمِنَّ** } [البقرة : ٢٢١] ؟

الجمع : قوله تعالى : { **وَلاَ تَنكِحُواْ ٱلمُشرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤمِنَّ** } هذه الآية عام مخصوص ، يخرج من عموم الآية أهل الكتاب ويكون المقصود بالمشركات غير أهل الكتاب ، فالكتابيات مشركات لكنهن مستثنيات بآية المائدة وهي قوله تعالى : { **وَٱلْمُحصَنَٰتُ منَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلكِتَٰبَ مِن قبلِكُم** } فهذه الآية تخصص آية البقرة : { **وَلاَ تَنكِحُواْ ٱلمُشرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤمِنَّ** } .

٧ . رد السلام عليهم :

قال النبي ﷺ : « **إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم** »

٨ . الاستعانة بالكفارلصالح المسلمين :

هذه في الحقيقة نوع من الإستئجار وهو أيضاً الإنتفاع بما عندهم من أنواع العلوم الدنيوية مثل : الانتفاع بما عندهم من علوم الهندسة والطب والكمياء ، والدليل : « **أن النبي ﷺ استأجر هادياً خريتاً** » ، أي دليلاً ماهراً يدله على الطريق أثناء هجرته ﷺ وأبي بكر ، **وهذا بشرط** :

ألا يكون فيه سلطان على مسلم ، فلا يجوز أن يُعين كافر قائداً للجيش ، ولا أن يُعين قاضياً ولا محتسباً ، قال تعالى : (**وَلَن يَجعَلَ ٱللَّهُ للكَٰفِرينَ عَلَى ٱلمُؤمِنِينَ سَبِيلاً**)

[النساء ١٤١]

٩ . إظهار الموافقة للكفار عند الإكراه والتقية :

أولاً : أمر الإكراه :

يجوز إظهار الموالاة للكفار في حالة الإكراه المعتبر ، قال تعالى : { **مَن كَفَرَ بالله مِنۢ بَعدِ إيمَٰنِهِ إلاَّ مَن أكرِهَ وَقَلبُهُۥ مُطمَئنٌّ بالإيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بالكُفرِ صَدرًا فَعَلَيهِم غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ** } [النحل : ١٠٦] ، فدل ذلك على أن الإكراه يبيح الموافقة باللسان بل الصحيح أنه يبيح الموافقة بالفعل أيضاً ، فمثلاً : من أكره على حراسة كنيسة ننظر في شروط الإكراه إن استوفيت شروط الإكراه فهو معذور ، وإن لم يكن مُكرهاً وكان يمكنه التخلص من ذلك وترك هذا بأية وسيلة من الوسائل فإنه لايكون مُكرهاً ، لذلك لابد من توفر شروط الإكراه المعتبرة .

شروط الإكراه المعتبر :

١ . أن يغلب على ظنه أن المُكره يوقع ما يهدد به .

٢ . أن يكون المُكِره قادراً على ايقاع ذلك ، والمكْرَه عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار .

٣ .أن يكون قلب المكرَه مطمئناً بالإيمان .

٤ .أن يكون تنفيذ الإكراه فورياً ويستثنى في التنفيذ الفوري ما إذا ذكر زمناً قريباً جداً أو جرت العادة أنه لا يُخلف مثله .

٥ . ألا يكون فيه انتهاك لحرمة مسلم أو معصوم .

قال القرطبي رحمه الله : «أجمع العلماء على أن من أكره على قتل غيره ، أنه لا يجوز له الإقدام على قتله ولا انتهاك حرمته بجلد أو غيره ، ويصبر على البلاء الذي نزل به ، ولا يحل له أن يفدي نفسه بغيره ويسأل الله العافية في الدنيا والآخرة » <u>والأكراه له صور منها</u> :

<u>أولاً</u> : الإكراه بالقتل على قتل أخيه المسلم أو انتهاك حرمته ، هذا لايجوز بالإجماع كما قال القرطبي .

<u>ثانياً</u> : أما الإكراه بالقتل على الزنى فله حالتان :

١ . إن أُكره بالقتل على الزنى من إمراة معصومة الدم مسلمة كانت أو ذمية تأبى ذلك لم يَجز له ذلك ، مراعاة لحقها لأنها معصومة ، ولا يكشف لها ثوباً ولو ضُرب أو سُجن أو فُعل به ما فعل لأن ذلك فيه انتهاك لحرمة معصوم ، الإكراه إنما يكون فيما بينه وبين الله ويصبر على ما سوى ذلك.

٢ . أما لو كانت إمرأة حربية أو أنها هي التي تكرهه على فعل الزنا هذا الذي فيه الخلاف بين العلماء ، من العلماء من منعه ومنهم من أجازه ، والصحيح الجواز حال الإكراه المعتبر من قتل أوضرب شديد ، وليس عليه حد .

أما مسألة الضرب : فيه خلاف بين العلماء والصحيح أنه إذا كان الضرب مبرحاً فإنه يسقط عنه إثم الزنا وحده .

<u>ثالثاً</u> : الإكراه بالسجن على الزنا : نقل القرطبي الإجماع أيضاً على أنه لا يعتبر الإكراه على الزنا بالسجن ، ولو سُجن سنين ، لأن يوسف عليه السلام سُجن بضع سنين ولم يقبل الزنا .

رابعاً : الإكراه بالقتل على إتلاف مال أخيه المسلم ، الأظهر والله أعلم أنه يجوز إفساده ويضمنه بعد ذلك ، أما فيما يتعلق ببدن أخيه أو عِرضه فإنه لا يجوز أن ينتهك حرمة أخيه بقتل أو ضرب أو جلد أو انتهاك عرض .

ثانياً : التقية :

قال تعالى : { **لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً** } [آل عمران : ٣٨] .

التقية هي : أن يكون المسلم في سلطان الكفار ويخاف على نفسه ، فيداريهم باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان بالقدر الذي يدفع به شرهم من غير أن يعينهم على مسلم بفعل ولا يدلهم على عورات المسلمين ، ولا ينتهك دماً حراماً ولا مالاً حراماً .

♣♣♣♣♣♣

الباب الثاني الإيمان بالملائكة

الأصل الثاني من أصول الإيمان :-

الإيمان بالملائكة :

قال تعالى : **﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه ﴾ .**

قال ﷺ:« **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره** »

الإيمان بالملائكة يشمل أمور :-

اولا : التصديق بوجودهم ومحبتهم وتوليهم :-

فلا نكتفي بالتصديق بهم بل يجب علينا محبتهم وتوليهم لان اليهود يصدقون بوجود جبريل ولكن كانوا يعادونه فكفرهم الله حيث قال تعالى :**﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾** نزلت هذه الآيات في اليهود عندما سألوا النبي ﷺ عن أدلة نبوته وكانت أمور لا يعلمها إلا نبي ؛ فأقروا له بالنبوة ، ثم سألوه " من يأتيك من الملائكة ؟ " فقال ﷺ : « **جبريل** » قالوا : « ذاك عدونا لو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لاتبعناك » هذا لكفرهم وضلالهم ؛ فإنه من عادى ملكاً من الملائكة فقد عادى الذي أمرهم بالاعمال والطاعات فجبريل لم ينزل بأمر نفسه وإنما نزل بأمر الله فمن عاداه فقد عادى الله لذلك يجب محبتهم وتوليهم .

ثانيا : الاعتقاد أن الملائكة عباد الله تعالى مخلوقون :-

فهم ليسوا آلهة كما يعتقد النصارى فى الروح القدس ولا بنات لله كما اعتقد مشركوا العرب ، وقد ذكر الله الإنحراف في الإعتقاد في الملائكة قال تعالى : **﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ .**

الإعتقادات المنحرفة في الملائكة تشمل :-

١- إعتقاد النصارى : يعتقدون فى روح القدس أنه اقنوم من الاقانيم الثلاثة لله أى شخصية من الشخصيات التى يبدو فيها الإله - تعالى الله عما يقولون علواً كبير- قال تعالى :

﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴾

٢- إعتقاد الأمم الكافرة التى تعتقد بألوهية الملائكة وهى من العقائد القديمة ، إعتقاد أن الملائكة تعاون الله تعالى أو أن الله ترك لهم تدبير الكون - تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا -

قال تعالى : **﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾** ، أى وماله منهم من معين .

٣- إعتقاد المشركين فى الملائكة أنها بنات لله وأن الأصنام ترمز للملائكة قال تعالى **﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ، تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى ، إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾** دلت الآيات على أن اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هى من تسمية الكفار للملائكة بتسمية الأنثى وأنهم عبدوا هذه الأوثان على أنها صور للملائكة التي يتشفعون بها عند الله ويعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى .

<u>ثالثا</u> : الإيمان بصفات الملائكة :-

صفة خلقهم : قال ﷺ : « **خُلِقت الملائكة من نور وخُلِق الجان من مارج من نار وخُلِق آدم مما وصف لكم** » فالملائكة مخلوقة من نور .

وأنهم ذو اجنحة : قال تعالى : **﴿ الحَمْدُ لِلّهِ فاطِرِ السّماواتِ والأرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أولِي أجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْق مَا يَشَاءُ إنّ اللّهَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.**

ومن صفاتهم : أن لهم قوة وإرادة وفعل ، قال تعالى : **﴿ لا يَعْصُونَ اللّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** فنسب الفعل إليهم دليل على أن لهم إرادة ، وقال تعالى عن جبريل أنه ذو قوة حيث قال تعالى : **﴿ إِنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾** ، فالملائكة لهم قوة وفعل لا تتجه إلا فى الطاعة ولا يفترون عن طاعة الله سبحانه وتعالى .

ومن صفاتهم : الحسن والجمال قال تعالى فى حق جبريل عليه السلام :**﴿ ذُو مِرّةٍ فَاسْتَوَى﴾** قال ابن عباس : " **﴿ ذُو مِرّةٍ ﴾** : ذو منظر حسن"

رابعا :- الإيمان بأسماء الملائكة وأعمالهم :-

١- جبريل :-

مُوكل بالوحى ؛ قال تعالى **﴿ قُلْ نَزّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبّكَ بِالْحَقّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾** وفى الحديث القدسى عن الله ﷻ : « **إذا تكلم الله بالوحي فيكون اول من يرفع رأسه جبريل** عليه السلام **فيوحى الله اليه من أمره ما شاء** » وقد يُوكل بأشياء أخرى كما قاتل فى غزوة بدر هو وميكائيل وقاتل فى بنى قريظة ؛ فزلزل قلبهم وحصونهم و أهلك قرى قوم لوط ونحو ذلك .

٢- ميكائيل :-

موكل بالقطر (المطر) : وفى الحديث الحسن أن النبى ﷺ سأل جبريل : "**على أى شئ ميكائيل** ؟ قال : « **على النبات والقطر** » .

٣- إسرافيل :-

موكل بالنفخ فى الصور لقول النبى ﷺ : « **كيف أنعم وقد إلتقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ** » وقد ورد اسمه فى الحديث الصحيح : « **اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات** .... الى آخر الحديث » .

٤ - ملك الموت واعوانه :-

وهو موكل بقبض أرواح العباد ، ومعه أعوان من الملائكة بيض الوجه يقبضون أرواح المؤمنين وآخرون سود الوجوه يقبضون أرواح الكفار والدليل على أنه موكل بقبض الأرواح قال تعالى :**﴿ قُلْ يَتَوَفّاكُم مّلَكُ الْمَوْتِ الّذِي وُكّلَ بكمْ ثُمّ إِلَىٰ رَبّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾** .

أما أعوانه فقال تعالى : **﴿ حَتّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرّطُون ﴾** وقال ﷺ : « **إن العبد المؤمن إذا كان فى إنقطاع من الدنيا و إقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول**...... » هذا فى العبد

المؤمن أما العبد الكافر "قال ﷺ : « **وان العبد الكافر إذا كان فى إنقطاع من الدنيا وإقبال من الاخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول ....** » الحديث .

<u>٥ - منكر ونكير :</u>

وهما فتانا القبر أى يسألان الناس فى قبورهم قال ﷺ : « يأتيه ملكان شديدا الانتهار يقال لاحدهما منكر والاخر نكير فيقولان له : من ربك؟ ومادينك؟ وماذا تقول في الرجل الذى بعث فيكم ؟ » فهما موكلان بسؤال القبر وعذابه ايضا لأن النبى ﷺ قال عن الكافر : « **فيضربانه بمرزبة من حديد لو ضُرب بها جبل لصار تراباً ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شئ الا الثقلان** .... » ويظهر والله اعلم أن لعذاب القبر ملائكة آخرين .

<u>٦- مالك خازن النار :-</u>

قال تعالى : ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ** ﴾ ، وورد في الحديث الصحيح أن النبى ﷺ **رأى رجلاً كريه المرآة كأكره ما أنت راءٍ رجلاً مرآه فإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها فسأل عنه جبريل فقال** : « **إنه مالك خازن النار**» وله أعوان رؤسهم تسعة عشر ؛ قال تعالى فى النار : ﴿ **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** ﴾ وله أعوان آخرون قال تعالى : ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** ﴾ وقال ﷺ : « **يؤتى بجنهم يؤمئذ ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها** » .

<u>٧ - خازن الجنة :-</u>

قال ﷺ فى حديث الشفاعة : « **آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت فأقول : محمد فيقول : بك امرت الا افتح لأحد قبلك** » اما تسميته برضوان فالحديث الوارد بذلك ضعيف فالصحيح هو خازن الجنة هذا الذى ورد .

<u>٨ - الكرام الكاتبون</u> :-

هم الذين يحصون على الناس اعمالهم ؛ قال تعالى : **﴿ وَإِنّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِين كِرَاماً كَاتِبين يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾** أما رقيب وعتيد فهما صفتان لكل واحد من الملائكة وليسا اسمين ونحن لا نعلم اسماءهما فكل واحد منهما رقيب يراقب العبد وعتيد أى ينتظر مايفعله العبد ؛ فملك الحسنات يكتب الحسنات وملك السيئات يكتب السيئات ؛ قال تعالى: **﴿ مَا يَلْفِظ مِن قوْلٍ إلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾.**

<u>٩ - ومنهم المعقبات الذين يتعاقبون على العباد</u> :-

قال تعالى : **﴿ لَهُ مُعَقّبَاتٌ مّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ ﴾** أى بأمر الله تعالى يحفظونه.

<u>١٠ - حملة العرش</u> :-

وهم ثمانية ؛ قال تعالى : **﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾** وغيرهم كثير **﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبّكَ إلّا هُوَ ﴾** منهم مَن هم ركوع أبداً ومَن هم سجود أبداً ومنهم قائمين أبداً ومنهم الذين يأتون البيت المعمور كما قال ﷺ : « **البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم** ».

الواجب على المسلم :-

حب الملائكة وتوليهم وإكرامهم بإبعاد المسلم نفسه عن المعاصي ومحاولة التشبه بهم فى طاعتهم لله ؛ قال تعالى : **﴿ يُسَبّحُونَ اللّيْلَ وَالنّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾** فالمسلم يتشبه بهم فى تسبيحهم لله وأيضاً قال النبي ﷺ : « **ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم** » قالوا: « وكيف تصف الملائكة عند ربهم » قال : « **يتمون الصف الأول ويتراصون في الصف** » .

♣♣♣♣♣♣

الباب الثالث : الإيمان بالكتب

الأصل الثالث من أصول الايمان :-

أنزل الله عز وجل على رُسُله صلوات الله عليهم وسلامه كُتباً هى من كلامه وفيها شرائعه سبحانه وتعالى كما قال تعالى﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ** ﴾

وقد ذكر الله عز وجل منها فى القرآن :-

١ – التوراه:- وأنزلها سبحانه على موسى قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾{القصص ٤٣} وفى حديث الشفاعة من حديث أنس ابن مالك مرفوعاً«... **فيأتون ابراهيم فيقول: لستُ هُناكم – و يذكر خطيئته التى أصابها – ولكن ائتوا موسى عبداً أتاه الله التوراه وكلمه تكليماً** ».

٢ – الأنجيل : أنزله الله على عيسى ابن مريم عليه السلام ، قال تعالى ﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖوَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌوَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾

٣ – الزبور :- أنزله الله على داود عليه السلام قال تعالى ﴿ **وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**﴾ .

٤ – صحف ابراهيم وموسى : قال تعالى فى سورة الأعلى﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾.

٥ – القرآن العظيم :- انزله الله على نبيا محمد ﷺ قال تعالى ﴿ **قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖقُلِ اللَّهُ ۖشَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚوَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**﴾.

" **القرآن قد وعد الله تعالى بحفظه** " لانه الذى تبقى شريعته إلى أخر الزمان قال تعالى ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ أما الكتب السابقة فقد استحفظها الله أهل الكتاب – أى طلب منهم أن يحفظوها – ولم يقوموا بذلك كما قال تعالى ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء** ﴾**{المائده}**.

" **وايضاً القرآن جعله الله مُهيمناً على ما قبله من الكتب السابقه** " أى شاهداً ومصدقاً لما فيها من الحق يؤكده ويؤيده ، وشاهداً على ما زاده أهل الملل السابقة عليها مما ليس فيها وشاهداً على ما نقصوه وبدلوه وحرفوه قال تعالى ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ .

ومثال ذلك مما شهد القرآن على بطلانه ذكر صلب المسيح كما هو مكتوب فى الإنجيل ، قال تعالى ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ فهذا من التبديل الذى شهد القرآن على بطلانه.

التحريف الذى وقع فى كتب أهل الكتاب

التوراة:-

ظاهر الأدلة تدل على أن التوراة التى كانت بأيديهم أيام النبى ﷺ هى التوراة التى أنزلها الله ولكن وقع التبديل فى أشياء فيها،وليست كتاباً مخترعاً بالكلية، لأن الله قال ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ فأتوا بالتوراة ، فجعل القارئ يقرأ حتى أتى على أية الرجم فوضع يده عليها ، وهذا دليلٌ على أن هذه الأسفار التى كانت بأيديهم سُميت التوراة ، أما كونها وقعت فيها التحريف هذا لاشك فيه ، فليست التى أنزلها الله كما هى تماماً .

فالتوراة التى بأيدى اليهود اليوم فيها ما يجزم معه كل من أطلع عليها ويقطع بأنه وقع فيها من التحريف شئ كثير . مثل إدعائهم صفات النقص فى الرب تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً كما هو مذكور فى العهد القديم أن الله بعد أن أغرق الأرض بالطوفان ندم وبكى حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة ، واشد من ذلك يقولون أن اسرائيل صرع الرب بينما هو يطوف فى الأرض – وكان اسمه يعقوب – فعندما صارع الرب تعالى الله عما يقولون أمسك بحقويه – أى بوسطه – منعه من أن يصعد الى السماء حتى أنعم عليه بلقب إسرائيل " اصرع إيل" الذى معناه "صرع الرب " مما يجزم ببطلانه أيضاً أن الله قال بزعمهم : يعقوب ابنى البكر وعندهم أن ادم ابن الله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

الإنجيل :-

والذى يظهر أن الإنجيل الذى بين أيديهم فيه من الإنجيل الحق وليس هو الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام ووقع فيه تبديل ، وفيه سيرة المسيح كتبها الحواريون وأتباعهم أو غيرهم

ولم يقولوا إن هذا هو الكتاب الذى أنزله الله على المسيح ، لكن فيها من كلام المسيح مما أوحاه الله إليه .

فالكتاب المقدس عند النصارى يتضمن للعهد القديم وهو التوراة وما شابهما من الزبور ورسائل أخرى ، والعهد الجديد وهو الإنجيل ، قرر مجمعهم الثانى للفاتيكان سنة ١٩٧٥م أن العهد القديم يتضمن شيئاً من البطلان وفيه المتناقضات الكثيرة التى لا يمكن الجمع بينها ، والعهد الجديد الذى بين أيديهم فيه من التناقضات ما يُجزم معها بوقوع تحريف وهم لا يعرفون لها حلاً ، وان كانوا يحاولون تأويله ، واحتاروا فى الجمع بين ما ورد فى إنجيل وما ورد فى إنجيل أخر ، وما ورد فى العهد القديم وما ورد فى العهد الجديد ، ولكن الجمع بين ذلك مستحيل ومما يدل على التبديل والتحريف فى الإنجيل ذكر صلب المسيح وذكر قيامته من الاموات .

<u>أنواع التحريف الذى وقع فى هذه الكتب</u> :-

لقد نص القرآن على أن ما بأيدى أهل الكتاب اليوم من الكتب وقع فيه التحريف وهى ثلاثة أنواع :-

١ – **تحريف كتابة** : قال تعالى ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ فهذا النوع هو أن يكون الكتاب نفسه محرفاً لأنهم كتبوه ونسبوه إلى الله .

٢ – **تحريف لسان** : قال تعالى ﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِاللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ وهذه الإية ايضاً نص واضح فى أنهم يحرفون بألسنتهم ويزعمون كلاماً يقولون أنه من الكتاب المقدس ومن عند الله ، وما هو من عند الله .

٣ – **تحريف المعانى** : وهو أن يظل اللفظ موجوداً لكنهم يحرفون معناه ، قال تعالى ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** ﴾ وإنما ذكرنا هذه الاية خصوصاً لاجل انها ثابتة فى أية الرجم التى هى موجودة فى التوراه بلفظها ، وادعى اليهود أن عندهم فى الزنى بعد الاحصان الجلد والتحميم كما سبق فى بيان مسألة الحكم بغير ما أنزل الله .

مسألة :- كيف اذن قدر الله كوناً أن يبدل الناس كلامه ؟

الجواب :- إن الله جعل هذه الكتب مؤقتة بزمن وكل نبى يأتى ليقود قومه بما أوجب الله عليهم فى هذه الكتب وهو سبحانه لم يعد بحفظ هذه الكتب كما أنزلت .

لكن القرآن فقد وعد الله بحفظه لأن شريعة القرآن باقيه إلى أخر الزمان ، وأما الذى أنزله الله وتكلم به فهو عنده سبحانه لاتبديل فيه ولا تحريف قال تعالى **﴿ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ﴾** أما أن ينتشر بأيدى الناس من الكتب التى ليست من كلام الله ، يقال إنها من كلامه ، فهذا أمر أخر لا تدل الأية على عدم وقوعه ، فلا تبديل لكلمات الله الكونية ولا تبديل لكلماته الشرعية التى أنزلها ، وإلا لكان ذلك يعنى استحالة وقوع خطأ فى بعض نسخ القرآن مع أن هذا قد يقع ، فليس هذا تبديلاً لكلام الله فقد توجد نسخ فيها أخطاء مطبعية واليهود قد حاولوا ذلك التحريف فى القرآن مراراً وتكراراً ، والشيعة عندهم طائفة حاولت إضافة سورة سُميت سورة (الولاية) ولا شك فى كفر هؤلاء ولا يُعد ذلك تبديلاً لكلمات الله .

ولكن الفرق بين القرآن وبين هذه الكتب أن النُّسخ التى وقع فيها تحريف أو خطأ فى نُسخ القرآن، لا يمكن أن تنتشر دون أن يدرى الناس بها ، لأن الله سبحانه وتعالى قيض لهذا الكتاب من يُبين ما هو منه وما ليس منه ، وقد تعهد الله بحفظه فسوف يظهر أى تحريف أو تبديل أو تغير أو خطأ فى نُسخ القرآن ، لكن الكتب السابقة هذه التى وقع فيها تحريف ويمكن أن تنتشر ويُقال للناس هذا الذى أنزله الله ويكون كلام الله الحقيقى مختفياً أو غير ظاهر ، وهذا يستحيل أن يقع فى القرآن

فصل : ما وقع فى الكتب السابقة من شرائع فهى على ثلاثة أقسام

القسم الأول : ما وقع فى هذه الكتب من الشرائع مما يخالف شريعة القرآن فهو منسوخ ولا يجوز العمل به مثال ذلك : تعظيم يوم السبت فقد قال تعالى **﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾** فهذا منسوخ بتعظيم يوم الجمعة ، لأن النبى ﷺ أمرنا بتعظيم يوم الجمعة دون تعظيم يوم السبت فهذا أمر عُلم نسخه .

وكذلك ما ذكره الله سبحانه **﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِـلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْبِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾** فهو قد حرم على نفسه – لحوم الإبل وألبانها – فهذا مما حرَّم الله على بنى اسرآئيل ثم قال تعالى أيضاً **﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ**

الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ فهذا كله مما علم نسخه ، لذلك نقول : إن ما خالف القرآن فهو منسوخ لا يجوز العمل به تعبداً ولا أعتقاداً لثبوته .

ووقوع النسخ بين الكتب مما ينكره أهل الكتاب وينكره مبتدعة زماننا ، فوجود النسخ ثابت فى القرآن ، قد وردت فيه أيات ثم نُسخت فإن كان النسخ واقع فى القرآن فبالأولى أنه وقع فيما خالف القرآن من الكتب السابقة والشرائع التى فيها .

القسم الثانى : ما وقع فى هذه الكتب السابقة من شرائع مما يوافق شرع الله فى القرآن فهذا يجب العمل به على الصحيح كما قال تعالى **﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾** وهذا يوافق شرع القرآن وهذه المسألة التى تكلم عليها العلماء " أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد شرعنا بخلافه " ولكن هذا إذا ورد فى شرعنا ما يدل على أنه شرعهم وذلك من خلال إخبار القرآن وأخبار النبى ﷺ ان الله شرع لهم كذا ولا يخبرنا عن تغير هذا الحكم فى شرعنا ولم يرد عندنا ما يخالفه فهذا يكون شرعاً لنا ، وهذا هو الصحيح فى هذه المسألة المختلف فيها بين العلماء .

المثال على ذلك الأية **﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس...... والسن بالسن والجروح قصاص ﴾** ولم يرد فى القرآن أن الله قال شرعتُ لكم يا أمة محمد ﷺ أن السن بالسن ومع ذلك عندما كسرت الربيع ثنية امرأةٍ أخرى قال النبى ﷺ « **يا أنس كتابُ الله القصاص** » فليس فى كتاب الله أن السن بالسن إلا هذه الأية ، وهى أخبرت أن الله كتب عليهم فى التوراة ذلك ، فشرعنا موافق لشرعهم فى ذلك وهو مأخوذ من أن الله سبحانه كتب عليهم فى التوراة ولم يرد ما يخالفه .

القسم الثالث : أما شرائع أهل الكتاب التى لم يرد فى القرآن ولا فى السنة أثبات ولا نفى لها فلا يعمل بها أيضاً فلا ندرى ما شأنها وليس هناك إحتياج إليها لأن هذه الشرائع كما ذكرنا منسوخة ونحن لا نتعبد بما نجده فى كتبهم .

فصل

القرآن: " كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه غير مخلوقة منه بدأ وإليه يعود "

" القرآن كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه":-

فهو محفوظ حروفاً ومعانى فلم يرد بالمعنى فقط ، بل لم تُغيرّ ألفاظه ولا هى تحتمل التغير كالحديث القدسى مثلاً ، فالحديث القدسى من كلام الله من حيث المعنى أو اللفظ فهو من الفاظ النبى ﷺ ولا يلزم أن يكون الله قد تكلم بالالفاظ بعينها ، وإنما نجزم بأنه قد تكلم بالقرآن حروفه ومعانيه .

" القرآن كلام الله حقيقة " :- أى ليس مجازاً وليس حكاية عن كلام الله ولا عبارة عن كلام الله كما يقول الأشاعرة .

" غير مخلوق " :- فالقرآن غير مخلوق أى لم يكن معدوماً ثم وُجد ، فالإنسان يكون عاجزاً عن الكلام ثم يتكلم ، فالإنسان لم يكن متكلماً ثم صار متكلماً لإن كلامه حادث مخلوق بعد أن لم يكن ، أما كلام الله فليس مخلوقاً فالله تعالى لم يزل متكلماً إذا شــــآء ، فالكلام صفه من صفات الله وفعلّ من أفعاله .

الرد على من قال أن القرآن مخلوق :-

١ . قال تعالى **﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾** فالامُر غير الخلق فالقرآن من أمر الله وأمره غير خلقه والدليل أن القرآن من الأمر قال تعالي **﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾.**

٢ . قال تعالى **﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾** فالأشياءُ يكّونها اللهُ سبحانه بكلمته " كُنْ " فكلمة " كُنْ " ليست مخلوقة لانها من كلام الله وإنما يخلق الله الخلق بأمره وهو " كُنْ " فالأمر غير الخلق.

٣ . ومن الاحاديث التى تدل أن القرآن غير مخلوق أن النبى ﷺ قال « **من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك** » ومعلوم أنه لا يُستعاذ إلا بالله أو بصفات الله وأنه لا يستعاذ بمخلوق ، فالنبى ﷺ أمرنا أن نستعيذ بكلمات الله الكونية فهذا يدل أن القرآن كلام الله غير مخلوق لانه لا يستعاذ بمخلوق ، وهذا فيه رد على المعتزلة الذين نفوا صفات الله ، ومن ضمن ما نفوه صفة الكلام لذلك قالوا عن القرآن أنه مخلوق .

" القرآن منه بدأ إليه يعود " :-

فالقرآن من الله بدأ بمعنى أن الله هو الذى تكلم به ابتداءً ، وكل من يُنسبَ إليه القرآن بعد ذلك فإنما قاله مبلغاً ومؤدياً عن الله قال تعالى**﴿ إِنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾** فالقول هو قول جبريل أى أن جبريل قاله مبلغاً عن الله تعالى ، وأيضاً قال تعالى **﴿ إِنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾** فقد نسبَ القرآن إلى النبى ﷺ على انه قوله ولكن على سبيل الرسالة والتبليغ ، فقولنا " منه بدأ " أى أن الله هو الذى تكلم به ابتداءً " وإليه يعود " فقد ثبت فى الأحاديث أن القرآن يعود إلى الله يوم القيامة يُسرى به من المصاحف ومن الصدور بحيث لا يقدر الناس على أيةٍ منه ولا على حرف ولا يبقى فى الأرض شئ وكما قال النبى ﷺ « **أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع** " قالوا : هذه المصاحف تُرفع فكيف بما فى صدور الرجال ؟ قال : «**يسرى عليه ليلاً فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا إله إلا الله ويقعون فى قول الجاهلية واشعارهم وذلك حين يقع عليهم القول** » وهذا قبل قيام الساعة لأن الساعة لا تقوم وفى الأرض أحد يقول : الله الله كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم .

♣♣♣♣♣♣

الباب الرابع : الإيمان بالرسل

الأصل الرابع من أصول الايمان :-

الايمان بالرسل : هو التصديق بالرسل والأنبياء أجمعين .

الفرق بين الرسول والنبى :

الرسول : هو نبى أُمِرَ بإبلاغ شرع جديد ، و**النبى :**هو المبعوث لتقرير شرع رسول قبله والدليل على التفريق بينهما قوله تعالى:**﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.**

صفات الرُسل

الرسل بشرمن البشر جعلهم الله واسطة بينه وبين خلقه فى ابلاغ شرعه :

الرسل بشر من البشر: والدليل قال تعالى لخير رسول أرسِل على الاطلاق محمد ﷺ :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وهذا يقتضى أنهم خلقوا مما خلق منه البشر كما قال تعالى **:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾** وعلى هذا فإعتقاد أن الرُسل مخلوقين من نور إعتقاد باطل، أما كونهم نور للقلوب يهدون إلى الصراط المستقيم فهذا معنى حق بلاشك ، قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾** فهو ﷺ منير يبين للناس الحق ويهديهم الى صراط العزيز الحميد كما قال تعالى **:﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.**

وأما الأحاديث التى يحتج بها من يعتقدون أن الرسول ﷺ كان مادةُ خلقه من النور أو من يزعمون أن الرسول ﷺ كان يمشى فلا يرون ظله على الارض أو أنه قال : « أو تدرى أول ما خلق ربك يا جابر؟ قال : نور نبيك يا جابر » هذا كله ضعيف وموضوع .

فالرسل واسطة بين الله وخلقه فى ابلاغ شرعه :

أى أن الله جعلهم سفراء بينه وبين خلقه كى يبلغون كلامه وشرعه وأوامره ونواهيه وليسوا واسطه يُعبَدون من دون الله أو يُقرّبُون الناس إلى الله زلفى كما يعتقد كثير من الناس فيعتقدون فيهم أنهم وسطاء تُصرف لهم العباده ويُتوَكل عليهم حتى يتقرب الإنسان إلى الله ، تعالى الله عن ذلك

علواً كبيراً قال ﷺ : « **لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبدُالله ورسوله** » فلابد من الإقرار بعبوديته وبرسالته فهى رسالة من الله إلى الخلق ، لذلك نقول : هم عباد الله لا يُعبدون فلايجوز أن تُصرف لهم العبادة من دعاء أو ذبح أو نذر أو حلف ونحو ذلك مما يفعله عُبّاد القبور والمغالون فى الرسول ﷺ أو فى غيره ولايجوز أن يُنسب لهم ما ليس لهم كأن يُنسب لهم علم الغيب كما قال تعالى آمراً نبيه ﷺ أن يقول : ﴿ **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ .

ولذلك قول القائل مخاطباً النبى ﷺ : من فيض جُودك ذى الدنيا وضُرّتهُا ومن علومك علمُ اللوح والقلم . مبالغة وغلو فلا يجوز ان يقول : من فضل عطائك يا محمد الدنيا وضرتها وهى الأخرة ، ومن علومك علم اللوح و القلم وهذا كلام خطير، فالله يأمر نبيه ﷺ أن يقول :﴿ **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ فهو لا يملك لنفسه ﷺ نفعا ولا ضرا فكيف يملك لغيره ﷺ ، وكيف يملكه بعد وفاته ﷺ.

أهل الإسلام فى الإعتقاد فى الأنبياء وسط بين اليهود والنصارى :-

اليهود : قتلوا الأنبياء وكذبوهم .

والنصارى : ألهوا نبيهم ورفعوه فوق منزلته .

أهل الإسلام وسط فى ذلك : يقولون هم عباد الله و رُسل ، ويطيعونهم كرُسل ولا يعبدونهم ولا يصرفون لهم شيئاً من العبادات .

عصمة الرســـل

من صفات الرسل أنهم معصمون من ارتكاب المعاصى .

الأجماع منعقد على عصمتهم من :

١. **الشرك :** الرسل لا يشركون بالله شيئاً وذلك لأن الله تعالى اصطفاهم واجتباهم وهداهم والشرك ينافى ذلك .

٢. **الكبائر الظاهرة والباطنة :** فالأنبياء معصومون من الكبائر الظاهرة كالزنى والسرقة وكل ما فيه حد ، ومعصمون من الكبائر الباطنة كالحسد والكبر والعجب .

٣. **الصغائر المزرية :** كسرقة حب أو قُبلة من إمرأة لا تحل ، فإن هذه الصغائر المزرية تزري من منصبهم فالأنبياء والرسل معصومون منها .

٤. **عصمتهم فى التبليغ :** فالرسل لا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم ، لأن الكتمان خيانة ، والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾** فالرسل معصومون من الأخطاء والنسيان فى البلاغ عن الله قال تعالى :**﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴾** وقال تعالى: **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾.**

والخلاف السائغ بين أهل العلم فى عصمتهم من الصغائر الغير المزرية :-

الراجح: عصمة الانبياء والرسل من جميع المعاصى عموماً بمعنى عصمتهم من تعمد إرتكاب المعصية.

والدليل على أن الأنبياء لا يتعمدون المعصية ولا المخالفة قول النبى ﷺ للذى قال له : « **إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله** » أو قال: « **اتق الله وأعدل** » فقال النبى ﷺ **:** « **ويحك فمن يطع الله إن عصيته ؟** » . مفهوم الحديث أنه إن عصى النبى ﷺ ربه لم يطع الله أحد ، فهو إستفهام إنكاري يعنى : كيف يطيع الله أحدٌ من الناس إن عصاه النبى ﷺ ؟

ومثل هذا قوله تعالى عن صالح :﴿ **فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ** ﴾ بمعنى : لو أن الرسول ﷺ عصى الله لانتصر منه ولما وجد من ينصره ، ولم يقع قط أن الله إنتصر من رسول أو عاقب رسولاً أو عذبه وإنما انتصر لهم وأكرمهم ودمر أعدائهم ، لذلك جعلهم الله قدوة للعباد وبكونهم لا يعصون الله عمداً كما قال تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ فهذه الأية من أدلة العصمة.

ولكن كيف نجمع بين هذه الأدلة التى تدل على عصمة الرسل من تعمد ارتكاب المعصية وبين ما صرح القرآن بتسمية ما وقع منهم ذنباً قال تعالى من أدم:﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ وقال تعالى عن موسى ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

الرّحِيمُ ﴾ وقال النبى ﷺ فى حديث الشفاعه عن عيسى ﷺ ائتوا محمداً ﷺ عبداً قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وغير ذلك كثير ؟

الجواب : نقول أن ذنوب الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، بمعنى أن الأنبياء لعلو شأنهم وارتفاع منزلتهم عند الله عز وجل قد يؤخذون بأشد مما يؤاخذ به غيرهم ، فترك الأفضل فى حقهم يسمى ذنباً والخطأ والنسيان يسمى فى حقهم ذنباً والفتور عن الذكر يسمى ذنباً يستغفرون الله عز وجل ويتوبون منه .

الدليل على ذلك : -

آدم ﷺ : قال تعالى **﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾** فمعصية آدم كانت نسياناً كما قال تعالى **﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾** فسمى الله معصيته نسياناً وما كان ينبغى له أن ينسى كما ينسى باقى الناس .

موسى ﷺ : قال تعالى**﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرّحِيمُ ﴾** قال النبى ﷺ : « **وإنما قتل موسى الذى قتل من أل فرعون خطأ** » فنص النبى ﷺ أن القتل الذى وقع من موسى لم يكن بقصد القتل ولكن كان خطأ، مع أنه كان قتلاً لكافر لم يؤمر بقتله فى ذلك الوقت قال موسى ﷺ : « **إنى قد قتلتُ نفساً لم أومر بقتلها** » كما فى رواية حديث الشفاعة عندما يذكر خطيئته التى أصاب ، فكانت خطيئة موسى ﷺ أن قتل نفساً لم يؤمر بقتلها ، نفس كافر قتله خطأ ، فهذا دليل أن الانبياء لم يتعمدوا الخطأ.

إبراهيم ﷺ : فخطيئته التى أصاب هو ما قاله النبى ﷺ : « **لم يكذب إبراهيم النبى عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين فى ذات الله** » وعند التأمل نجد انها من التعريض ليس كذبات صريحة وأن اثنتين منها فى الدعوه إلى الله :-

١ – قوله : **﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾** وهى معلقة على **﴿إنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾** يعنى : إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم.

٢ _ قوله على الكواكب **:﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾** هذا على سبيل التنزل مع الخصم ، فمعنى الكلام فنفترض أن هذا ربى ، فهل يصلح أن يكون رباً ؟ وقوله :**﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾** يعنى : سأسقم ، كقول :**﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾** يعنى : سوف تموت أو يعنى : إنى سقيم منكم وفى قلبى ألم وضيق مما تعبدون

٣ – قوله عن ساره إنها أخته وكان يقصد إنها أخته فى دين الله ليتخلص من القتل ، وهذا نوع جائز لأحاد الناس ولكن لعلو شأن إبراهيم عليه السلام سماه خطيئة وسماه ذنباً

نوح ﷺ: هناك وجهان فى خطيئته التى أصاب :-

الوجه الأول : أنه دعا على قومه كما قال تعالى :﴿ **رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا** ﴾ فدعاؤه على قومه فى الحقيقة أنها ليست بخطيئة فى حق الناس ولكن كان أحب إلى الله تعالى أن يصبر ولا يدعو عليهم هذا الدعاء الشديد ، والأفضل ترك الدعاء عليهم.

الوجه الثانى :أنه قال كما فى حديث الشفاعة **:** « **إنى سألت ربى ما لم يكن لى أن أسال** »

يعنى فى قوله تعالى :﴿ **رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِين** ﴾ وذلك فى الحقيقة سؤال عن حكمة إهلاكه رغم أنه من أهله فى ظنه عليه السلام فهو يسأل عن الحكمة وهذا فى الحقيقة ليس بذنب ولا معصية ، فالملائكة قد سألوا الله:**﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾** مع أن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فيتبين بهذا أنه لعلو شأنه عليه السلام ما كان ينبغى له أن يسأل.

يونس ﷺ : عندما دعا قومه إلى الله فلم يستجيبوا له فأنصرف عنهم بلا إذن فظن أن الله لم يضيق عليه ويجوز الإنصراف ، فكان هذا خطأ فى الإجتهاد قال تعالى :﴿ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾** ، فقال تعالى :﴿ **فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ** ﴾ أى ظن أن الله لن يضيق عليه إذا إنصرف عن قومه بلا إذن.

يوسف ﷺ : فى قوله تعالى **:﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلآ أَنْ رَأَى بُرْهَـٰنَ رَبِّهِ** ﴾ فهذا الهم هو حديث نفسه على أصح أقوال أهل العلم ، وحديث النفس الذى يكون معه وجود رغبة فى المعصية فيتركه الأنسان لله تعالى يثاب عليه ولا يعد ذنباً ، وأما قوله تعالى :﴿ **وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ فأصح الأقوال أن ذلك قول امرأة العزيز وليس قول يوسف.

النبى ﷺ : لقد عاتب الله عز وجل النبى ﷺ فى الخطأ المذكور فى قوله تعالى :﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾ فإن النبى ﷺ تولى عن الأعمى من أجل الأنشغال بالدعوة إلى الله ودعوة رؤساء قريش الذين كان يرجو فى اسلامهم

قوه للإسلام فكان اجتهاد منه ﷺ ، وكذلك قبول النبى ﷺ الفداء فى أسرى بدر فنزل العتاب{ **ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الأرض**} وإنما أراد أن ينتفع ﷺ بالمال على حرب الكفار ولم يكن يريد عرض الدنيا فكان هذا خطأ فى الإجتهاد ، وأيضاً مثل الفتور عن الذكر ، قال النبى ﷺ : « **إنه ليغان على قلبى إنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة** » الغين : الفتور عن الذكر ، فقد بيَّن ﷺ أنه يستغفر الله ويتوب إليه من فتوره عن الذكر فى أوقات يقل فيها الذكر بحكم البشرية .

فتبين من خلال هذه الأدلة ، أن الأنبياء لعلو شأنهم وارتفاع منزلتهم عند الله يكون النسيان والخطأ وترك الأفضل والفتور عن الذكر يسمى ذنباً فى حقهم يستغفرون الله ويتوبون إلى الله منه

وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل

الإيمان بالرسل : هو أن نؤمن بهم جميعاً كما قال تعالى :**﴿ آمَنَ الرّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رّبّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّن رّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾** بمعنى عدم التفريق بين أحدِ من الرسل ، ويكون الإيمان بهم ، إجمالاً وتفصيلاً :

الإيمان المجمل :-

هو التصديق الجازم بجميع الأنبياء والرسل الذين قصصهم الله علينا فى القرآن الكريم والذين لم يقصصهم الله كما قال تعالى **﴿ مِنْهُم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾.**

فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً وكفر بالذى أرسلهم ، قال تعالى :**﴿ كَذّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾** ، فقد جعلهم الله مكذبين بجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه فالكُفر برسول واحد كُفر بجميع الرسل سواء أكان كفر تكذيب أى الإعتقاد أنهم كاذبون أو كفرإباء و إستكبار أو كفر معاده وبغض ، كاليهود الذين كفروا بالرسول ﷺ كفر معاداه ، فهذا فى الحقيقة كفرٌ بالله الذى أرسلهم ، قال تعالى :**﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ، أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ، وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.**

فالتفرقة بين الله ورسله أن يقولوا : نؤمن بالله ولا نؤمن بالرسول ، مثل اليهود يزعمون أنهم يؤمنون بالله ولا يؤمنون بمحمد ﷺ ، وأيضا لا يؤمنون بعيسى ﷺ ، النصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله ولا يؤمنون بمحمد ﷺ ، فهؤلاء كفار بالله لأنهم فرقوا بين الله ورسله

وكذلك التفرقة بين الأنبياء : كمن يقول نؤمن بعيسى ﷺ ولا نؤمن بمحمد ﷺ كما هو حال النصارى فهؤلاء كفار حقاً.

فمن يُجّوزُ تكذيب أى رسول فهو كافر خارج من الملة كالذى يقول إن النصارى ليسوا بكفار رغم تكذيبهم للرسول ﷺ ، وهذا الأمر لا يتصور فيه الجهل ، لأنه لابد أن يشهد أن محمداً رسول الله ﷺ فلو قال للذى يشهد بأن محمداً كذاب : أن قوله وأعتقاده لا بأس به فهذا أقل درجاته أنه مرتاب فى صدق الرسول ﷺ لأنه يصحح تكذيبه كما يصحح تصديقه وكلاهما عنده حق فهذا كفر ناقل عن الملة ، فالذى لا يُكفرُ من يكذب بالنبى ﷺ فهو كافر خارج من الملة ، وذلك لأنه يعلم أنهم لا يصدقون النبى ﷺ ومع ذلك يصوب مذهبهم ويراه خطأ يسيراً مثل معصية صغيرة من الصغائر فنص القرآن يدل على أنه كفرٌ لأن الله قال عنهم :﴿ **وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ**﴾ فإيمانهم ليس صادقاً ، قال الله عنهم **:﴿ أوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً ﴾.**

وهناك من يزعم أنه يؤمن بالرسول ﷺ ولكن رسول إلى العرب فقط فهذا ننتقل معه مباشرة إلى الدرجه التالية ، فبناء على أنه يؤمن بأنه رسول وصادق فى كل ما يقول فيما قاله عن الله ، نقول له : قال تعالى :﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً** ﴾ ، قال تعالى :﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً** ﴾ فالرسول ﷺ أخبرعن الله أنه أرسله إلى الناس جميعاً فمن كذب بذلك فقد كذب الله ، فلابد أن يقر بأن محمداً ﷺ رسول الله الى الناس كـــافة.

الإيمان المفصل :-

يجب أن نؤمن تفصيلاً بالخمسة والعشرين نبياً المذكورين بأسمائهم فى القرآن ، وأول نبى هو أدم ﷺ كما فى حديث أبى أمامة رضى الله عنه : أن رجلاً قال **: يا رسول الله أنبىٌ كان أدم ؟** قال : « **نعم مكلّم** » .

وأول رسول بعثه الله على الصحيح نوح ﷺ كما فى حديث الشفاعة : « **...ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض** » وآخر الأنبياء والرسل محمد ﷺ ؛ قال تعالى :**﴿ مّا كَانَ مُحَمّدٌ أَبَا أَحَدٍ مّن رّجَالِكُمْ وَلَكِن رّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النّبِيّينَ ﴾**

ومن الخمسة والعشرين نبياً : الخمسة أولى العزم ؛ وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى و محمد صلوات الله عليهم جميعاً قال تعالى ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى** ﴾ فهؤلاء الخمسة هم الذين يذهب الناس إليهم يوم القيامة فى الشفاعة.

ثم باقى الخمسة والعشرين وهم : إسحاق ويعقوب وداود وسليمان وأيوب ويوسف وهارون وزكريا ويحيى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط وهود وصالح وشعيب وذوالكفل وإدريس صلوات الله عليهم جميعاً و تسليماته ، فهولاء نؤمن بهم تفصيلياً من حيث ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم.

التفاضل بين الأنبياء والرسل

قال تعالى :﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ فالتفضيل بين الأنبياء حاصل بأمر الله لأن الله سبحانه هو الذى فضل بينهم ، وقد ظن البعض من الأية ﴿ **لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** ﴾ أى لا نُفضل فلا يجوز فى ظنهم أن نقول : أيهم أفضل ؟ وهذا خطأ لأن المقصود من عدم التفرقة بينهم أى فى الإيمان بهم ، وليس المقصود عدم التفضيل بين الرسل ،فهناك فرق بين التفريق والتفضيل أما حديث النبى ﷺ : « **لا تفضل بين انبياء الله** » معناه :لا تفضل بالهوى وبالرأي وكذلك لا تفضل بطريقة فيها تنقيص من المفضول ، لأن النبى ﷺ قال ذلك عندما جآءه يهودى يشتكى صحابياً لطمه عندما قال اليهودى : « **والذى اصطفى موسى على البشر** » فقال الصحابى : « **تقول والذى اصطفى موسى على البشر والنبى ﷺ بين أظهُرنا** » فالنبى ﷺ مصطفى لكن هذا لا ينافى اصطفاء الله عز وجل لموسى برسالاته وبكلامه فأراد النبى ﷺ أن يبين أن التفضيل الذى يقتضي التنقيص من المفضول لا يجوز ، وكذلك التفضيل بمجرد الرأى والهوى.

أفضل الأنبياء على الأطلاق:

هو محمد ﷺ ؛ قال ﷺ : « **أنا سيد الناس يوم القيامه ولا فخر** » فهو ﷺ خير الخلق على الأطلاق وأفضل من جبريل عليه السلام .

ثم إبراهيم ﷺ : فهو بعد النبى ﷺ فى الفضل : وعن أنس بن مالك قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : « **يا خير البرية** » ، فقال رسول الله ﷺ : « **ذاك إبراهيم** » فخير البرية محمدٌ ﷺ و بعده إبراهيم ﷺ إنما قلنا بعده ، لأن إبراهيم من ولد آدم والنبى ﷺ قال : « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامه ولا فخر** » إنما قال ﷺ للذى قال له يا خير البرية فقال: « **ذاك إبراهيم** » إما تواضعاً لأبيه ، وإما أن ذلك كان قبل أن يوحى إليه أنه سيد ولد آدم والذى يظهر والله تعالى أعلم أن ذلك أوحى إليه بعد ، حين أوحى الله إليه :﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾ .

ثم موسى ﷺ : ونقل ابن كثير رحمه الله عن أهل العلم قولهم بأفضلية موسى ﷺ وهذا مأخوذ من حديث الإسراء وإن لم يكن صريحاً فى التفضيل ففيه أن موسى ﷺ بكى وقال : « **ربِّ لم أظن أن يُرفع علىَّ أحد** » أى ممن أتى بعده فلما رُفع النبى ﷺ تبين أنه أفضل من موسى ﷺ ، وموسى بعد إبراهيم لأن إبراهيم ﷺ فى السماء السابعة وموسى ﷺ فى السادسة.

وأهل العلم يذكرون أفضلية الرسول ﷺ ثم إبراهيم ثم موسى عليهم الصلاة و السلام ، وتكلم المتأخرون على تفضيل عيسى ثم نوح عليهما الصلاة والسلام وهم أولى العزم من الرسل ، وأما من سواهم من الأنبياء فنتوقف فى التفضيل بينهم ، بل الأظهر والله تعالى أعلم فيجب علينا التوقف بعد موسى ﷺ .

فصل

والمسلمون هم أتباع الأنبياء كما أن فى كل عصر مسلمين ، لأن دين الأنبياء واحد ، فلا يظن أحدً أن اليهود اليوم أتباع موسى ﷺ وأن النصارى اليوم أتباع عيسى ﷺ ، فإن أتباع موسى ﷺ مسلمون وأتباع عيسى ﷺ مسلمون ، فنحن معشر المسلمين أتباع موسى وأتباع عيسى وأتباع كل

الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، لأن دين الأنبياء واحد وهو الإسلام ودعوة الأنبياء جميعاً دعوة واحدة وهى الدعوة إلى توحيد الله تعالى وحده لا شريك له قالى تعالى :﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ ، وقال تعالى :﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ وقال تعالى :﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾

فدين الأنبياء جميعاً واحد وهو الإسلام :

قال تعالى عن نوح ﷺ :﴿ **وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ وقال تعالى عن إبراهيم ﷺ ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ وقال عن موسى ﷺ :﴿ **قَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ** ﴾ وقال تعالى عن عيسى ﷺ :﴿ **وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ** ﴾ وقال تعالى عن يوسف ﷺ :﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ فهذا يدلنا على أن الدين الوحيد الذى نزل من السماء وإلى جميع الأنبياء هو الإسلام ، أما قوله تعالى ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ فمعناه البراء من أديانهم ، فدين الإسلام هو السماوى الوحيد ، وبقية الأديان غير سماوية أو ما يزعمونه من زمالة الأديان التى معناها أن الأديان كلها متشابهة ومتساوية وكلها لا بأس بها فهذا كفر .

فصل

إتباع محمد ﷺ فرض على كل مكلف من الإنس والجن إلى يوم القيامة أذا بلغته الرسالة :-

إتباع محمد ﷺ ليس مجرد التصديق بنبوته فقط ، وإنما إتباعه أى لزوم شريعته التى أتى بها وهذا فرض على كل مكلف إلى يوم القيامه ، ولكن بقيد وهو بعد بلوغ رسالته ﷺ .

لأن النبى ﷺ قال : « **و الذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحدٌ من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار** » رواه مسلم ، فالذى لم تبلغه الرسالة لايُكلف بها قال تعالى :﴿ **لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُوْنَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لاَ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِيْ بَرِيْءٌ مِمَّا تُشْرِكُوْنَ** ﴾ فأما من بلغته الرسالة فكذب بها أو لم يتبع النبى ﷺ أو قال عن النبى ﷺ هو للعرب فقط فهو كافر.

ومن إعتقد أنه يسوغ لأحد أن يكون مع محمد ﷺ كما كان الخضر مع موسى فيكون غير ملتزم بشريعة محمد ﷺ فهو كافر بالأجماع :-

نقصد بهذا الكلام طوائف كثيرة من الصوفية الذين يحتجون بقصة الخضر على قولهم بمخالفة الحقيقه للشريعة ويعتقدون أن الشريعة للعوام وأما الخواص فهم أهل الحقيقة الذين وصلوا فى ظنهم لليقين وهو شهود القدر فيسقط عنهم التكاليف ، فعندهم من وصل إلى اليقين وهو شهود القدر ليس له أن يعبد الله متأولين قوله تعالى :﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾ . قالوا اليقين : هو شهود القدر، فتسقط التكاليف وهذا كفر ناقل عن الملة ، قال النبى ﷺ : « **والذى نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى** » فلو كان موسى حياً لاتبع شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

تحقيق المسألة فى شأن الخضر عليه السلام :-

الخضر فيه خلاف بين العلماء هل هو من الأنبياء أم لا ؟ هذا من الخلاف السائغ لأن النصوص ليست قاطعة ولا ظاهرة فيه ، فالصحيح التوقف فى ذلك ، لا نُثبت النبوة ولا ننفيها عنه ، لأنه يحتمل أن يكون قوله :**﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾** أنه أتاه أمرٌ من الله مباشرةً فيكون وحياً ويكون هو نبياً ، ويحتمل أن يكون أمراً من الله لأحد الرسل فى زمن الخضر عليه السلام ثم أمرَ الرسولُ به الخضر ، فالأدلة محتملة غير قاطعة والنبى ﷺ لم يُخبر عن نبوته ولا ذكره الله سبحانه ضمن الأنبياء المذكورين ، وإنما ذكر الله تعالى أنه عبدٌ أتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً الراجح : لانُثبت له النبوة ولا ننفيها عنه .

لذلك فى هذه القضية كان موسى ﷺ على شريعة أخرى غير شريعة الخضر ، فالخضر خرق السفينة وأصلح الجدار وهذان الأمران يُحتمل أن تأتى شرعيتنا بمثلهما وهو ارتكاب المفسدة اليسيرة لدفع المفسدة الأكبر – فى حالة السفينة – وكالأحسان إلى من أساء إلينا – فى حالة الجدار – ، أما قتلةُ الغلام فهذا غير محتمل فى شريعتنا نهائياً فإن هذا الأمر أى قتل الغلام لابد أن يكون بوحى قاطع ولا يصلح أن يكون مجرد إلهام لولى .

مع أننا نُثبت الألهام والكشف وهما من كرمات الأولياء كما قال تعالى :**﴿ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ ﴾.**

معتقد أهل السنه أن الكشف والألهام حق للأولياء – مثل بعض الصحابة كُشف لهم عن الملائكة وسمعوا صوتها ومنهم من رأى الملائكة فى صورة نورانية مثل –أسيد ابن حضير- ولكنهما يقبلان الخطأ والصواب فهما ليس على سبيل الجزم والقطع فقد يكونان حديث نفس أو وسوسة شياطين تقع للأولياء ولا يعرفها الولى فى تلك اللحظة ، مثل عمر ابن الخطاب وهو سيد الملهمين بنص الحديث ولكن قد وقع فيما وقع فيه يوم الحديبية وعمل لذلك أعمالاً ، وقال : « **ما شككت الا يومئذ** » فهو يومها كان يشك أن الرسول ﷺ قد يكون أخطأ لا أنه شك فى نبوته ﷺ وإنما شك أنه أخطأ فى هذا المقام وجعل يتردد بين النبى ﷺ و أبى بكر محاولاً عدم أتمام الصلح وقال : « **فعملت لذلك أعمالاً** » فهو ملهم ولكن إختلط عليه الأمر وحدثته نفسه أن الصلح خطأ مع أن الصلح كان فتحاً مبيناً بنص الأية .

أما عند الصوفية الكشف والألهام حق ونبأ قاطع ووحىً قاطع لايحتمل عندهم أن يكون خطأ أبداً وهذا باطل .

الغرض المقصود : أن خروج أحد عن الشريعة لا يجوز ولا خلاف أصلاً بين الحقيقة والشريعة ، لأن الخضر لم يكن يبنى عمله على مجرد إلهام له كولى فقط ، فقد قدمنا أنه قد يكون نبياً وقد يكون متبعاً لشريعة نبى أخر غير موسى ، لأنه من غير المحتمل أن يأتى إلهام لأحد الأولياء بأن يقتل غلاماً صغيراً لأن هذا محرم فى كل الشرائع لكنه حدث فى شريعة الخضر خصوصاً بوحى فيه تعيين لذلك الغلام بأن يُقتل.

و ايضاً أن الخضر خرج عن شريعة موسى ﷺ لأنه كان فى زمن موسى الذى كان نبى بنى إسرائيل ، والنبى ﷺ شريعته ملزمةٌ لجميع الخلق كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا** ﴾ فعلى القول بحياة الخضر الأن – وهى مسألة فيها أجتهاد والراجح أنه ليس بحى لأن – لا يجوز أن نقول إنه صاحب حقيقة يخالف الشرع ويأتى بالبدع والضلالات ويترك الصلوات ويترك صوم رمضان ولا يلزمه اتباع الشريعة لانه صاحب حقيقة فمن قال ذلك فهو كافر، لأن شريعة النبى ﷺ غير شريعة سيدنا موسى ﷺ ، فشريعة النبى ﷺ عامة إلى جميع الناس وشريعة موسى خاصة ببنى أسرآئيل.

إدّعاء النبوة بعد النبى ﷺ

قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله** » وقد وقع فى عهد ﷺ ادّعاء النبوة من مسيلمة الكذاب والأسود العنسى وطلحية الاسدى، ومنهم من تاب كطلحية ومنهم من قتل على الكفر .

فكل من ادعى النبوة بعد النبى ﷺ فهو كافر ومن صدَّقهُ فهو كافر وهذا معلوم من الدين بالضرورة فقد قال تعالى :﴿ **مّا كَانَ مُحَمّدٌ أَبَا أَحَدٍ مّن رّجَالِكُمْ وَلَكِن رّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النّبِيّين** ﴾ فهذه الأية نص واضح أن الرسول ﷺ خاتم النبيين ، وأما تأويل هؤلآء الكذابون فى الأية ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّين﴾ يعنى أفضلهم مثل الخاتم ، فهذا تأويل باطل مخالف للمعلوم من الدين بالضرورة ، فقد قال ﷺ : « **لا نبى بعدي** » وقال ﷺ : « **وخُتم بي النبيون** »

وقال ﷺ : « **وأنا الحاشر الذى يُحشر الناس على عقبى أنا العاقب** » والعاقب : الذى ليس بعده نبى .

<u>وبناءً على ما قدمناه :-</u>

فطوائف البابية التى تعتقد بنبوة (الباب) والبهائية التى تعتقد بنبوة (البهاء) القاديانية التى تعتقد بنبوة (محمد غلام قديانى) كلهم كفار نوعاً وعيناً خارجين عن الإسلام ولا يُعذرون بالجهل فى ذلك لمخالفتهم للمعلوم من الدين بالضرورة.

♣♣♣♣♣♣

الباب الخامس الإيمان باليوم الأخر

الإيمان باليوم الاخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان ، و كثيراً ما يُقرن بالايمان بالله سبحانه وتعالى ، كما فى قوله تعالى { **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الأخر**} وقال تعالى { **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الأخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** } وهذا تعظيم لأهمية هذا الركن لأنه لا يحصل للعبد إيمان إلا به .

*** يتضمن هذا الباب ثلاثة مباحث :-**

١ – المبحث الأول : الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

٢ – المبحث الثانى : الإيمان بأشرطة الساعة.

٣ – المبحث الثالث : وهو الإيمان بالنفخ فى الصور وأهوال القيامة والبعث والنشور والشفاعة والحساب وتطاير الصحف و الميزان و الحوض والصراط و الجنة و النار

المبحث الأول : " الايمان بعذاب القبر ونعيمه "

القبر هو أول منزل من منازل الأخرة كما قال ﷺ « **إن القبر أول منزل من منازل الأخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر ، ومن لم ينجو منه فبعده أشد** » .

وحياة القبر هى فترة البرزخ ، والوجود فى القبر هو الغالب فى تلك الفترة ، وإلا فلو أن إنساناً أكلته السباع أو حُرق أو غرق فى الماء فهذا أيضاً يناله النعيم والعذاب ما شاء الله بعد سؤال الملكين له : من ربك ؟ وما دينك ؟ وما تقول فى الرجل الذى بعث فيكم ؟

الأدلة على إثبات عذاب القبر ونعيمه :-

١ . قال تعالى { **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الأخرة ويُضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشآء** } وثبت أن ذلك فى سؤال القبر كما ذكر المفسرون للأية الكريمة

٢ . وقال تعالى{ **مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً** }

٣ . وقال تعالى { **النار يعرضون عليها غدوا وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** } .

٤ . ومن السنة :- أمر النبى ﷺ حين قال : « **تعوذا بالله من عذاب القبر** » وكان ﷺ إذا تشهد قال « **اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال** »

٥ . ايضاً مر ﷺ بقبرين فقال « **أما إنهما ليُعذبان وما يُعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله ..** »

٦ . وذكر ﷺ أن المؤمن فى قبره يفتح له باب إلى الجنة ، فيأتيه من نعيمها ، وأن الكافر يفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، كما فى حديث البراء بن عازب فقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده وقال القرطبي في التذكرة إنه صحيح عَن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ « **خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِيَ الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ قَالَ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي قَالَ وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ وَغَضَبٍ قَالَ فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ثُمَّ قَرَأَ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ »..

<u>حكم من شك أو أنكر عذاب القبر :-</u>

ومن شك فى عذاب القبر ونعميه أو جعله مما لا فائدة فيه ، أو الكلام فيه لا ينبغى فهو ضال ، ولو أقيمت عليه الحجة وأصر بعد قيامها عليه فهو كافر ، لكن هذه المسائل مما يجهله كثير من المسلمين فلابد من أقامة الحجة .

<u>المبحث الثانى : " الإيمان بأشراط الساعة "</u>

ومن الإيمان باليوم الاخر ، الإيمان بأشراط الساعه وهى ثلاث أقسام :-

<u>**القسم الأول** :- اشراط قد ظهرت ومضت :-</u>

مثل بعثة ﷺ وموته وفتح بيت المقدس والفتنة التى وقعت بين الصحابة بعد مقتل عثمان ثم اجتماع الأمة بعد ذلك ، ومنها قتال الترك وفتح القسطنطينية .

<u>**القسم الثانى** : - اشراط ظهرت ولم تنقضي بل لا تزال فى زيادة :-</u>

وهو من جنس الأمور المعتادة مثل الفتن ، فيكثر القتل وتكثر الزلازل ويقل العلم ويكثر الجهل وتنتشر المنكرات والفواحش ونحو ذلك .

<u>**القسم الثالث** :- الأشراط الكبرى وهى لم تحدث بعد والتى يعقبها الساعة :-</u>

<u>**١ – أولها ظهور المهدى :-**</u>

وهو رجل من أهل بيت النبى ﷺ اسمه كأسم النبى ﷺ واسم أبيه كاسم أبى النبى ﷺ ، فاسمه محمد بن عبد الله وهو من أولاد فاطمة من نسل الحسن يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مئلت ظلماً وجوراً قال ﷺ « **لا تنقضى الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يُواطئ اسمه اسمى** » رواه احمد والترمذى وابو داود .

والذى يظهر من مجموع الأدلة أن المسيح بن مريم عليه السلام ينزل ويصلي خلف المهدي ولكن ليس هناك نص قطعى فى ذلك .

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله فى " البدايه والنهايه " جملة فى إثبات المهدى وأحاديث المهدى متواتره فمن انكره[١] فهو جاهل أو مبتدع وأحسن أحواله أنه جاهل ، لأن الأحاديث فيه كثيرة جداً لا يمكن انكارها.

---

[١] **أنقسم الناس فى المهدى إلى طرفان ووسط** :-
الطرف الاول:من يُنكر خروج المهدى مثل بعض الكُتَّاب المعاصرين الذين ليس لهم خبره بالنصوص وأقوال أهل العلم.
الطرف الثانى:من يُغالى فى أمر المهدى من الطوائف الضاله،حتى ادَّعت كل طائفه لزعميهم أنه المهدى المنتظر ، فالرافضه تدعى أن المهدى هو إمامهم المنتظر الذى ينتظرون خروجه من السرداب او يسمونه محمد ابن الحسن العسكرى ، دخل فى السرداب فى سامراء طفلاً صغيراً منذ أكثر من ألف سنه وهم ينتظرون خروجه.
الوسط فى أمر المهدى:هم أهل السنه والجماعه الذين يُثبتون خروج المهدى على ما تقضى به النصوص الصحيحه من اسمه واسم ابيه ونسبه وصفاته ووقت خروجه ، لا يتجاوزون ما جاء فى الاحاديث من ذلك أ ه " الارشاد الى صحيح الاعتقاد للفوزان

٢ – ظهور الدجال :-

وهو رجل من بنى أدم فيما يظهر أعور العين اليمنى ، كأن عينه طافية فهى مطموسة والاخرى- الشمال - ناتئة بارزة ومكتوب بين عينيه " كافر " يقرؤها كل مؤمن ولو لم يكن قارئاً وهو موجود الأن كما أخبر تميم الدارى النبى ﷺ بذلك فصدقه ، فهو موجود فى إحدى جزر البحر من المشرق ، مكبل بالحديد ، ومن أمره أنه يطأ الأرض كلها إلا مكة والمدينة ، ويبدأ أمره بأن يقول : إنه رسول الله وأنه المسيح ثم بعد ذلك يدعى الإلهية ، وهو يهودى وأعوانه هم اليهود كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم « **يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون الفاً عليهم الطيالسة** »

وفتنة الدجال فتنة عظيمة فهو يكون معه جنه ونار ، فالتى يراها الناس جنة هى نار، والتى يراها الناس ناراً هى ماء عذب ويأتى بخوارق عظيمة يفتن بها الناس ويتبعه كثير منهم ويُسلط على رجل واحد مؤمن من أهل المدينة يشهد انه الدجال فينشره الدجال فيقطعه قطعتين ويمشى بينهما ثم يقول له : قم ، فيحيبه الله تعالى فتنة للناس ، ويسأله الدجال : هل أمن به أم لا ؟ فيقول : والله ما ازددت فيك إلا بصيرة أنت الدجال الذى أخبرنا عنه رسول الله ﷺ روى مسلم من حديث النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداةٍ فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا ، فقال« **ما شأنكم** » قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداةً فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فقال « **غير الدجال أخوفنى عليكم؟! إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامروُ حجيج نفسِهِ والله خليفتى على كل مسلم إنه شابٍ قطط عينه طافئه كأنى أشبههُ بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلةً بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا ، قلنا : يا رسول الله وما لبثُهُ فى الارض ؟ قال " أربعون يوماً ، يوم كسنةٍ ويوم كشهر ويوم كجمعه وسائر أيامه كأيامكم " قلنا يا رسول فذلك اليوم الذى كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يوم ؟ قال:"لا اقدروا له قدره"**قلنا يا رسول الله وما إسراعُهُ فى الارض ؟ **قال :"كالغيث استدبرته الريح فيأتى فى القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمُرُ السماء فتمطر والارض فتنبُت فتروح عليهم سارحتُهمُ أطول ما كانت ذُراً و أسبغهُ ضُرُوُعاً وأمدهُ خواصير ، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم فيصبحون مُمحلين ليس بأيديهم شئ**

من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعُه كنوزها كيعاسيب النخل ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيُقبل ويتهلل وجهُهُ يضحك ، فبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وأذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفهُ فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ... »

<u>٣ – نزول المسيح عيسى بن مريم :-</u>

ثم ينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقى دمشق ويصلى مع المسلمين خلف إمام منهم ، حيث كانوا يصفون الصفوف لقتال الدجال ، ثم يطلب المسيح الدجال فيدركه عند باب " لُد " بقرب بيت المقدس فيقتله ، وتقوم الملحمة الكبرى مع اليهود عقب الدجال فحينها يقتل المسلمون اليهود ، فيختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر ويقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى ورائى تعالى فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود .

وعندما ينزل عيسى بن مريم يقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية أى يقبلها فلا يقبل إلا الإسلام ، وتحكم الارض بشريعة النبى صلى الله عليه وسلم قال رسول الله ﷺ : « **والذى بنفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد** »

<u>٤ – خروج يأجوج ومأجوج :-</u>

وفى زمن عيسى عليه السلام يخرج يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان من بنى أدم عظيمتان جداً فى العدد يملأن الأرض فساداً وفجوراً ، كما فى حديث النواس ابن سمعان «......**إذ اوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم إنى قد أخرجتُ عباداً لى لا يدان لأحدٍ بقتالهم فحرّز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر أخرهم فيقولون لقد كان فهذه مرَّةً ماء ، ويُحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبىّ الله عيسى وأصحابه فيرسلُ الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدة، ثم**

يهبط نبى الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون فى الارض موضع شبر الا ملأهُ زهمُهم ونتنهم فيرغب نبىّ الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البُخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكنَّ منه بيت مدر ولا وبرٍ فيغسلُ الأرض حتى يتركها كالزلفة ،.....» أما الملحمة الكبرى مع النصارى فهى تسبق ظهور الدجال وتكون فى الشام

<u>٥ – الخسف :-</u>

وهو خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وهى زلازل عظمى يحصل فيها انخساف يعنى انهيار عظيم للأرض كما قال النبى ﷺ « **إنها**- يعنى الساعة- **لن تقوم حتى تروا قبلها عشر أيات ، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف ، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم** » رواه مسلم .

<u>٦ – الدخان :-</u>

ومن أشراطة الساعة كما ذكر الله فى القرآن " الدخان " قال تعالى { **فارتقب يوم تأتى السمآء بدخان مبين**} وكما ذكر النبى ﷺ قال « **لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات وذكر فيها الدخان** ..... » ، يأخذ المؤمن كالزكمة ويتغشى الكافر .

<u>٧ – الدابة :-</u>

وأما الدابة ، فيُخرجُ اللهُ تعالى من الأرض دابة تكلم الناس ، أن الناس كانوا بآيات الله لا يؤمنون كما قال تعالى { **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دآبة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بأيتنا لا يوقنون** } ولا يفر منها هارب ولا يدركها طالب ، وتسم الناس – أى تجعل عليهم علامات - بأعمالهم حتى ينادى الناس بعضهم بعضاً : يا مؤمن يا كافر فيُصبح ما فى القلوب ظاهراً .

<u>٨ – طلوع الشمس من مغربها :-</u>

وأما طلوع الشمس من مغربها فهى من آخر الآيات وايضاً الدابة ، فأيتها كانت قبل أختها فالآخرى على إثرها ثبت فى الصحيحين من حديث ابى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « **لا**

تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، إذا رآها الناس أمن من عليها ، فذاك حين لا ينفعُ نفساً ايمانُها لم تكن أمنت من قبل »

٩- هدم الكعبة :-

ويهدمها ذو السويقتين كما قال النبى ﷺ « **يُخربُ الكعبة ذو السويقتين من الحبشة** » والظاهر أن ذلك بعد زوال الأسلام من الأرض .

١٠- نار تحشر الناس إلى أرض المحشر :-

وتخرج هذه النار من اليمن كما أخبر النبى ﷺ ولا يدرك المسلمون هذه العلامة، لأن الناس يومئذ لا يكون فيهم مسلم حيث أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق .

وكل ما ذكرنا من قبل من الأيات و الأشراط قد استفاضت به الأحاديث ولذلك فالتكذيب بشئ منها ضلال وبدعة لاخلاف عند أهل السنة فى ذلك .

ومع كل هذه الأشرطة فلا يعلم وقت قيام الساعة ملك مقرب ولا نبى مرسل ، فلا يعلمه إلا الله وحده سبحانه ، قال تعالى { **إن الله عنده علم الساعة** } { لقمان : ٣٤ }.

المبحث الثالث :- وهو النفخ فى الصور وأهوال القيامة والبعث والنشور والشفاعة والحساب والميزان والحوض والصراط والجنة والنار .

النفخ فى الصور

ويجب الإيمان بالنفخ فى الصور ، وأن الله تعالى يأمر إسرافيل أن ينفخ فى الصور نفختين ، نفخة الفزع والصعق ، ونفخة القيام ، وبين النفختين أربعون .

قال تعالى { **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا ما شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فأذا هم قيام ينظرون** } { الزمر ٦٨} ، وروى مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً « **ما بين النفختين أربعون** » قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون عاماً ؛ قال : أبيت ... » .

وهناك أمور عظام تحصل : منها تُدك الجبال قال تعالى { **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً** } ومنها أن الأرض تُبدل كما قال تعالى { **يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار** } هذه الأرض

تُبدل صفتها وتُمدُّ وتبسط ، وأيضاً قال تعالى { **إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت** } وقال تعالى { **إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحُقت وإذا الأرض مُدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت** } فهذه أمور تحصل بين النفختين .

البعث والنشور[1]

البعث :- هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم ، فإن الله يجمع أجساد المقبورين التى تحللت ويُعيدها بقدرته كما كانت ثم يُعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء قال تعالى { **وضرب لنا مثلاً ونسيَ خلقه قال من يُحي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** } .

الأدلة على البعث :-

١ . قال تعالى { **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفسٍ واحدة إن الله سميع بصير** } { لقمان ٢٨ }

٢ . قال تعالى { **زعم الذين كفروا أن لن يُبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتُنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير** } {التغابن ٧}

٣ . ومن السنة روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **لا تفضلوا بين أنبياء الله ، فإنه يُنفخ فى الصور فيُصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا ما شاء الله ، قال : ثم ينفخ فيه مرة أخرى فأكون أول من بُعث فإذا موسى آخذ بالعرش** ... » وحديث أبى سعيد الخدرى فى الصحيحين « **فأكون أول من تنشق عنه الأرض** » فدل الحديثان على بعث الله تعالى للأموات يوم القيامة من قبورهم إلى أرض المحشر .

الحشر

دلت النصوص على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحشر حُفاة عُراةً غُرلاً ، قال تعالى { **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً** } { الكهف ٤٧ } وقال تعالى { **يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار** } .

---

(١) تم إضافة هذا الجزء إلى الكتاب لتكملة الفائدة (البعث والنشور والحشر) واختصرة من كتاب " أصول الإيمان" تأليف محموعه من العلماء .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول « **يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عُراة غُرلا** » قلت : يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟! قال ﷺ « **يا عائشة الأمر اشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض** » .

- فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفداً ، والوفد : هم القائمون الرُّكبان قال تعالى { **يوم نحشرُ المتقين إلى الرحمن وفداً** } { مريم ٨٥} .
- ويحشر الكفار إلى النار على وجوههم عُمياً وبكماً وصماً قال تعالى { **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عُمياً وبكماً وصماً** } { الاسراء ٩٧} .

الشفاعة

الشفاعة حق ، ثبتت بالكتاب والسنة ، ومنكرها بالكلية يكفر لإنكاره ما ثبت فى الشفاعة الشرعية فى القرآن قال تعالى { **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** } .

تعريف الشفاعة :-

فى اللغة : الزوج ، وذلك أن من طلب شيئاً يذهب إلى من يطلب له طلبه ليصير طلباً مزدوجاً ، فالناس يذهبون يوم القيامة إلى من يشفع لهم ، أى يطلب نفس طلبهم فيكون طلباً مزدوجاً .

حقيقة الشفاعة :-

أن الله تعالى هو الذى يتفضل ويغفر لأهل التوحيد والإخلاص عن طريق دعاء من أذن له أن يشفع عنده ليكرمه بذلك وينال المقام المحمود ، فهى تكرمة للشافع ومغفرة للمشفوع فيه برحمة الله تعالى وإذنه .

ولا تصح الشفاعة عند الله تعالى إلا بشرطين :-

أحدهما : إذن الله تعالى للشافع أن يشفع ، كما قال تعالى { **من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه**}. **وقال تعالى** { **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** } {سبأ ٢٣} .

الثانى : رضا الله عن المشفوع له أن يُشفع فيه ، قال تعالى { **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**} وقال تعالى { **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشآء ويرضى** } فقد جمعت الأية بين الشرطين الإذن والرضا وهذه هى الشفاعة الثابتة فى القرآن .

فتبين بهذا بطلان ما علية القبوريين الذين يطلبون الشفاعة من الأموات ويتقربون إليهم بأنواع القربات ، فقد قال تعالى فى سلفهم { **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** } {يونس ٢٨} وقال تعالى { **أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون** } {الزمر ٤٣:٤٤} فهذه هى الشفاعة الشركية ، لأنها بدون إذن الله ورضاه .

أنواع الشفاعة :-

١ – منها الخاص بالنبى ﷺ : وهى الشفاعة فى الإراحة من هول الموقف بأن يأتى الله ليفصل بين عباده فى أرض المحشر وهى التى يتراجع عنها الأنبياء واحداً بعد واحد ، آدم ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى صلوات الله عليهم جميعاً ، ويقول النبى ﷺ « **أنا لها أنا لها** » .

٢ – الشفاعة فى استفتاح باب الجنة : « فيشفع النبى ﷺ ويأخذ بحلقة باب الجنة ويسأله الخازن من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك » فهو صلى الله عليه وسلم أول من يستفتح باب الجنة ، فيشفع ﷺ فى أهل الجنة بأن يُؤذن لهم بدخول الجنة .

٣ – شفاعته ﷺ فى أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، يدخلون من الباب الأيمن لا يدخل غيرهم ، وهم شركاء الناس فى باقى الأبواب الثمانية.

٤ – الشفاعة لمن استحق دخول النار ألا يدخلها وهى الشفاعة التى تكون على الصراط وهى خاصة بالرسل قال ﷺ عند ذكر المرور على الصراط « **ولا يتكلم يومئذٍ أحدٌ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم** » .

٥ – الشفاعة فى خروج عصاة الموحدين من النار ، وهى للأنبياء والملائكة والمؤمنين ثم يُخرج أرحم الراحمين أقواماً من النار ويدخلون الجنة بغيرعمل عملوه ولا خير قدموه فى من يقول : لا إله إلا الله والأحاديث فى هذا متواترة والذى ينكرها كالمعتزلة والخوارج فهو ضال مضل .

٦ – الشفاعة فى رفع درجات المؤمنين فى الجنة كما قال تعالى { **والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذُريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ** } {الطور} أى ما أنقصناهم من عملهم من شئ ، ورد فى تفسيرها أن المؤمن يقول :"يارب أين أمى ؟ أين أبى ؟ أين أخى ؟ فيقال :

إنهم لم يعملوا مثل عملك ، فيقول : يارب كنت أعمل لى ولهم " فيرفع الأدنى إلى الأعلى فيجعلون معاً .

٧ – شفاعته ﷺ فى عمه أبى طالب فى تخفيف عنه العذاب دون الخروج من النار ، قال النبى ﷺ عنه « **أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي فيهما دماغه** » .

٨ – شفاعته ﷺ فى قومٍ تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة .

الحساب[١]

الحساب هو : تعريف الله عز وجل للخلائق بمقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك قال تعالى { **يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه** } {المجادله ٦ } .

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الحساب على نوعين :-

النوع الأول : -

حساب المؤمن :-

١. وهو أن الله يخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وُصف ذلك بالكتاب والسنة ، كما قال تعالى { **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يُحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً** } {الانشقاق ٨ ،٩ } وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « **إن الله ُيدنى المؤمن فيضع عليه كنفهُ ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول : أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا ، أتعرف ذنب كذا ، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى نفسه أن قد هلك قال فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته** » ، فالمؤمن يحاسب حساباً يسيراً.

٢. من المؤمنين من يدخل الجنة بغير حساب كما صح فى حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب .

---

(١) أضفت هذا الجزء إلى الكتاب وهو من كلام الشيخ الفوزان من شرحه على الوسطية وكتاب الأرشاد .

٣. والحساب منه المناقشة ، وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك** » فقلت يا رسول الله ﷺ أليس قد قال الله تعالى { **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً** } فقال رسول الله ﷺ : « **إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب** » .

النوع الثانى :-

حساب الكفار :- قال شيخ الإسلام " وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حسنات لهم " أى ليس لهم حسنات توزن مع سيئاتهم لأن أعمالهم قد حبطت بالكفر فلم يبق لهم فى الأخرة إلا سيئات .

محسابتهم معناه : أنهم تعد أعمالهم فتحصى عليهم ويقرون بها ويجزون بها أى يخبرون بأعمالهم الكفرية ويعترفون بها ثم يجازون عليها كما قال تعالى { **فلنُنبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ** } {فصلت ٥٠} .

- أول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة لقول النبى ﷺ « **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وان فسدت فسد سائر عمله** »

واول ما يقضى بين الناس فى الدماء لقول النبى ﷺ « **أول ما يقضي بين الناس يوم القيامةِ فى الدماء** » متفق عليه .

تطاير الكتب

الإيمان بأخذ الكتب : يُقصد بها كتب الأعمال التى تؤخذ باليمين أو بالشمال .

قال تعالى { **وكل إنسانٍ ألزمناه طائره فى عنقه ونُخرجُ له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا**}ً. **الناس فى أخذ الكتب ينقسمون إلى قسمين :-**

القسم الأول : من يأخذ الكتاب باليمين وهم المؤمنون ، قال تعالى { **فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هآؤم اقرءوا كتابيه ، إنى ظننتُ أنى مُلاقٍ حسابيه ، فهو فى عيشةً راضية ، فى جنةٍ عالية ، قطوفوها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية** } الحاقة {١٩ : ٢٤ }

وقال تعالى { **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً** } وذلك هو العرض { **وينقلب إلى أهله مسروراً** } .

<u>القسم الثانى</u> : منهم من يأخذ الكتاب بالشمال من وراء الظهر وهم الكفار والمنافقين ، قال تعالى { **وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه** } وقال تعالى { **وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً إنه كان فى أهله مسروراً إنه ظن أن لن يحور** } يدعو على نفسه بالهلاك والويل .

الميزان

قال تعالى { **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبةٍ من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** } وقال تعالى { **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** } فهو ميزان حقيقى له لسان وكفتان ويُزن فيه أعمال الناس ، قال تعالى { **فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشةٍ راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نارٌ حامية** } كما قال ابن عباس : من رجحت حسناته على سيئاته بواحده دخل الجنة ، ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار – استحق دخولها - ، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف ومألهم إلى الجنة .

أما الشئ الذى يوزن ، ففى ذلك ثلاثة أقوال لأهل العلم والحقيقة أنها كلها صحيحة :-

١ – **<u>العمل أو ثواب العمل يوزن</u>** ، قال النبى ﷺ « **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم** » فالكلمات توزن ، والعمل يوزن قال تعالى { **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** } أى من عمل صالح .

٢ – **<u>الشخص نفسه يوزن</u>** ، كما قال النبى ﷺ « **إنه ليأتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال : اقرؤوا { فلا نُقيم لهم يوم القيامة وزناً }** » وأيضاً قال النبى ﷺ عندما ضحك بعض أصحابه من دقة ساق عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه « **لم تضحكون ؟** » قالوا : يا نبى الله من دقة ساقيه قال : « **والذى نفسٍ بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد** » .

٣ – **<u>كتاب الأعمال يوزن فى الميزان</u>** كما فى حديث البطاقة أن النبى ﷺ قال : « .... **فتوضع السجلات فى كفةٍ والبطاقة فى كفةٍ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شئ مع اسم الله الرحمن الرحيم » .**

الحوض

وفى أرض المحشر حوض النبى ﷺ حيث يردُ المؤمنون إلى النبى ﷺ للشرب منه .

صفة الحوض :- " ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وابرد من الثلج من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً ، يصب فيه ميزابان من الكوثر وهو النهر الذى أعطاه الله للرسول ﷺ فى الجنة وعدد آنيته كعدد نجوم السماء ، وهو فى غاية الإتساع عرضه مثل طوله مابين عَمان إلى أيله " والاحاديث فيه متواترة .

قال النبى ﷺ « **والذى نفسى بيده لأنيته – يعنى الحوض – أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا فى الليلة المظلمة المصحية ، أنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخبُ فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ ، عرضهُ مثل طوله ما بين عَمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل** » رواه مسلم .

وإنما يُردُّ عن حوض النبى ﷺ أهل البدع كما قال النبى ﷺ « **إنى على الحوض أنتظر من يرده علىَّ منكم فليقطعن رجالٌ دونى فلأقولن يارب أمتى أمتى فليُقالن لى إنك لا تدرى ما عملوا بعدك مازالوا يرجعون على أعقابهم » .**

والذى يظهر – والله أعلم – أن الحوض قبل الصراط لأن النبى ﷺ قال : « **ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً** » وهناك من يعذب على الصراط وهناك من يتساقط فى النار أثناء المرور على الصراط ، وهذا محمول على من لم يشرب من الحوض .

الصراط

تعريفه : هو جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس إلى الجنة ، وقد ورد فى حديث أبى مسعود رضى الله عنه : قال « **بلغنى أن الجسر أدق من الشعرةِ وأحد من السيف** » .

يمر الناس عليه بأعمالهم فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من تعلق رجل وتنجو رجل إلى أن يأذن الله تعالى له بالنجاة ، وعلى الصراط كلاليب أى خطاطيف من نار تخطف الناس بأعمالهم ، فناجٍ مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس على وجهه فى نار جهنم .

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الصراط :-

قال تعالى { **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً** } {مريم ٧١ : ٧٢ } .

<u>وهناك تفسيران لمعنى الورود :-</u>

أ – المرور على الصراط وممن فسر بذلك عبد الله ابن مسعود وقتادة وزيد بن اسلم.

ب – الدخول فى النار لكن ينجون منها ، وذهب إلى هذا جماعة منهم ابن عباس .

ومن السنة : قال النبى ﷺ « ... **ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم سلم سلم** » .

قيل يا رسول الله : وما الجسر ؟ قال « **دحض مزلة ، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يُقال لها : السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم** ..... » متفق عليه

وأول من يمر على الصراط هو النبى ﷺ وأمته ، وأما الكفار فإنهم يتساقطون فى النار ، وإنما يمر على الصراط أهل الإسلام الموحدون من كل الأمم لأن الأنبياء يمرون بأممهم ، ولكن أمة اللإسلام أول من تمر على الصراط .

الجنة والنار

ومن أعظم المسائل فى الإيمان باليوم الأخر ؛ الإيمان بالجنة والنار وما فيهما من أنواع النعيم والعذاب وهذا يتضمن ثلاث مسائل كبرى :-

المسألة الأولى :-أن كلتيهما مخلوقتان الأن :-

قال تعالى عن الجنة { **أعدت للمتقين** } فهى موجودة الأن مُعدةٌ . قال النبى ﷺ « **دخلت الجنة فرأيتُ فيها داراً أو قصراً** ، فقلت : « **لمن هذا** » ، قالوا لعمر ابن الخطاب ، « **فأردت أن أدخل فذكرتُ غيرتك** » فبكى عمر وقال : أى رسول الله أو عليك يغار . متفق عليه .

وقال تعالى عن النار { **أعدت للكافرين** } فهى معدة الأن ومخلوقة وقال تعالى { **مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً** } ، وقال النبى ﷺ فى حديث الكسوف « **ما من شئ توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه ، لقد جئ بالنار وذلكم حين رأيتمونى تأخرت مخافة أن يُصيبنى من لفحها ، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يُجر قُصبهُ فى النار كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فُطن له قال إنما تعلق بمحجنى وإن غُفل عنه ذهب به ، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً ، ثم جئ بالجنة وذلكم رأيتمونى تقدمت حتى قمت فى مقامي ، ولقد مددتُ يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بد لي أن لا أفعل** » رواه مسلم .

المسألة الثانية :- أنهما لا تفنيان ولا تبيدان :-

أى لا فناء للجنة ولا النار أبداً وذلك خلافاً للجهمية الذين يقولون بفناء الجنة والنار وانعدام الخلق مرة أخرى ، قال تعالى عن النار { **كلما خبت زدناهم سعيراً** } فلا يمكن أن تخبو أبداً

وكلمة " **أبداً** " وردت فى خلود الجنة ووردت كذلك فى خلود النار ، قال تعالى عن الجنة { **والذين ءامنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً** }، وقال تعالى عن النار { **إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً** } .

وأحاديث ذبح الموت وأحاديث متلقاة بالقبول ، قال ﷺ « **يؤتى بالموت كهيأة كبش أملح فيُنادى مُنادٍ يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون ، فيقول هل تعرفون هذا ، فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رأه ، ثم ينادى يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رأه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت** » رواه البخارى ومسلم .

<u>المسألة الثالثة: الإيمان بأنواع النعيم الحسي والمعنوى فى الجنة وأنواع العذاب الحسي والمعنوى فى النار :-</u>

<u>أولاً الإيمان بالنعيم الحسي والمعنوي فى الجنة :-</u>

النعيم الحسي : مثل ما جعله الله تعالى فى الجنة من أنواع النعيم كالفاكهة ولحم الطير والماء المسكوب والطعام والشراب والنساء ، كما قال تعالى { **وفاكهة بما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلوء المكنون** } {الواقعة ٢٠ : ٢٣ } وقال تعالى { **إن الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافورا عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً** } {الانسان٥ : ٦ } وقال تعالى { **يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير** } {فاطر } وغير ذلك من أنواع النعيم الحسي .

النعيم المعنوى :- مثل النظر إلى وجه الله تعالى وهو أعلى نعيم أهل الجنة ،قال تعالى { **وجوهٌ يؤمئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة** } وأيضاً أن يسمعوا كلامه سبحانه { **سلامٌ قولاً من رب رحيم** } والقرب من الله قال تعالى { **والسابقون الأولون أولئك المقربون** } **.**

<u>ثانياً : الإيمان بالعذاب الحسي والمعنوي فى النار :-</u>

العذاب الحسى : كما فى قول تعالى { **كلما نضجت جلودهم بدلنهم جلوداً غيرها ليذقوا العذاب** } ومثل طعام وشراب أهل النار ، قال تعالى { **ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يُسمن ولا يغنى من جوع** } {الغاشية} والضريع : نوع من الشوك لا تأكله الدواب لخباثته ، وقال تعالى { **وسقوا ماءً حميماً فقطع امعاءهم** } والحميم : هو الماء الحار المغلى بنار جهنم يذاب بهذا الحميم ما فى بطونهم وتسيل به أمعاؤهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب الحسي فى النار .

العذاب المعنوي : من العذاب المعنوى ان الملائكة تبكت الكفار قبل أن يدخلوا منازلهم فى النار كما قال تعالى { **كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتيكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير**

فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ } {الملك ٨ : ٩ } ومن عذابهم المعنوى أنهم يلعن بعضهم بعضاً ويسب بعضهم بعضاً قال تعالى { **كلما دخلت أمة لعنت أختها** } { الاعراف ٣٨ } ومن عذابهم المعنوي أنهم يرون الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزؤون بهم من أهل الايمان قد فازوا بالرضى والرضوان ونجو من غضب الديان قال تعالى { **وقالوا مالنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار** } { ص ٦٢: ٦٣} وغير ذلك من أنواع العذاب المعنوى

البعض يزعم : أن العذاب فى النار عذاب معنوى والنعيم فى الجنة معنوى ، وأنه ليس فى الجنة طعام ولا شراب ولا أنهار ، وإنما رغبنا الله فى شئ نحبه ولن يعطينا إياه !! ، أو كقول بعض الكفار : أتظنون أن العذاب الذى أخبر الله به فى النار حقيقى ؟! لا ، إنما هو كقولك لإبنك : أطعنى وإلا سأحرقك بعود الثقاب ، وأنت لا تحرقه ولن تفعل شيئاً من ذلك ، وهذا كله كلام كفر ، وأصل هذا كلام النصارى ، وعن مصعب بن سعد قال : سالت أبى عن قول الله تعالى { **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** } أهم الحرورية ؟ قال :" لا ، هم اليهود والنصارى ، أما اليهود فكذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا : لا طعام فيها ولا شراب " فالذين كفروا بالطعام والشراب فى الجنة فقد كفروا بالجنة ، والصوفية أيضاً عندهم نوع إنكار للرغبة فى النعيم الحسي والمعنوى فى الجنة .

لذلك ليس هناك أنفصال بين النعيم الحسي والنعيم المعنوي فى الجنة ، فلن ينعم أحد بالنظر إلى وجه الله إلا إذا كان من أهل الجنة ، فقد قال النبى ﷺ لرجل « **كيف تقول فى الصلاة ؟** » قال : أتشهد وأقول اللهم إنى أسالك الجنة وأعوذ بك من النار ، أما إنى لا أُحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبى ﷺ « **وحولها ندندن** » وكان أكثر دعاء النبى ﷺ « **ربنا أتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار** » فلا يجوز أن يُقال إنه لا يُطلب النعيم الحسي والمعنوي ، وأذا أخبرنا الله من أنواع النعيم وأنواع العذاب فلا يمكن أن يُكذَّب بذلك أحد ، وإن كانت كيفية النعيم والعذاب من الغيب الذى لا يمكن لعقول البشر أن تدركه وتحيط به كما قال النبى ﷺ عن الجنة « **فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** » .

الباب السادس : الإيمان بالقضاء والقدر

الركن السادس من أركان الايمان "الإيمان بالقدر" الذى بينه النبى ﷺ فى حديث جبريل ،حيث قال ﷺ عن الإيمان « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » . وقال ابن عمر رضى الله عنه فى سياق ذكره لحديث جبريل هذا عندما ذكروا له معبدا الجهني الذى كان يُظهر الزهد والعبادة وطلب العلم ولكنه يقول : لا قدر والأمر أنُف ، فقال ابن عمر رضى الله عنه « **فإذا لقيت أولئك فأخبروهم أنى برئ منهم وأنهم بُراء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحدٍ ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر** »

وهذا دليل واضح على بطلان عمل من لم يؤمن بالقدر ، ودليل على تكفير الصحابة من أنكر القدر جملة وقال : لا قدر والأمر أنُف : أى مستأنف جديد ليس هناك علم لله سابق على وجود الأشياء أو كتابة لها .

مراتب الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر – كما دل عليه الكتاب والسنه – على أربع مراتب :-

المرتبة الأولى :-

الإيمان بعلم الله الأول السابق على وجود المخلوقات ، فالله عز وجل قد علم بعلمه القديم الموصوف به أزلاً ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم قال تعالى { **إن الله كان بكل شئ عليماً** } أى: كان ولم يزل سبحانه ،فلفظ **"كان"** يُثبت أن علمه سبحانه ليس بحادث بعد وقوع الأشياء ، وإنما هو سابق على وجود الإشياء وقال تعالى { **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين** } فهذه الاية الكريمة بينت مرتبة العلم ومرتبة الكتابة ، لأن الله تعالى جعل تفاصيل هذه الكائنات فى كتاب مبين ، وقوله تعالى { **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** } هذه المفاتيح بينتها الأية الأخرى وهى قوله تعالى { **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير** } وهذه المفاتيح الخمس استأثر الله بها لا يعلمها ملك مقرب ولا نبى مرسل ، كما قال النبى ﷺ لجبريل عندما سأله

عن الساعة فقال « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاةُ الإبل البُهم فى البنيان فى خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلى النبى ﷺ** { **إن الله عنده علم الساعة...** } الاية ».

وما أخبر به الرسول ﷺ عن هذه المغيبات فهو إخبار ببعضها لا إخبار بكل الأشياء ، ولم يعلم ﷺ كل الأشياء بحيث تصبح هذه الأمور خارجة عن مفاتيح الغيب ، وإذا أخبر بشئ بقي شئ آخر لا يعلمه الا الله ، مثل إخباره ﷺ بأمارات الساعة وهى مجزوم بوقوعها ولكن يبقى وقت قيامها لا يعلمه الا الله واذا اخبر النبى ﷺ عن تفاصيل بعض الأمور التى استأثر الله سبحانه بعلمها كوقت موت فلان وموضع موته هذا معلق على المشيئة ، لا الجزم به .

" والله سبحانه علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون " أى علم الله ما فى الماضى ، و ما فى المستقبل ، وعلم الأمر الذى لم يحدث لو حدث كيف يكون صفاته وأحواله مثل ما قال تعالى عن الكفار { **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** } فلو رد الله الكافرين للدنيا كما يطلبون يوم القيامة – وهذا الرد لم يحدث – لعادوا لما نهوا عنه ، فهم يطلبون الرجوع للدنيا ليؤمنوا وعلم سبحانه أنه لو ردهم لعادوا إلى الكفر ، فهذا أمر لم يكن ولكن عِلم الله سبحانه أحاط به .

<u>لكن علم الله الأول أو السابق</u> على أفعال العباد لا يحاسب الله به العباد ، فهو لا يحاسبهم إلا ما وقع منهم من أفعالهم التى فعلوها بإختيارهم ولا يعاقبهم على أفعالهم قبل أن تقع منهم.

<u>علم الله نوعان :-</u>

١- علم الغيب : وهو علم الله السابق للأشياء قبل وجودها ، وهذا العلم لا يحاسب الله به العباد .

٢- علم شهادة : وهو علمه سبحانه بعد وقوع الأشياء وهذا العلم يحاسب الله به العباد ، قال تعالى { **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم** } فقوله تعالى **" حتى نعلم "** أى علماً يحاسبهم عليه ، فالله تعالى يعلم فى الأزل من سيجاهد ومن سيصبر ولكن هذا العلم لا يحاسبهم عليه ، ولكن يحاسب سبحانه العباد على العلم الذى بعد وقوع الفعل ..

المرتبة الثانية :-

مرتبة الإيمان بكتابة المقادير فى اللوح المحفوظ وما يتبعها من كتابات :-

قال تعالى { **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير**} فقوله { **من قبل أن نبرأها** } أى : من قبل أن نخلقها .

وقال تعالى { **وكل شئ أحصيناه فى إمامٍ مبين** } وقال تعالى { **بل هو قرأن مجيد فى لوحٍ محفوظ** } وقال تعالى { **وإنه فى أم الكتب لدينا لعلىٌّ حكيم** } وهذه الأيات كلها تدل على إثبات أم الكتاب وقال تعالى { **يمحوا الله ما يشاء ويثبتُ وعنده أم الكتب** } وقال تعالى { **ما فرطنا فى الكتاب من شئ** } أى ما فرطنا فى اللوح المحفوظ من شئ ، وانما سُمي محفوظاً لأنه لا محو فيه ولا إثبات فهو محفوظ عن التبديل والتغير ومن السنة مما يدل على هذه المرتبة :-

فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال « **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء** »

وفى الحديث الصحيح أن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال لابنه : يا بُنى إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « **إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب قال ربَّ وماذا اكتُب ؟ قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة** » يا بنى انى سمعت رسول الله ﷺ يقول « **من مات على غير هذا فليس منى** »

أختلف أهل العلم ما هو أول مخلوق على ثلاثة أقوال :-

القول الأول :- العرش وهو ترجيح ابن القيم لأنه يرجح رواية « **أول ما خلق الله القلم ...** »

فتكون **"أول"** ظرفية ،أى عندما خلق الله القلم قال له أكتب وهذه الرواية لا تفيد أن القلم أول المخلوقات ولكن تفيد أنه أُمر فوراً بكتابة ما هو كائن الى يوم القيامة .

<u>القول الثانى</u> :- القلم هو أول المخلوقات ، وهذا هو الصحيح ومما يؤكد ترجيح هذا القول رواية ابن أبى عاصم فى السنة **« إن أول شئ خلقه الله القلم »** وأيضاً رواية **« إن أول ما خلق الله القلم »** ودخول " إن" على هذه الجملة تدل على أن " أول" مبتدأ لا ظرف .

<u>القول الثالث</u> :- ومن العلماء قال أول مخلوق الماء

وقال النبى ﷺ لابن عباس « **إعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رُفعت الاقلام وجفت الصحف** » وفى رواية « **جف القلم على علم الله** » يعنى اللوح المحفوظ ، فهذا اللوح المحفوظ ليس فيه محو ولا إثبات للتغير لأن المكتوب هو علم الله الذى لا يمكن أن يتغير ، أما ما كتبه الملائكة فهو محتمل للتغير لذلك قال ابن عباس « الكتاب كتابان كتاب يمحو الله فيه ما يشآء ويثبت وعنده أم الكتاب »

فصل : ويتبع الكتابة الأولى – التى فى اللوح المحفوظ – كتابات وتقديرات أخر

<u>١ – التقدير يوم القبضتين :-</u>

قال النبى ﷺ: « **إن الله عز وجل خلق أدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى** » فقال قائل : يا رسول الله فعلى ماذا نعمل ، قال ﷺ « **على مواقع القدر** » وفى رواية « **أخذ قبضة بيمينه فقال : هؤلاء فى الجنة ولا أُبالى وأخذ قبضة بشماله وقال هؤلاء فى النار ولا أبالى** ».

خرج النبى ﷺ على الصحابة بكتابين فى يده فقال « **أتدرون ما هذان الكتابان ؟** فقالوا لا يا رسول الله إلا أن تُخبرنا ، فقال للذى فى يده اليمنى « **هذا كتابٌ من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء أبائهم وقبائلهم ثم أجمل على أخرهم فلا يُزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً** » ثم قال للذى فى شماله « **هذا كتاب من ربٌ العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء أبائهم وقبائلهم ثم أُجمل**

على أخرهم فلا يُزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » فقال أصحابه : فَفيمَ العمل يا رسول الله إن كان أمرٌ قد فُرغ منه ؟ فقال « **سَدَّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنه وإن عمل** أىَّ **عملٍ ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار إن عمل اىَّ عمل** " وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم « **اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له** » .

فأمرهم النبى ﷺ بالعمل ، وبين أن وجود القدر السابق لا يعنى ترك العمل ، لأن الله تعالى كتب المقادير بأسبابها فقال « **هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون** » وقال « **هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**» .

٢ – الكتابة والأنسان جنين فى بطن أمه :-

الظاهرأنها كتابتان : كتابة عند الأربعين يوماً وكتابة عند المائة والعشرين يوماً ، وهذا أصح وجوه الجمع بين الروايات كما فى حديث حذيفة بن أسيد وحديث عبد الله ابن مسعود .

روى مسلم من حديث حذيفة ابن أسيد مرفوعاً أن النبى ﷺ قال : « **إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلةً بعث الله إليها ملكاً فصوَّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها** وخلق هنا بمعنى بمعنى شكل ، وإلا فالله هو الذى يُقدرُه على ذلك – قال : « **ثم يقول يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول : يارب أجله ؟ فيقول ربُك ما شاء ويكتب الملك ، ثم يقول : ياربَّ رزقُهُ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك** » .

والكتابه الأخرى عند ١٢٠ يوماً التى فيها نفخ الروح كما فى حديث ابن مسعود مرفوعاً قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « **إن خلق أحدكم يُجمع فى بطن أمه أربعين يوماً أو أربعين ليلةً ثم يكون علقةً مثله ، ثم يكون مضغة مثله ، ثم يُبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح ...** » الحديث.

ففى حديث حذيفة ابن أسيد أن الأعضاء " السمع والبصر والعظام " تبدأ فى التكوين فى الأسبوع السابع بعد أن يُقدِر الله الملك على تَخلِيقه ويأمره بالكتابة ، أما حديث عبد الله ابن مسعود يكتمل شكل الانسان عند ١٢٠ يوماً ، فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات .

<u>٣ – التقدير السنوى فى ليلة القدر :-</u>

قال تعالى { **فيها يُفرقُ كلٌ أمرٍ حكيم أمراً من عندنا إنا كُنا مرسلين** } فكل أمور السنة تُقدرُ فى ليلة القدر ، يكتب الله ما يشاء فى ليلة القدر : من يحج ومن يموت ومن يغزو .

<u>٤ – التقدير اليومى :-</u>

قال تعالى { **كل يوم هو فى شأن** } وفى الحديث « **من شأنه أن يغفر ذنباً ويُفرج كرباً ويرفع قوماً ويخفض آخرين** ».

<u>٥ – وهناك كتابة قبل خلق أدم بأربعين سنة وهى { وعصى أدم ربه فغوى } :-</u>

قال النبى ﷺ : « **احتج أدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحج أدم موسى ، قال موسى : أنت أدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك فى جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ، فقال أدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شئ وقربك نجياً ، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : أربعين عاماً قال أدم : فهل وجدت فيها وعصى أدم ربه فغوى ؟ قال : نعم قال أدم : أفتلومنى على أن عملتُ عملاً كتبه الله علىَّ أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة** » قال رسول الله ﷺ « **فحج أدم موسى** » ويأتى إن شاء الله تفصيل هذه المسألة أخر الباب .

حكم من أنكر مرتبة العلم والكتابة :-

من أنكر مرتبة العلم والكتابة فهو كافر خارج من الملة مثل : -

١. القدرية الغلاة الذين قالوا أن الأمر أنف وقد كفرهم الصحابة .

٢. الفلاسفة الذين يقولون أن الله يعلم الكليات دون الجزئيات فهذا كفر مخرج من الملة .

<u>المرتبة الثالثة :- الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة :-</u>

ما يقع فى الكون من حركة ولا سكون ولا خير ولا شر ولا كفر ولا إيمان ولا أفعال إضطرارية ولا إختيارية للمخلوقين إلا بمشيئة الله وقدرته وإرادته سبحانه .

قال تعالى { **من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** } فهذه الأية تُثبت أنه سبحانه يشاء ، ويضلل ، ويجعل ، وفيها الرد الحاسم القاطع الجازم على القدرية الذين ينكرون مشيئة الله تعالى فى الإضلال .

وقال تعالى { **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يُضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** }.

وقال تعالى { **ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد** } فلم يكن اقتتالهم هنا رغماً عنهم بل كان اقتتالهم بإرادتهم قطعاً ولكن هذه الإرادة داخلة تحت مشيئة الله .

وقال تعالى { **لمن شآء منكم أن يستقيم وما تشآءون إلا أن يشآء الله ربُ العاملين**} فالأية أثبتت للعبد مشيئة وللرب مشيئة ولكن مشيئة العبد داخله تحت مشيئة الرب .

وإذا نظرنا إلى ما ورد فيه صفة المشيئة نجدها وردت غير منقسمة إلى أنواع ، أما صفة الإرادة فقد وردت منقسمة إلى نوعين :-

أقسام الإرادة

١ – إرادة كونية :-

تشمل كل ما قدَّر الله وقوعه فى الكون وهو لابد أن يقع حتماً ، وهذا منه ما يحبه الله تعالى ومنه ما لا يحبه ولكن قدرَّ وجوده لمصلحة وحكمة بالغة ، قال تعالى { **إنما أمره أذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** } وهذه تشمل كل الموجودات خيرها وشرها ، ما أحب الله منها وما أبغض ، فالله سبحانه أراد وجود أبليس وأبى لهب وفرعون وهو يبغض ذلك ، كما أنه الذى أراد وجود الملائكة والأنبياء والمؤمنين وهو سبحانه يحب ذلك .

فلماذا خلق الله ما لا يحب ؟

الجواب / خلق الله هذه الأشياء لحكمة يعلمها وقد يطلع الله بعض خلقه على بعض حِكَمِه ، كما أطلعنا فى كتابه قال تعالى { **وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين ءامنواويتخذ منكم شهدآء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذينءامنواويمحق الكافرين** } بيَّن الله تعالى لماذا قدَّر أن يُقتل المسلمون فى قتالهم مع الكفار ، كما وقع فى غزوة أُحد ، وهى سبب لنزول الأيات { **وليعلم الله الذين ءامنوا** } أى : يعلم علماً يحاسبهم عليه { **ويتخذ منكم شهدآء** } فالله يحب أن تُبذل الأرواح والأموال فى سبيله وأن يُوجد هؤلاء الذين ضحوا فى سبيل الله حتى صاروا شهداء ، فكيف يمكن وقوع ذلك إلا بأن يوجد كفار يقاتلون المسلمين ويقتلونهم ؟ ويُمكن الله تعالى الكفار من قتلهم ويبتلى عباده المؤمنين بأن يسلط عليهم فى وقت من الأوقات الكفار ليقتلوهم فيكونوا شهداء عند الله تعالى .

<u>٢ – إرادة شرعية :-</u>

وهى تشمل كل ما شرعه الله لعباده ، وهو من جنس ما يحبه تعالى ويرضاه ، وهذا منه ما يقع ومنه ما لا يقع ، وقدر الله ألا يقع لمصلحة وحكمة بالغة ، وقال تعالى { **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** } وقال تعالى { **والله يريد أن يتوب عليكم** } فهذه إرادة شرعية ، فمن الناس من يتوب ومنهم من لا يتُوب ، والله يريد التوبة من الجميع شرعاً ولا يريدها – كوناً – إلا من بعضهم لحكمة ، لذلك التوبة عمل يحبه سبحانه فهى داخلة فى الإرادة الشرعية .

فالحساب والثواب والمدح والذم ودخول الجنة ودخول النار كل ذلك بناء على الإرادة الشرعية على موافقتها أو مخالفتها ، فيُقال لأهل الجنة { **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** } ويُقال لأهل النار { **كنتم بها تُكذبون** } { **بما كنتم تكفرون** } يعنى بمخالفتكم شرع الله سبحانه ، فمن وافق إرادة الله الشرعية وعمل بشرع الله كان من أهل الجنة ومن خالفها كان من أهل النار .

<u>والإرادتان الشرعية والكونية يجتمعان</u> فى إيمان المؤمن ، فهو مؤمن بتوفيق الله له ومشيئته له الإيمان وهذه "إرادة كونية " وهو فى نفس الوقت يعمل بطاعة الله وما أراد الله منه وهذه " إرادة شرعية " فإيمان المؤمن مراد كوناً وشرعاً ، ويفترقان فى كفر الكافر فهو مراد لله كوناً لا شرعاً ، وإيمان الكافر مراد شرعاً ولا كوناً .

<u>٤– المرتبة الرابعة :-الإيمان بخلق الله لأفعال العباد وقدرتهم ومشيأتهم خيرها وشرها :-</u>

وهذا هو معنى نؤمن بالقدر خيره وشره ، فنسبة الشر إلى القدر نسبة إيجاد الله له وخلقه له بمعنى أن الله خلق فعل العبد للشر وخلق قدرة العبد على الشر ، وهذا الإيجاد والخلق من الله سبحانه ليس شراً ، لأن أفعال الله ليس فيها شر ولا صفاته شر ، وخلقه للشر ليس بشر ، ففعله القائم به سبحانه وتعالى أنه " خلق" الشر ، ولكنه لم " يفعل " الشر ، مثل فِعل السرقة من الذى يسرق ؟ العبد هو الذى سرق ولا يمكن أن يوصف الرب تعالى بهذا الفعل ، لكن الله " خلق الفعل "

الدليل على أن الله خلق أفعال العباد :-

١ . قال تعالى { **والله خلقكم وما تعملون** } وهذه الأية لها تفسيران كلاهما دالٌ على خلق أفعال العباد :-

<u>التفسير الأول</u> :- أن " ما " مصدرية ، يكون منها ومن الفعل المضارع التالى لها مصدر ويكون تفسيرها : " والله خلقكم وعملكم " وعلى هذا التفسير تكون الأية نصاً فى خلق أفعال العباد

<u>التفسير الثانى</u> :- أن " ما " موصولة بمعنى" الذى" ويكون تفسيرها " والله خلقكم والذى تعملون " ، فإبراهيم يقول لهم : والله خلقكم وخلق الأصنام التى تعملونها ، وعلى هذا التفسير تكون الأية ظاهرة على خلق أعمال العباد ، من جهة أن الصنم الذى كانوا يعبدونه لم يكن مجرد حجارة فقط بل هو مكون من شيئين حجارة " مادة خام " وعمل بشرى " النحت " .

٢ . قال تعالى { **قل الله خالق كل شئ** } {الرعد ١٦} ف" كل شئ" شملت أفعال العباد وقدرتهم.

٣ . ومن الأدلة على هذه المرتبة ما ورد فى القرآن بلفظ " جعل " قال تعالى { **وكذلك جعلنا فى كل قريةٍ أكابر مجرميها ليمكروا فيها** } والمجرمون ليسوا ذواتاً فقط ، وإنما المجرم ذات وفعل وهو الإجرام ، والله خلق ذواتهم وجعلهم مجرمين وذلك لحكمة بالغة وأن الذين كثيراً ما أجرموا وكثيراً ما مكروا سيظهر لهم فى النهاية أن مكرهم كان بأنفسهم وهم لا يشعرون كما فى آخر الأية { **وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون** } .

٤ . قال تعالى { **وكذلك جعلنا لكل نبىِ عدواً شياطين الإنس والجن** } وقال تعالى فى الأنبياء أل ابراهيم أل يعقوب { **وجعلنهم أئمة يهدون بأمرنا** } فهو سبحانه جعلهم أئمة يهدون بأمره وأئمة للهدى وجعل أولئك –شياطين الإنس والجن – أعداء الأنبياء .

<u>فلما جعل الله ذلك ؟</u>

لأنه سبحانه بحكمته فعل ذلك ، لأنه وضع كل شئ فى موضعه فلا يمكن أن يتساوى الفريقان فليس العدل هو المساواة وإنما العدل وضع كل شئ فى موضعه والذى يسأل : لماذا لم يجعل فرعون مثل موسى ؟ هذا إنسان جاهل وضال حيث يطلب المساواة كحال الذين قالوا **:** { **لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله** } ، فالله عز وجل أعلم حيث يجعل رسالته قال { **وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا** } فرد عليهم **:** { **أليس الله بأعلم**

بالشاكرين } فالله أعلم بالشاكرين ويضع كل شئ فى موضعه وقد تفضل على البعض وعدل مع الجميع ولم يظلم أحداً بل عمهم بهدايته وهى هداية البيان .

فصل : وللعباد قدرة ومشيئة

فى هذه المرتبة من مراتب الإيمان بالقدر ، لابد أن نثبت قدرة العباد ومشيئتهم التى خلقها الله لهم وبها تقع أفعالهم ، وذلك حتى لا يظن أحد أن إثبات خلق الله لأفعال العباد وقدرتهم ومشيئتهم يعنى الإلغاء لقدرتهم ومشيئتهم ، فللعباد قدرة ومشيئة بها تقع أفعالهم وكلمة " بها " مهمة جداً والدليل عليها قوله تعالى { **اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير** } فأثبت الله مشيئة العباد وأثبت أن عملهم مبنى على هذه المشيئة ، وهذا هو الكسب قال تعالى { **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** }

- **وفى مسألة الكسب ثلاثة مذاهب :-**

١ – **مذهب أهل السنة والجماعة :-** هو أن أفعال العباد تقع بمشيئتهم ، وأن القدرة الإنسانية والمشيئة الإنسانية لها أثر فى وجود الفعل ، وهذا الأثر ليس خلقاً وإيجاد للفعل ، لأن خالق القدرة والمشيئة والفعل هو الله ، مثال : الطفل الصغير له أب وأم ، وهما أثر فى وجود الطفل ، ولا بد من وجودهما لوجوده ، ولكن هذا الأثر ليس خلقاً للطفل ، وإنما الله هو الذى خلق الولد وخلق أباه وأمه

٢ – **مذهب الجبرية :-** وهما فرقتان :-

الفرقة الأولى وهم الغلاة :-

فهم ينكرون أصلاً قدرة الإنسان وإرادته ، فيستوى عندهم جريان الدم فى العروق والسرقة ، ويستوى دق القلب وقتل معصوم الدم ، والزنى مثل الولادة ، فالعبد عندهم ليس له فعل ولا قدرة ولا مشيئة كالريشة فى مهب الريح .

الرد عليهم من الشرع والعقل :-

فى الشرع :- قال تعالى { **اعملوا ما شئتم** } وقال تعالى { **لمن شآء منكم أن يستقيم** } فكل أفعال العباد نسبت إليهم والله قد أثبت للعباد مشيئة .

العقل :- هؤلاء لو كان كلامهم صحيحاً لَمَا أكلوا ولا شربوا ولا اكتسبوا مكاسب الدنيا ، فهم لابد أن يمدوا أيديهم بالطعام لأفواههم الجائعة ، ولم يقولوا لم يُرد الله أن نأكل فلن نأكل ، ويتناولوا الماء بأيديهم ليشربوا ، ولو طبقوا مذهبهم فعلياً على أفعال الدنيا وعلى معيشتهم لماتوا .

الفرقة الثانية : الأشاعرة :-

وهم صنف من الجبرية المستترين ، يقولون إن للإنسان قدرة ومشيئة ولكن لا يقع " بهما " الفعل ، بل يقع " معهما " أى : يقترن وجود الفعل مع القدرة والمشيئة من غير أثر – القدرة والمشيئة - فى الفعل ، مثل الأخ وأخيه ، فالقدرة والمشيئة والفعل الإنسانى مثل ثلاثة إخوة ، وُجدوا فى أسرة واحدة من غير أن يكون لأى واحد منهم أثر فى وجود الباقين ، فتكون القدرة والإرادة بلا أثر ، فالفعل عندهم يُخلق " مع " القدرة والإرادة بلا أثر منهما عليه ، وهما فى الحقيقة - على هذا القول – لا معنى لهما ولا قيمة ولا يمكن أن تسمى مشيئة ، فلذلك يقول العلماء من المحالات العقلية الكسب عند الأشعرى .

<u>٣ – مذهب المعتزلة :-</u>

يقولون إن للإنسان قدرة ومشيئة يخلق الإنسان بها فعله ، ومثلهم كمثل من يقول : إن الأب والأم يخلقون الولد وهذا باطل قطعاً .

ويقولون : إن إرادة الله تعالى وقدرته لا دخل لها فى أفعال العباد ولا فى مشيئتهم ، وإنما القدرة الإلهية والمشيئة الإلهية هى لخلق الذوات فقط وتركهم بلا سلطان له عليهم .

الجبر طعن فى التشريع ونفى مشيئة الله طعن فى التوحيد :-

قال ﷺ « **اعملوا فكل ميسر لما خلق له** » فالجبر طعن فى التشريع : لأنه إلغاء لمسؤولية الإنسان وإلغاء لعمله وأثره ، فليس هناك معنى – على هذا القول – لأن يؤمر الإنسان ويُنهى وتُشرع له التشريعات ، فهذا طعن فى التشريع ، ونفى مشيئة الله طعن فى التوحيد لأن معناه نفى ربوبية الله سبحانه وتعالى .

الأخذ بالأسباب واجب والاعتقاد فيها شرك ، أى يعتقد الإنسان أن الأسباب مستقلة فى الإيجاد – وهى عقيدة المعتزلة – كمن يعتقد أن وظيفته هى التى تجلب له المال فيصير عبداً للوظيفة ، فلا يقدر أن يستغنى عنها ويتصور أنه سيموت جوعاً بدونها ، فالتوحيد أن تعتقد أن الوظيفة مجرد سبب والله هو الذى يرزقك ، ونتوكل على الله لا على السبب لذلك فالتوكل على الأسباب شرك ، والأخذ بالاسباب واجب قال ﷺ « **احرص على ما ينفعك واستعن بالله** »

والعبد فاعل ومنفعل

١ – **مذهب أهل السنة :-** الإنسان فاعل أى له قدرة ومشيئة بها يفعل فعله ومنفعل أى أن الله يفعل ويخلق فيه ما أراد ، وهذا فى كل عمل إختيارى ، فالعبد صام وصلى والله جعله مقيم الصلاة وجعله صائماً ووفقه إلى ذلك وفرعون خرج فى طلب موسى عليه السلام وبنى إسرآئيل والله أخرجه ، كما قال تعالى { **فأخرجناهم من جناتٍ وعيون** } وفرعون خرج كما قال تعالى { **فأتبعوهم مشرقين** } وفرعون هو وجنوده فعلوا { **أتبعوهم** } فهم لم يخرجوا رغماً عنهم بل كانوا خارجين بإرادتهم ومع ذلك قال تعالى { **فأخرجناهم** } وذلك لننتبه أن هناك فعلاً للعبد وفعلاً للرب ، وفعل العبد هو الخروج وفعل الرب هو الإخراج .

٢ – **مذهب الجبرية :-** الإنسان فى أفعاله الإختيارية منفعل فقط ، لا فرق عندهم بين الأفعال الإختيارية والأفعال الإضطرارية ، ويقولون وقع علينا فعل الله من غير أن نفعل شيئاً .

٣ – **مذهب المعتزلة** :- الإنسان فاعل فقط ، ولا أحد له سلطان عليه كما يزعمون .

* **والله لم يظلم عباده ابداً** ، بل لا يحاسبهم إلا على ما صدر منهم ولا يهلكون إلا بذنوبهم ،ولو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم قال تعالى { **وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون** } وقال تعالى { **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً** } وقال تعالى { **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** } فالله لا يظلم أحداً لأن من أسمائه الحكم العدل .

القدر يحتج به فى المصائب لا فى الذنوب والمعائب

أولا : يصح الأحتجاج بالقدر فى المصائب التى لا قدرة للإنسان فيها ولا إختيار ، مثل من صدمته سيارة فقال : قدر الله ما شاء فعل ، فهذا يصح الإحتجاج بالقدر .

ثانيا : ولا يحتج بالقدر على الذنوب التى لم يتب منها العبد ، لأن الذى يحتج به فى الذنوب فهو يلغى مسؤولية نفسه فاحتجاجه بالقدر فى هذا الموطن كلمة حق أُريد بها باطل .

ثالثا : ويصح الإحتجاج بالقدر على الذنب بعد التوبة منه لانه أصبح بمنزلة المصيبة ، إذ لا طاقة للعبد بردَّهِ بعد وقعة إلا بالتوبة وقد فعلها ولا يستطيع أكثر من ذلك ، لأنه لا يستطيع أن يعيد أمس أو الوقت الذى حدثت فيه المعصية ليتجنب وقوعها ، فإحتجاجه بالقدر حينئذٍ – أى من الذنوب التى تاب منها – إحتجاج صحيح ، كما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه

أن النبى ﷺ قال « **احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحج آدم موسى ، قال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك فى جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض فقال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شئ وقربك نجياً فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أُخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاماً ، قال آدم : فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال : نعم ، قال : أفتلومنى على أن عملت عملاً كتبه الله علىَّ أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة ؟** » **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** « **فحج آدم موسى** » أى غلب آدم موسى عليهما السلام بالحجة .

فموسى لام آدم عليهما السلام ـ كما تدل الروايات ـ <u>على أمرين</u> :-

١ـ على أنه عصى ٢ ـ وعلى المصيبة التى سببتها المعصية وهى : الإخراج من الجنة

فلم يكن موسى عليه السلام يلوم آدم على مصيبة مجردة كما يقول شيخ الإسلام : إن لومه كان على المصيبة وهذا فيه نظر ، وإنما لام موسى آدم عليهما السلام على مصيبة تسبب " آدم " فيها وإلا فنص الحديث يقول « **أفتلومنى على أن عملت عملاً كتبه الله علىَّ** » فموسى عليه السلام كان يلومه على المعصية قطعاً ، وآدم احتج بالقدر على المعصية ، وهذا الإحتجاج كان بعد أن تاب آدم ومات هو وموسى واحتجا عند ربهما ،وقد كان الله قد قبل ـ من قبل ـ توبة آدم .

فنقول : يحتج بالقدر فى المصائب ، والذنب بعد التوبة بمنزلة المصيبة وموسى قد لامه على الذنب والمصيبة معاً ، والذنب قد تاب فيه والمصيبة لا قدرة له عليها فصح احتجاجه بالقدر .

وأما من يحتج بالقدر قبل التوبة ويرفض إلتزام الشرع ، فإحتجاجه كلمة حق يراد بها باطل وهو إبليس الطريقة وتابع لإبليس الذى قال { **فبما أغويتنى** } فهو لم يتب ومُصر على معاندة الله ومحاربة شرعه ويقول : يارب أنت أغويتنى ، فمن فعل فعله فهو إبليس الطريقة وأيضاً هو تابع للمشركين القائلين { **لو شاء الله ما أشركنا** } فيحتجون بالقدر على شركهم وهم مصرون على الإستمرار فى الشرك ويقولون : هذه مشيئة الله !! قد أبطل الله حُجتهم فى الدنيا والأخره فقال تعالى { **قل هل عندكم من علمٍ فتخرجوه لنا** } فليس عندهم علم بأن هذا شرعه سبحانه أبداً ولا هم يعلمون مشيئة الله فى المستقبل فأبطل الله حجتهم بذلك .

الخوض فى القدر دون الشرع منهى عنه مذموم

قد يقول بعض الناس : لا نريد أن نخوض فى القضاء والقدر ولا نتكلم فيه لأنه ورد أدلة تفيد أن الخوض فى القدر مذموم .

هذا الكلام غير صحيح فلابد أن نفهم المسألة حق الفهم : وهى أن الخوض فى القدر " بالعقل " دون الشرع مذموم ومنهى عنه ، ولكن الواجب بيان العقيدة وبيان الأيات والأحاديث التى تدل على مراتب الأربعة وبيان مشيئة العبد ومشيئة الرب ، وهذا ليس من الخوض المنهى عنه وإنما المنهى عنه التكلم فى القدر بالباطل وبلا علم .

آخر ما نختتم به هذا الباب أن الله قال { لا يُسئل عمل يفعل وهم يسئلون }

هذه الأية سبب الراحة العظيمة لكل مؤمن إذا وسوست له نفسه أو وسوس له الشيطان بقوله : لماذا قسَّم الله الناس فريقين ؟ ولماذا أراد ذلك ؟

لابد أن نؤمن أن ذلك لحكمة وعلم وإن غابت عنك الحكمة فسلِّم لله تعالى العليم الحكيم بخلاف الأبالسة الذين طعنوا فى حكمة الله وقالوا : كان ينبغى كذا وكذا ويقترح على الله ، مثل إبليس الذى قال { **لم أكن لأسجد** } و { **أنا خير منه** } فالمؤمن يفوض الأمر لله تعالى ، ويعتقد أن الله ما فعل شيئاً إلا بحكمة وعلم وقدرة ومشيئة .

♣♣♣♣♣♣

الباب السابع : مسائل الإيمان والكفر

هذا الباب من أهم أبواب عقيدة أهل السنة والجماعة ويتضمن بيان :-

مَن المؤمن ؟ ومَن الكافر ؟ وبم يدخل الإنسان فى الإسلام ؟ وهل الإيمان يزيد وينقص أم لا

وهذا الباب من أول بابٍ وقع فيه خلاف بين المنتسبين إلى القبلة ولكونه أول خلاف عقدي فى أصل كبير من أصول الدين بيَّنه النبى ﷺ قبل حدوثه ، وحذر ممن يقعون فى الفتنة فيه ، فقد تواترت الأحاديث عنه ﷺ بالتحذير من الخوارج وبيان بدعتهم وضلالتهم فقال ﷺ « **تمرق مارقة عند فرقةٍ من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق** » لذلك كانت فتنة الخوارج وبدعتهم أول بدعة إعتقادية ظهرت فى أواخر عصر الصحابة وكانت تتعلق بقضايا الإيمان .

هذا الباب يتضمن نوعين من المسائل :-

١ – مسائل الإيمان والدين ، ومَن المسلم ومَن الكافر ومَن المنافق ومن الفاسق فى حكم الدنيا .

٢ – ومسائل الوعد والوعيد ، بمعنى حكم الناس فى الأخرة .

فصل الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

**** المسألة الأولى : الايمان قول وعمل*** :-

الدليل قال ﷺ « **الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان** »

ويتكون الإيمان من: **قول** وهو " قول القلب وقول اللسان" **وعمل** وهو " عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح " .

قول القلب :- معناه الإعتقاد والتصديق واليقين والمعرفة بالله وما يتفرع عن ذلك من التصديق واليقين بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، فلإنسان يعلم لا إله إلا الله ويعلم ويؤمن بالملائكة ويوقن بوجودهم وصفتهم وحقيقة عبوديتهم لله تعالى ويؤمن بالكتب ويُصدَّق بها ويعلم فى قلبه أن الله أنزل كتباً وضمنها كلامه وأنها حق ويعلم صدق الرسل ويوقن بصدقهم وهذا هو قول القلب وهو شرط – بمعنى ركن – فى أصل الإيمان بمعنى أن وجود الإيمان يتوقف على وجوده وينعدم الإيمان بزواله .

<u>قول اللسان :-</u> وهو أن ينطق الشهادتين ، فأصل الإيمان فى هذا القول شهادة أن لا إله إلا الله ومن بلغة أن محمد رسول الله لزمه أن ينطق بذلك ، وإلا لم تقبل منه شهادة أن لا إله إلا الله ، ولكن يُتصور وجود شئ من الإيمان إذا نطق الإنسان بشهادة " لا إله إلا الله " وهو لا يعلم أن محمدا ﷺ رسول الله لعدم بلوغ خبره وبعثته ، كأن يكون ذلك قبل مبعثه ﷺ مثلاً ، فهذا الإنسان الذى شهد أن لا إله إلا الله ولم يبلغه خبر النبى ﷺ ومات على ذلك فهذا يكون مؤمناً عند الله وعنده أصل الإيمان لأنه نطق بكلمة التوحيد بخلاف من أبى – مثلاً – أن يشهد أن محمداً رسول الله وقد بلغته فهو كافر .

<u>عمل القلب :</u> فهو حب الله والإخلاص له سبحانه والرجاء والذل والإنقياد والتوكل والشكر والصبر ونحو ذلك فأعمال القلوب هى شئ زائد على مجرد التصديق والعلم ، فنحن نوقن بنبوة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ونُقِر ونعلم أنهم رسل الله ونحبهم ،

وحبهم هذا أمر زائد على مجرد التصديق ، لذلك لو أن أنسان لم يكن عنده هذه الأعمال القلبية لم يكن مؤمناً ، فأصل أعمال القلوب هى ركن فى أصل الايمان .

<u>عمل اللسان والجوارح</u> : فهما قسم واحد لإرتباط كل منهما بالآخر فى الغالب ، مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والبذل والصلة والإحسان إلى الخلق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأعمال اللسان تشمل كلاماً غير الإقرار بالشهادة ، وإنما لم نُدخل قول اللسان مع عمل اللسان ، لأن قول اللسان والإقرار بالشهادتين ركن من أركان الإيمان ، فلو أن إنساناً لم ينطق كلمة " لا إله إلا الله " لم يكن مؤمناً أصلاً وكان كافراً ، بخلاف من ترك مثلاً الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو بخلاف من ترك الذكر مثلاً فهذا عاصٍ أو تارك للمستحب حسب درجة هذا الفعل ولا يكون كافراً ، مع وجود خلاف فى حكم تارك المبانى الأربعة تكاسلاً " الصلاة والزكاه والصيام والحج " كما سيأتى إن شـــآء الله .

<u>* المسألة الثانية : الايمان يزيد وينقص :</u>

الدليل قال تعالى { **ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** } فهذا يدل على زيادة الإيمان ونقصانه أيضاً ، وهذا بالنسبة إلى تفاضل الإيمان من شخص إلى شخص أو فى خاصة الإنسان نفسه ، فقول القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل اللسان والجوارح ، كل هذه الأمور فيها زيادة ونقصان .

أولاً :- قول القلب :-

فزيادة قول القلب تكون بالكمية والكيفية :-

أ – زيادة ونقصان قول القلب بالكمية :-

أى كلما علم الإنسان شيئاً من الشرع فصدقه ازداد بذلك إيماناً ، مثال ذلك : إنسان لم يكن يعلم أن من أسماء الله تعالى " المقيت " فسمع قول الله تعالى : { **وكان الله على كل شىءٍ مقيتاً** } ، فصدق وآمن أن من أسماء الله تعالى المقيت وهو لا يدرى ما معنى **" المقيت "** ، فعلم بعد ذلك أن معناها الشهيد والرقيب إزداد بذلك علماً وإيماناً .

وكذلك فى باب الإيمان بالملائكة ، قد لا يعلم الإنسان أسماء الملائكة ويكون عنده إيماناً " بلا إله إلا الله " ابتداءً بما يثبت به أصل الإيمان ولكن لا يعلم أسماء الملائكة فى القرآن ؟ وما أعمالهم ؟ ولا يدرى ما صفات الملائكة ؟ فكلما إزداد معرفة بذلك إزداد إيماناً وتصديقاً وكذلك فى باقى أصول الإيمان من الإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر .

فأصل الإيمان فى باب قول القلوب هو التصديق بلا إله إلا الله قال تعالى { فاعلم أنه لآ إله إلا الله } وأما سوى ذلك فيصير شرطاً فى أصل الإيمان إذا بلغ الإنسان علمه ، أو على الأصح فى الإصطلاح ركناً فى أصل الإيمان .

فأصل الإيمان هو المعرفة والتصديق " بلا إله إلا الله " فلو إنساناً لا يعلم " لا إله إلا الله " لا يكون مؤمناً أصلاً ويكون كافراً ، أما إذا علم أنه لا إله إلا الله ولم يعلم أن محمداً رسول الله ﷺ ولم يعلم أن جبريل ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالوحى ولم يعلم أن موسى رسول من عند الله ، ولم يعلم بأن القرآن أنزله الله ولم يبلغه ذلك بعد ، فهذا ليس كافراً بل هو مؤمن بإيمانه " بلا إله إلا الله " . فإذا بلغه بعد ذلك أن محمداً رسول الله ﷺ فأبى ، أو أن جبريل ينزل بالوحى فكذب بذلك أو بلغه القرآن فكذب فهو كافر ، ونقض بذلك " لا إله إلا الله " لكن كل ذلك لم يصبح شرطاً أو بالأصح ركناً من أركان الإيمان إلا عندما يبلغ ذلك الإنسان ، فهو ليس شرطاً إبتداءاً بل لا يكون شرطاً إلا بعد بلوغه للإنسان .

ب – زيادة ونقصان قول القلب بالكيفية :-

قال تعالى لابراهيم عليه السلام { **أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى** } فزيادة قول القلب بالكيفية تكون بزيادة اليقين بمعنى نوعية التصديق نفسها مختلفة ومتفاوتة فى كل أصل من أصول الإيمان الستة .

فقد يزول التصديق بالكلية وذلك بأمرين :- الشك والتكذيب :-

الشـــك :- هو استواء الطرفين ، فصاحبه لا يدرى هل حقاً لا إله إلا الله أم يعبد غيره معه ، وعنده احتمال أن محمد رسول الله واحتمال أن يكون رجلاً كاذباً فهو يشك فى ذلك وليس عنده يقين بأحد القولين ولا يدرى هل القرآن حق أم أنه كتاب مختلق ولا يدرى هل يُبعث الناس يوم القيامة أو ليست هناك قيامة ولا بعث .

التكذيب :- هو أن يعتقد فى باطنه خلاف الحق مثل الذى يعتقد أن الله ثالث ثالثة أو يعتقد أن المسيح إله ، وأيضاً يكذب الرسول محمد ﷺ فهذا هو المكذب ، بخلاف الذى يشك هل هو رسول الله أم لا ولكن لا يكذبه . فالذى عنده تكذيب أفظع من صاحب الشك ، وكلا الأمرين ينتفى معهما أصل الإيمان ، وكل هذا التفصيل إنما قصدنا به بيان أن نوعية التصديق تختلف .

درجات التصديق :-

١ – الدرجة الأولى من درجات التصديق :-

وهى أدنى درجة فى التصديق وهى " زوال الشك " وبالتالى زوال التكذيب بالأولى ، قال ﷺ « **ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله غير شاك فيهما إلا أدخله الله الجنة** »

فلابد من زوال الشك ، بمعنى لا يكون عنده شك فى أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولكن لو أن أحداً شككه وفتنه فإنه يشك ويُفتن ، فهذا الإنسان قبل أن تأتيه الفتنة عنده إيمان ولكن ضعيف ، فهو لم يشك ولكن لو جاءه أحد وشككه فأنه يشك ويكفر ، قال تعالى { **ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والأخرة ذلك هو الخسران المبين** } فحينما جاءته الفتنة حدث له إنقلاب ، فهو قبل الإنقلاب كان عنده شئ من الإيمان لكنه ضعيف وليس بالإيمان الواجب فإن مات على تلك الحال قبل أن ينقلب مات على أصل الدين فلا يخلد فى النار ولكن لا يلزم أن يدخل الجنة لأول وهله بل يمكن أن يُعذب فى النار.

٢ – درجة الإيمان الواجب:-

وهو التصديق الكامل بالله وأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبكل ما بلغه عن رسول الله ﷺ فهذه درجة الإيمان الواجب الذى يدخل صاحبه الجنة من أول وهله ، وأذا فُتن لم يُفتتن وإذا شُكك لم يشك ولكن يأتيه الشيطان بوساوس فى صدره ، فيوسوس له فى الوحدانية أو فى النبوة أو فى القرآن أو فى أمور كثيرة وهو يكره ذلك ويضيق به ذراعاً .

فهذه الوسوسة ليست منافية لكمال الإيمان الواجب لذلك قال النبى ﷺ عن الوسوسة : عندما شكوا إليه وقالوا : إنا نجد فى أنفُسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال ﷺ : « **وقد وجدتموه** » قالوا : نعم قال « **ذاك صريح الإيمان** » فقد بيَّن النبى ﷺ أن الذى تأتيه الوسوسة فيردها فهو مؤمن كامل الإيمان .

٣ – درجة الايمان المستحب :-

وهى درجة التصديق " وهو الذى لا تأتيه الوساوس مطلقاً " لأن عنده علم اليقين فلا تأتيه وسوسة أصلاً سواء فى أصول الإيمان من الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر ، وأعلى من هذه المرتبة درجة عين اليقين .

٤ – درجة عين اليقين :-

هى التى سألها ابراهيم عليه السلام ، قال تعالى { **وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى** } فسيدنا إبراهيم كان عنده علم اليقين ولكن يريد أن يرى بعينه وهى " عين اليقين " ، وأيضاً مثل ما رأى النبى ﷺ جبريل وسدرة المنتهى ورأى الجنة والنار ، رأى كل ذلك بعينيه ﷺ وهذه أكمل درجات الإيمان والتصديق .

ثانياً : الزيادة والنقصان فى قول اللسان :-

فزيادة قول اللسان فى شهادة أن محمداً رسول الله لمن بلغه خبر الرسول ﷺ فشهد له بالرسالة بلسانه فقال : محمد رسول الله ﷺ فهو أكمل إيماناً ممن لم يبلغه خبره ﷺ ونطق " بلا إله إلا الله " فقط ، وهكذا فى كل تفصيل من تفاصيل الدين يبلغ العبد من الشرع فيُقرُّ به بلسانه يزداد به إيماناً قال تعالى{ **قولوا ءامنا بالله** } –فهم مأمورون أن يقولوا ذلك – { **قولوا ءامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتى موسى وعيسى**

وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون } فالأسباط : هم أنبياء بنى إسرائيل ، فمن علم هذا المعنى وصدق به وأقر به بلسانه فهو أكمل إيماناً ممن لم يعلم .

ثالثاً : الزيادة والنقصان فى أعمال القلوب :-

هناك تفاوت فى أعمال القلوب من الحب والإخلاص والشكر والخوف والرجاء ، مثال ذلك حب الله تعالى :-

لو أن إنساناً ليس عنده أصل حب الله تعالى فضلاً عن أن يكون يبغض الله أو ليس عنده حب الرسول ﷺ فضلاً عن أن يبغض الرسول ﷺ فهذا لا يكون مؤمناً أصلاً بل هو كافر .

وهناك إنسان آخر عنده حب الله تعالى وحب الرسول ﷺ لكن هذا الحب ضعيف فإذا جاءته شهوة قدم حب تلك الشهوة على حب الله ورسوله ، فهذا عنده إيمان لكنه ناقص ، وإنسان آخر عنده حب الله تعالى وحب الرسول ﷺ يُقدَّمه على كل ما تحبه نفسه ، فالله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما ، فهذا هو المؤمن الإيمان الكامل الواجب ، هكذا فى كل عمل من أعمال القلوب يوجد تفاوت .

رابعاً : الزيادة والنقصان فى أعمال اللسان والجوارح :-

فمن يصلى ركعتين ليس مثل من يصلى عشراً ، وهناك من يصوم يوماً ويفطر يوماً وهناك من لا يصوم إلا رمضان ، فهناك تفاوت فى أعمال اللسان والجوارح .

فصل : أعمال الجوارح من الإيمان

الدليل على أن أعمال الجوارح من الايمان :-

١ . قال تعالى { **وما كان الله ليضيع إيمانكم** } أى صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة ، فسمى الله الصلاة إيماناً .

٢ . وقال النبى ﷺ لوفد بنى عبد القيس – لما أمرهم بالإيمان بالله وحده – فقال لهم « **أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم قال « **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخُمس** » فسمى أعمال الجوارح إيماناً .

٣ . وما بوب عليه البخارى فى صحيحه " باب صيام رمضان من الإيمان " واستدل بقول النبى ﷺ « **من صام رمضان إيماناً وإحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه** » .

٤ . وأيضاً قول النبى ﷺ « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان** » فأماطة الأذى عن الطريق عمل من أعمال الجوارح وبيَّن النبى ﷺ أنه من الإيمان .

فأعمال الجوارح كلها تدخل فى مسمى الإيمان ، **ولكن هناك خلاف سائغ بين أهل السنة فى المبانى الأربعة والصلاة والزكاة والصيام والحج " فهذه المبانى هل تُعدُّ ركناً من أركان الإيمان يزول الإيمان بزوالها ، ويصبح الانسان كافراً لو تركها حتى لو أقر أنها فريضة أم لا ؟ على قولين :-**

<u>**القول الأول :**</u> ذهب بعض اهل السنة إلى أن هذه المبانى الأربعة هى من أركان الإيمان – أى ركن فى أصل الإيمان – بمعنى أن الذى يتركها تكاسلاً يكون كافراً خارجاً عن الملة ولو أقر بفرضيتها .

<u>**القول الثانى :**</u> ذهب جمهور أهل السنة على أن المبانى الأربعة هى ركن فى الإيمان الواجب ولو تركها تكاسلاً مع الإقرار بالوجوب يكون كافراً كفر دون كفر لا يخرج عن الملة بمعنى حكمه فى النهاية حكم العصاة ، وحكمه حكم مرتكب الكبائر وكونه يُسمَّى كافراً لا يخرجه هذا عن الملة والخلاف فى المسألة سائغ لا يبدع المخالف فيها ، مع الإجماع على أن هذه المبانى الأربعة من الإيمان ، ويأتى إن شآء الله تفصيل المسألة بأدلتها .

الفرق المخالفة لأهل السنة فى قضية الإيمان

قد سبق أن الإيمان عند أهل السنة قول وعمل يزيد وينقص ، أما المخالفون لأهل السنة هم :

<u>**أولاً : المرجئة :-**</u>

قالوا :" لا يضر مع الإيمان ذنب " وسموا "مرجئة " من الإرجاء وهو التأخير ، فقد أخروا العمل عن الإيمان ، بمعنى أن العمل عندهم لا يدخل فى مسمى الإيمان وقالوا : أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص

فرق المرجئة :-

١ – غلاة المرجئة وهم الجهمية :-

يقولون الإيمان هو مجرد المعرفة فقط ، وكل من عرف وجود الله فهو مؤمن كامل الإيمان وهذا كفر بيِّن وبناءاً على ذلك إبليس يكون مؤمن لأن عنده معرفة ويكون فرعون مؤمناً كذلك ، وعلى هذا المذهب لا يكون على وجه الأرض كافر عندهم .

٢ – الأشاعرة :-

عندهم الإيمان هوالمعرفة و التصديق بالقلب فقط وأما عمل القلب فليس من الإيمان عندهم ومن باب أولى عمل الجوارح ليس من الايمان .

٣ – الكرامية :-

يقولون : أن الإيمان نطق اللسان فقط بدون إعتقاد القلب ، ويلزم من ذلك أن المنافقين مؤمنون والرد عليهم يقول الله تعالى { **ومن الناس من يقول أمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** } فهم نطقوا ولم يكونوا مؤمنين .

٤ – مرجئة الفقهاء :-

يقولون : الإيمان هو إعتقاد القلب ونطق اللسان ولكنهم يشترطون عمل القلب فى الإيمان وأما أعمال الجوارح ليست من الإيمان ولكن من لوازمه وثمراته ولكن يقولون : نخشى على مرتكب الكبيرة دخول النار ، لذلك قال شيخ الإسلام أن إختلافهم مع أهل السنة اختلاف لفظى ، ولكن بدعتهم أن العمل ليس من الإيمان ، وهؤلاء أتباع أبى حنيفة .

أهم مسائل الخلاف بين أهل السنة والمرجئة

١- عمل القلب :- فهو موضع الخلاف الأساسى مع المرجئة ، فعندهم أن من صدق بقلبه بلا إله إلا الله حتى لو لم يحب الله تعالى ولم يَنقَد له يكون مؤمناً كامل الإيمان .

الرد على المرجئة بأمرين :-

الأمر الأول :- أن النبى ﷺ لما ذكر فضل لا إله إلا الله ذكرها مقيدة بالأعمال القلبية ، فقال ﷺ « **من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه** » الحديث ، فأعمال القلوب ركن فى الايمان ، فلو زال أى عمل من أعمال القلوب بالكلية لزال الإيمان بالكلية ، وزوال أحد أعمال القلب لا نستطيع أن نعرفه فى الدنيا إلا لو قال صاحبه بلسانه .

مثلاً : لو قال أحد أنه لا يحب الله أو قيل له : إقرأ القرآن فقال لا أحب القرآن ، فهذا قد كفر ونحن لم نعرفه من قلبه وإنما علمناه من لسانه .

كمن يقول إنه لا يخاف الله أو قال لا يخاف النار أو لا يخاف القيامة فهذا كافر ، قال تعالى { **وخافونى إن كنتم مؤمنين** } فمن لا يخاف الله ليس مؤمن ، وقال تعالى { **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** } فأصل التوكل ركن فى صحة الإيمان وقال تعالى { **والذين ءامنوا أشد حباً لله** } فأصل حب الله ركن فى صحة الإيمان .

الأمر الثانى :- مما يُرد به على المرجئة هو كفر فرعون وكفر إبليس ، كان بسبب ترك الإنقياد وهو عمل القلب قال تعالى عن أل فرعون { **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** } ففرعون كان عنده تصديق ولكن كفر لإنتقاء عمل القلب ، أما إبليس فعنده إعتقاد القلب واللسان ، لأنه فيما بينه وبين الله لم يكن يُنكر وجود الله ولا إلهيته ولا ربوبيته وإنما كان كفره سبب الإباء والإستكبار قال تعالى { **إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين** } {الحجر ٣١} فكفر إبليس كان بزوال عمل القلب وهو زوال الإنقياد من قلبه .

٢**- المسألة الخلافية الثانية بين أهل السنة والمرجئة** : هى عمل اللسان والجوارح ، فهم يقولون عمل اللسان والجوارح ليس من الإيمان ، والرد عليهم يكون بالأدلة السابق ذكرها فى بيان أن عمل الجوارح من الإيمان .

ثانياً : الخوارج والمعتزله :-

وهما من الفرق المخالفة لأهل السنة فى قضية الإيمان :-

الإيمان عند الخوارج والمعتزله " أقوال وأعمال هى شرطاً فى صحته لا يزيد ولا ينقص " فهو " كلٌ لا يتجزأ " فمن ترك جزءاً من الإيمان فقد تركه كله ، فمن ترك واجباً أو فعل محرماً يكون ترك الإيمان كله ، فالخوارج يجعلونه كافراً مخلد فى النار ، أما المعتزله يسمونه فاسقاً زال عنه أصل الايمان وهو مخلد فى النار، فالخوارج والمعتزله يتفقون مع المرجئة بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص .

لذلك قضية زيادة الايمان ونقصانه من أهم المسائل فى الرد على الفريقين الخوارج والمعتزلة فى جانب والمرجئة فى جانب .

فصل : من مات على التوحيد دخل الجنة

من مات على التوحيد وعنده أصل الايمان- أى ذرةٍ من الإيمان - دخل الجنة يوما من الدهر ، أصابه قبل هذا اليوم ما أصابه.

قال النبى ﷺ « **يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرةٍ من الإيمان** » وفى رواية فى صحيح مسلم : « **فيُخروج منها- أى من النار- قوماً لم يعملوا خيراً قط** » والحديث الاخر: « **من شهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمتُهَ ألقاها إلى مريم وروح منه ،والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل** » فهذه المسألة تتبع مسائل الوعد والوعيد وحال الناس فى الآخرة .

فصل : من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة فهو مخلد فى النار أبداً

وهنا عدة قيود :-

١- **القيد الأول** :-"من مات على الشرك" فلو أشرك إنسان ثم تاب إلى الله وأسلم فلا يكون مخلداً فى النار ولا يوجد نزاع فيما أعلم عند كل أهل الإسلام أن من كان مشركاً وتاب من الشرك أن توبته تقبل ولا يُعاقب على أنه أشرك فى حياته قبل توبته ، فإسلامه يُجبَّ ما قبله .

٢ – **القيد الثانى** :- " بعد بلوغ الرسالة وبلوغ الحجة " فوعيد من مات على الشرك بعد بلوغه الرسالة الخلود فى النار أبداً قال تعالى { **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر** ما **دون ذلك لمن يشاء** } ، وفى أحاديث الشفاعة قال النبى ﷺ : « **فأقول ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن** » أى وجب عليه الخلود بلا نهاية .

* وهذا القيد : بعد بلوغ الرسالة ، أما من لم تبلغهم الرسالة فهم من أهل الإمتحان فى عرصات القيامة ، كما ثبت فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : « **أربعةٌ يحتجون يوم القيامة ، رجلٌ أصم لا يسمع شيئاً ، ورجلٌ أحمق ورجل هرم ورجل مات فى فترةٍ ، فأما الأصم فيقول : ربَّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول : ربَّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر ، وأما الهرم فيقول : ربى لقد جاء الأسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذى مات فى الفترة فيقول : ربَّ ما أتاني لك رسول ، فيأخذ مواثيقهم ليطعنه ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، فوالذى**

نفسُ محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً » وفى رواية : « **فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يُسحب إليها** » فهؤلاء كفار ماتوا على الشرك ، لكنهم لم تبلغهم الرسالة فهؤلاء لا يعذبون حتى يمتحنوا .

ومن بلغته الرسالة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " فلا بد أن يصدق بها ، فلو لم يبحث عنها وظل على كفره بعد أن بلغته فهو كافر مخلد فى النار بإتفاق المسلمين ، ومن خالف فى هذه المسألة فهو ضال مبتدع .

* وأما قبل بلوغ الرسالة ، وقبل بلوغ الحجة فيعذر الإنسان بجهله .

<u>وإليك بعض الأدلة والنقول فى العذر بالجهل الناشئ عن عدم البلاغ :-</u>

١- قال تعالى حكايةً عن النبى ﷺ { **وأوحى إلىَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** } فمن بلغه القرآن فهو المُنذر ، ومن لم يبلغه أو شئ منه لم تقم عليه الحجة فيه .

٢ – وقال تعالى { **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** } فالأيات فى هذا المعنى تدل على أن العذاب إنما يكون بعد بلوغ الحجة والنذارة التى جاء بها رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين .

٣ – وعن أبى هريرة رضى الله عنة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **والذى نفسُ محمدٍ بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** » فمن لم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور ، ومن آمن به ﷺ ثم لم تبلغه بعض أخباره وأوامره فهو معذور كذلك .

٤ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « **كان رجلٌ يُسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه : إذا أنا متُّ فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني فى الريح ، فوالله لئن قدر علىَّ ربى ليُعذبنى عذاباً ما عذبه أحداً فلما مات فُعل به ذلك ، فأمر الله تعالى الأرض فقال : اجمعى ما فيكِ منه ، ففعلت ، فإذا هو قائم فقال الله : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : ياربَّ خشيتك ، فغفر له** » قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : تعليقاً على هذا الحديث :" هذا رجل شك فى قدرة **الله** وفى إعادته إذا ذُرَّى، بل إعتقد أنه لا يعاد ، وهذا كفر باتفاق المسلمين لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك ".

**** نقول أهل العلم فى العذر الناشئ عن عدم البلاغ :-***

قال الإمام الشافعي رحمه الله : " لله تعالى أسماء وصفات ، جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردُّها ؛ لأن القرآن نزل بها ، وصحَّ عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول ، فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه ؛ فهو كافر ، أما قبل ثبوت الحجة عليه ، فمعذور بالجهل ؛ لأن عِلمَ ذلك لا يُدرك بالعقل ، ولا بالرؤية ، والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها ، فنثبت هذه الصفات وننفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال سبحانه وتعالى : { **ليس كمثله شئٌ وهو السميع البصير** } {الشورى ١١ } .

قال الإمام الخطابى رحمه الله : بعد أن ذكر أن مانعي الزكاة على الحقيقة أهل بغي :" فإن قيل كيف تأولت أمر الطائفة التى منعت الزكاة على الوجه الذى ذكرت وجعلتهم أهل بغى ؟! وهل إذا أنكرت طائفة من المسلمين فى زماننا فرض الزكاة ، وامتنعوا عن أدائها يكون حُكمهم حُكم أهل البغى ؟! قلنا : لا ، فإن من أنكر فرض الزكاة فى هذه الأزمان ، كان كافراً بإجماع المسلمين ، والفرق بين هؤلاء ، وأولئك أنهم إنما عذروا لأسباب وأمور لا يحدث مثلها فى هذا الزمان ؛ منها : قرب العهد بزمان الشريعة الذى كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ ، ومنها : أن القوم كانوا جُهالاً بأمور الدين ، وكان عهدهم بلإسلام قريباً ؛ فدخلتهم الشبهة ؛ فعذروا فأما اليوم وقد شاع دين الإسلام واستفاض فى المسلمين عِلم وجوب الزكاة ، حتى عرفها الخاص والعام ، واشترك فيه العالم والجاهل ، فلا يُعذر أحد بتأويل يتأوله فى إنكارها ، وكذلك الأمر فى كل من أنكر شيئاً مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشراً ، كالصلوت الخمس ، وصوم رمضان ، والإغتسال من الجنابة ، وتحريم الزنى ، والخمر ، ونكاح ذوات المحارم ، ونحوها من الأحكام ، إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام ، ولا يعرف حدوده ، فإنه إذا أنكر شيئاً منها جهلاً به لم يكفر ، وكان سبيله سبيل أولئك القوم فى بقاء إسم الدين ، فأما ما كان الإجماع فيه معلوما من طريق علم الخاصة كتحريم المرأة على عمتها وخالتها ، وأن القاتل عمداً لا يرث ، وأن للجدة السدس ، وما أشبه ذلك من الأحكام ، فإن من أنكرها لا يكفر ، بل يُعذر فيها ، لعدم استفاضة علمها فى العامة " ا.هـ .

**** نلخص هذا الكلام النفيس الحسن للإمام الخطابى بعدة فوائد :-***

١- تفاوت الظهور والخفاء بالنسبة لأحكام الشريعة من زمن إلى زمن ، ومن قوم إلى قوم ، والعبرة فى ذلك بأنتشار العلم ، واستفاضته فى العامة .

٢- الأمور المجمع عليها نوعان :-

أحدهما : ما انتشر علمه فى الأمة وهو لا يُعذر أحد بتأويله فيه.

الثاني : ما لم ينتشر علمه ، فيُعذر المخالف فى عدم التكفير ، لا فى استحقاق العقوبة ، لأن مانعى الزكاة – الموصوف حالهم – عُذروا فى عدم التكفير ، وهم مستحقون للعقاب فى الدنيا والآخرة وسبب ذلك يرجع إلى تقصيرهم فى طلب العلم الواجب عليهم ، وعدم رجوعهم إلى العلماء من الصحابة وفعل عمر رضى الله عنه فى الرجل الذى زنى جاهلاً حرمة الزنى – ليس فقط جاهلاً بالحد – والرجل الذى زنى بجارية امرأته فجلده ولم يرجمه ، يدل على هذا دلالة واضحة .

٣ – الأصل فيما انتشر علمه بين المسلمين تكفير مكنره ، إلا أن تدل قرينة على عدم علمه ، وما لم ينتشر علمه لا يكفر قبل قيام الحجة عليه .

٤- ذكر أهل العلم البادية البعيدة ، وحداثة العهد بالإسلام ، ليس على سبيل الحصر ، بل على سبيل المثال والغرض إثبات القرينة لوجود عدم البلاغ .

نقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :-

* قال " وهذا مع أنى دائماً- ومن جالسنى يعلم ذلك- أنى من أعظم الناس نهياً عن أن يُنسب مُعين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا عُلم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى ، وأنى أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ فى المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية " وهذا صريح على أن العذر بالجهل يكون فى الاعتقاد والعمل خلافاً للمعتزلة يزعمون أنه يعذر بالجهل فى المسائل العملية ولا يعذر فى الأمور الأعتقادية ، فكلام شيخ الإسلام يرد على بدعتهم .

* وقال أيضاً رحمه الله " ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول الله ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا احداً من الأحياء والأموات ولا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الأستغاثة ولا بغيرها ولا بلفظ الأستعاذة ولا بغيرها ،كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو

ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن ذلك كله وأنه من الشرك الذى حرمه الله ورسوله ، لكن لغلبة الجهل ، وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ " أ.هـ وهذا كلام واضح فى العذر بالجهل فى توحيد الألوهية .

* وقال أيضاً رحمه الله : فى الرد على البكرى :" ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين ينفون أن يكون الله تعالى فوق العرش : أنا لو وافقتكم كنت كافراً ، لأنى اعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندى لا تكفرون لأنكم جهال" وهذا كلام واضح بالعذر بالجهل فى توحيد الاسماء والصفات .

* وقال أيضاً رحمه الله في كتاب الإيمان :"وهؤلاء – يعنى من معهم إيمان مجمل- يثابون على إسلامهم وإقرارهم بالرسول ﷺ أجمالاً ؛ وقد لا يعرفون أنه جاء بكتاب وقد لا يعرفون أنه جاءه ملك ، ولا أنه أخبر بكذا ، وأذا لم يبلغه أن الرسول ﷺ أخبر بذلك لم يكن عليهم الأقرار المفصل به ، ولكن لابد من الإقرار بأنه رسول الله ﷺ وأنه صادق فى كل ما يُخبر به عن الله " .

قال شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب فى رسالة " منهاج أهل الحق والأعتدال " وإذا كنا لا نُكفر من عبد الصنم الذى على قبر البدوى من العوام لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نُكفر من لم يُكفِّر ولم يقاتل ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم " .

* **والمقصود بالجهل عند أهل العلم** : الجهل الناشئ عن عدم البلاغ لا عن الإعراض عن الحجة البينة كتاباً وسنة ، فإن من بُينت له الحجة التى يفهمها مثله من قبل أهل العلم ، وأزيلت شبهاته ، فأصر على شركه فهم ممن قال الله فيهم : { **لهم قلوب لا يفقهون بها** } وقال تعالى { **أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون** } .

فصل : مرتكب الكبيرة لا يكفر ولا يُحكم بخلوده فى النار

أولاً :- مذهب أهل السنة :-

أن المسلم الذى يرتكب الكبائر ويصر عليها – أى لا يتوب منها – لا يكفر بفعلها فى الدنيا ولا يخلد فى النار .

الفرق بين الإصرار والإستحلال :-

الإصرار :- هو أن ينوى أن يعود إلى فعل المعصية مرة أخرى ولا يتوب منها وهو معترف على نفسه بالذنب والتقصير ، لأن نفسه ضعيفه لا يستطيع أن يُثنيها عن شهواتها بل هى تغلبه حتى يقع فى المعصية فهذا لا يكفر بفعل المعصية ولا يخلد فى النار مادام لم يستحل المعصية.

الإستحلال :- ويقصد به أحد أمرين :-

١- الأمر الأول :- وهو المشهور أن يعتقد أن هذه المعصية حلال كأن يقول : إن الزنى حلال أو أنه حرية شخصية مثلاً ، فهذا الإستحلال تكذيب للشرع ومنافى لقول القلب ، وعرفنا ذلك منه بقول اللسان وهذه مناقضة لتصديق " أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله " وبالتالى عاد ذلك على أصل الإيمان بالنقض فى هذا التفصيل الجزئى الذى بلغته فيه حجته .

٢ – الأمر الثانى :- يقصد بالإستحلال : الإباء ، بمعنى أنه يقول : نعم ، أنا أعلم أن الشرع أمر بكذا ، وأوجب كذا ولكن لا يلزمنى هذا الأمر ولا ألتزم بشرع الله ويتكبر على شرع الله تعالى ، وهذا التكبر عملٌ فى القلب لم نعلمه إلا أن يصرح بلسانه كأن يقول كما قال إبليس { **لم أكن لأسجد** } فهذا الإباء و الإستكبار انتفاء لعمل القلب وانتفاء للإنقياد الباطن وانتفاء للذل والخضوع لله تعالى .

ومسألة التفريق بين المُصر والمُستحل وقع فيها خلل كبير جداً فى الحقيقة عند كثير من الناس ، وعند بعض الدعاة فى كثير من محاضراتهم وشرائطهم ، يخلطون بين الإستحلال والإصرار ، فيجعلون الإصرار على الذنب إستحلال حتى و لو كان معترف على نفسه بالخطأ ، فيكفرونه بذلك وهذا فكر الخوارج .

ثانياً :- مذهب الخوارج :-

يعتقدون أن المصر على المعصية أو الكبيرة كافر خارج من الملة ومخلد فى النار ، وهو أيضاً فكر التوقف والتبين ، الذين يقولون : إن من يعزم على ألا يفعل فعلاً واجباً أبداً فهو كافر ، مثل من يعزم ألا يصل رحماً يجب عليه وصلها ، فإن قيل له : الشرع يأمر بصلة الرحم فيقول : أنا أعلم وأنا مخطئ لكنى لا أستطيع ولن أذهب إليه حتى الموت يقولون :هذا كافر ، وأخترعوا كلمة " تارك جنس العمل واجب " وهذه بداية فكر التوقف والتبين يقولون : بأن تارك جنس العمل الواجب بمعنى أنه يعزم ألا يفعل حتى يموت فهو كافر من الأن ، وهذا الكلام موجود فى كتب

قديمة لأصحاب منهج التوقف والتبين وممن تأثر بالفكر القطبى منبع هذه البدعة المستحدثة وهى تكفير تارك جنس العمل دون أن يحصره فى التكفير بترك المبانى .

**** وقولهم تارك جنس العملُ يقصد به أمرين :-***

١- قد يُقصد به تارك العمل ككل – كل الأعمال – وهذا لا يصح أن يُعبر عنه بكلمة " العمل " مطلقة لأن تكفير تارك " المبانى الأربعة " وهو عازم ألا يفعلها هذا التكفير فيه خلاف سائغ بين أهل السنة ولا يصح التعبير بأن هذا " جنس العمل " لأن هذا الخلاف سائغ بين فريقين:

أ – الفريق الأول :- يقول بتكفير تارك أى مبنى من المبانى الأربعة ولو أدى هذا التارك كل المبانى الأخرى كان عنده كافراً ، فلا يصح أن يقال إن هذا تارك جنس العمل ، لأنه لم يترك كل الأعمال ومع ذلك كفر بترك واحد من المبانى الأربعة .

ب – الفريق الثانى :- الذى لا يكفر تارك الصلاة يقول : لو ترك كل الصلوات مادام لم يستحل ولم يأب فهو مازال عنده أصل الإسلام .

هذا إن كان مقصوده " تارك جنس العمل " أى ترك كل الأعمال بالكلية كافر، وأما إذا قال لو صلى مرة واحدة أو صام مرة واحدة فلا يكون تارك جنس العمل فلا نكفره ، فهذا قول محدث ثالث فلا أحد يقول بهذا القول من أهل العلم ، فالفريق الأول الذى يقول بكفر تارك الصلاة سواء كان يكفر بترك صلاة واحدة أو صلاتين أو ثلاث صلوات لم يقل أحد من هذا الفريق : إن من صلى صلاة واحدة فى حياته لن نكفره بعدها ، والفريق الثانى لا يقول بهذا القول .

٢- وقد يقصد بقولهم " تارك جنس العمل " هو أن يترك أى عمل واجب بالكلية ويعزم ألا يعود إليه أو يصر على المعصية حتى يموت ويعزم أن يظل بفعلها ، هذا هو تارك جنس العمل ويصبح عندهم كافراً ، وهذه البدعة الضلالة أصلها من فكر الخوارج .

أما مذهب المعتزلة : فى مرتكب الكبيرة أنه بين منزلة بين المنزلتين فاسق زال عنده أصل الإيمان ويتفقون مع الخوارج أنه فى الأخرة مخلد فى النار .

ثالثاً : مذهب المرجئة :-

يقولون : أن مرتكب الكبيرة فى الدنيا مؤمن كامل الايمان وفى الآخرة يدخل الجنة من أول وهله بناءاً على مذهبهم أن العمل لا يدخل فى مسمى الإيمان .

الأدلة على أن المصر على الكبيرة لا يكون كافراً :-

١ – قال تعالى { **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء** } فهذه الأية فيها رد على الخوارج والعتزلة القائلين بأن أصحاب الكبائر يخلدون فى النار ، لأنه جعل الذنوب قسمين : الشرك وما دونه ، فالشرك لا يغفر لمن مات عليه ولم يتب منه ، وما دون الشرك فهو فى المشيئة ومآل من كان فى المشيئة إلى المغفرة لقول النبى ﷺ فى حديث الشفاعة « **لم يبق إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود** » ومن كان فى المشيئة فالقرآن لم يحبسه فى النار.

فهذه الأية ليست فى التائبين ، لأن التائب من الشرك مغفور له بالإجماع وهل كان جل الصحابة قبل إسلامهم إلا مشركين ، ولا يجوز تأويل الأية على التائب كما يزعم ذلك المعتزلة قالوا { **ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء** } أى لمن تاب فإن لازم كلامهم الفاسد أن من أشرك مرة فى حياته لم يغفر له ، لأن ما دون الشرك هو الذى يغفر بالتوبة على زعمهم فالشرك إذا لا يغفر ، وهذا باطل ، والاية صريحة فى أن من مات مصراً على الكبائر أى بغير توبة لا يكفر ولا يخلد فى النار .

٢ – ومن الأدلة أيضاً : الرجل الذى كان يشرب الخمر على عهد النبى ﷺ كان يجلد كل مرة على الخمر ، وفى مرة قال بعض الصحابة : لعنة الله ما أكثر ما يؤتى به فقال النبى ﷺ « **لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله** » .

٣ – وكذلك الرجل الذى قتل مائة نفس لم يكن كافراً بل دُعى إلى التوبة .

٤ – وأيضاً حديث أبى ذر رضى الله عنه قال أتيت النبى ﷺ وعليه ثوبٌ أبيض وهو نائم ، ثم أتيتُهُ وقد أستيقظ فقال « **ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة** » قلت : وإن زنى وإن سرق ؟! قال ﷺ : « **وإن زنى وإن سرق** » قلت : وإن زنى وإن سرق ؟! ، قالﷺ : « **وإن زنى وإن سرق** » قلت : وإن زنى وإن سرق ؟! قال ﷺ : « **وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبى ذر** » . فهذا دليل على أن مرتكب الكبيرة وإن تكررت منه عدة مرات لا يكفر بذلك ، ولكن إيمانه ينقص بمعصيته وفسقه ، فالعاصى يسهل عليه أن يرتكب الكفر لأن إيمانه ناقص ،

ولكنه ما دام لم يقتحم الكفر بعد لا تُكفره ، ولكن ينقص إيمانه كما قال النبى ﷺ : « **لا يزنى الزانى حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن** » والنفى هنا نفى لكمال الإيمان الواجب وليس نفياً لأصل الايمان باتفاق أهل السنة .

سؤال : فإن قيل : من مات مصراً على المعاصى سواء أكانت صغيرة أم كبيرة ما يكون حكمة فى الأخرة ؟

الجواب / إن الصحيح فى ذلك هو الموازنة ؛ فتوزن حسناته وتوزن سيئاته كما دلت عليه الأيات والأحاديث الواردة فى الميزان كما قال تعالى { **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبةٍ من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**}. وحديث البطاقة قال رسول الله ﷺ « ..... **فتوضع السجلات فى كفه والبطاقة فى كفه فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيئاً** » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال :" يُحاسب الناس يوم القيامة ؛ فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله تعالى { **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون** } ثم قال : الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح ، قال : ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف **وتوضيح ذلك :**

أولاً :- من رجحت حسناته سيئاته بواحدة فضلاً عن أكثر من واحدة دخل الجنة لأول وهلة من غير أن يُعذب فى النار .

ثانياً : ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف كما دلت عليه سورة الأعراف ومآلهم إلى الجنة لأن ربنا تعالى أطمعهم فى الجنة فقال { **لم يدخلوها وهم يطمعون** } أما الكفار فهم لا يطمعون لأن الله قال { **اخسئوا فيها ولا تكلمون** } .

ثالثاً : وأما من رجحت سيئاته على حسناته فقد استحق دخول النار وهو من عصاة الموحدين ، وقولنا :" استحق دخول النار " وهو مقصد ابن مسعود رضى الله عنه من قوله : " دخل النار " ، لأن الأية فيها { **ويغفر مادون ذلك لمن يشآء** } فهى نص فى أنه فى المشيئة ، لذلك قلنا هو مستحق أن يدخل النار ولكن لا يلزم أن يدخلها ويمكن أن يغفر الله له ، لأن الله يغفر ما

دون الشرك لمن يشآء ، وكما فى أحاديث الشفاعة على الصراط قال النبى ﷺ « **وَدَعوَى الرسل يومئذٍ : اللهم سلم سلم** » فهذه الشفاعة على الصراط دليل على أن بعض هؤلاء الذين استحقوا أن يقعوا فى النار يَسلَمون بدعوة الرسل وشفاعتهم .

ويدل على ذلك أيضاً حديث الكبائر ، قال النبى ﷺ « ... **من أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فى الدنيا فهو له كفارة ، من أصاب من ذلك – أى الكبائر – شيئاً فستره الله فأَمرُهُ إلى الله ؛ إن شآء عاقبه وإن شآء عفا عنه** » فهذا فى غير التائب .

وكما قلنا إن منهم من يسلم ولا يدخل النار ، فكذلك منهم قطعاً من يدخل النار ، لثبوت حديث الشفاعة أيضاً فى خروج عصاة الموحدين من النار ، قال النبى ﷺ « **يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرةٍ من خير** » .

فصل : تارك النطق بالشهادتين مع القدرة كافر

نُشير إلى بعض المسائل المتفق عليها و المختلف فيها فى هذا الباب :-

أولاً :- لا يختلف أهل السنة فى أن تارك النطق بالشهادتين مع القدرة عليه كافر مخلد فى النار : فهاتان مسألتان :-

١ـ أنه فى الدنيا كافر : لأن النبى ﷺ قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله** ».

٢ـ أنه مخلد فى النار فى الأخرة : لأن النبى ﷺ قال : « **يخرج من النار من قال لا إله إلا الله** .... » الحديث فمن لم يقلها لن يخرج منها .

ولذلك اشترطنا " القدرة " لأنه لو كان غير قادر على قول الشهادتين أو كان غير قادر على أن يمتنع من النطق بالكفر لأجل الأكراه فهو معذور ، قال تعالى { **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم** } وإذا لم يكن قادراً على قولها لأنه أخرس مثلاً فهذا يُقبل منه إعتقاد القلب ، والإشارة " بلا إله إلا الله " مثلاً أو يكتبها بيديه إن كان يعر ف الكتابة ليثبت إسلامه فى أحكام الدنيا .

ثانياً : المخالف لأهل السنة فى هذه المسألة وهم " غلاة المرجئة " يقولون : أن تارك النطق بالشهادتين ليس بكافر ، لأن الإيمان عندهم هو المعرفة ويقولون : بأن من يعرف " لا إله إلا الله " وإن لم ينطق بالشهادتين فهو مؤمن ولا يلزم النطق ، وللأسف أن كثيراً ممن ينتسب إلى مذهب الأشعرى يرجحون هذا الكلام ، وهذا يلزم منه أن إبليس مؤمن وأن فرعون مؤمن وأن أبا جهل مؤمن ، وقد سبق تفصيل الكلام على هذه المسألة عند الكلام على فرق المرجئة .

فصل : الخلاف السائغ فى من ترك المبانى الأربعه متكاسلاً

*** هناك عدة مسائل :-**

أولاً : من ترك المبانى الأربعة :" الصلاة والصيام والزكاة والحج " جحوداً (١) ؛ مثل من يقول : أن الصلاة ليس بفرض فهذا كافر خارج عن الملة لأنه جحد شيئاً معلوم من الدين بالضرورة .

ثانياً : وأما من ترك المبانى الأربعة إباءاً مثل أن يقول : أن أعلم أن الصلاة فرض ولكن لا يلزمنى أن اصلى فهو كافر خارج عن الملة .

ثالثاً :وأما إذا ترك المبانى الأربعة متكاسلاً مع الإقرار بالوجوب والإعتراف بالخطأ على تركها ، فهذا الذى فيه خلاف سائغ (٢) **بين العلماء على أقوال وهى روايات عن أحمد :-**

١ – القول الأول :- أنه يكفر بترك واحدة من الأربعة حتى الحج وإن كان فى جواز تأخيره نزاع بين العلماء ، فمتى عزم تركه بالكلية كفر . وهذا قول طائفة من السلف وهى إحدى الروايات عن أحمد واختارها ابوبكر.

---

(١) أما أذا ترك غير المبانى الأربعة جحوداً وكان معلوم من الدين بالضرورة مثل لو ترك بر الوالدين جحوداً أو ترك صلة الرحم جحوداً فهذا كافر خارج عن الملة ، فالفرق بين هذه المبانى الأربعة وبين غيرها أن الخلاف هو فى كفر من ترك المبانى تكاسلاً فقط ، أما الجحود فمثلها مثل غيرها من الأعمال المعلومة من الدين بالضرورة فى أن جاهدها كافر .

(٢) هذا الخلاف السائغ فى المبانى الأربعة دون غيرها ، فليس هناك خلاف أنه لو هرب العبد من سيده أنه ليس بكافر مع ان النبى صلى الله عليه وسلم قال " **أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر** " أجماع أهل السنة أنه محمول على كفر دون كفر ، وكذلك المرأة التى لا تطع زوجها ليس هناك خلاف فى أنها غير كافرة مع أن النبى ﷺ سمى عدم طاعة الزوج كفراً عندما قال النبى صلى الله عليه وسلم " ... **تُكثرن اللعن وتكفرن العشير** " وليس هناك خلاف مع انه كفر دون كفر ، وكذلك من ترك بر الوالدين ، فمن كفر العبد الأبق من مولاه كفر ناقل عن الملة فهو مبتدع ضال ، ومن كفر المرأة التى تعصى زوجها فهو ضال مبتدع .

٢ - القول الثاني :- أنه لا يكفر بترك شئ من ذلك مع الإقرار بالوجوب وهذا المشهور عن كثير من الفقهاء من أصحاب أبى حنيفة ومالك والشافعى وهى إحدى الروايات عن أحمد اختارها ابن بطه وغيره وهو مذهب الجمهور.

٣ – القول الثالث : لا يكفر إلا بترك الصلاة ، وهى الرواية الثالثة عن أحمد ، وقول كثير من السلف ، وطائفة من أصحاب مالك والشافعى وطائفة من أصحاب أحمد .

٤ – القول الرابع : يُكفر بترك الصلاة و الزكاة فقط.

٥ – القول الخامس : يُكفر بترك الصلاة وترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ترك الصيام والحج " أ . هـــ . " مجموع الفتاوى "

الراجح :- مذهب الجمهور أن التارك لهذه الأركان الأربعة تكاسلاً ليس كافراً ناقلاً عن الملة ولكن كفر دون كفر للأدلة الأتية :-

١ . أحاديث خروج عصاة الموحدين من النار ، يقول الله تعالى « **شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبقى إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها** – أى من النار – **قوماً لم يعملوا خيراً قط** » أى لم يعملوا عمل الجوارح .

٢ . أما حديث النبى ﷺ عن الصلاة : « **إن العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر** » هذا الحديث فيه تفسيران :-

١- كفر كُفراً أكبر ٢- كفر كفراً أصغر

وكلاهما محتمل عند أهل السنة لا يخرج بترجيح أحدهما إلى الإبتداع ، لأنها من مسائل الإجتهاد ، فالإمام أحمد واسحق ابن راهويه وعبد الله ابن مبارك وغيرهم يكفرونه كفراً أكبر وهؤلاء مجتهدون مأجورون على كل حال ، وكذلك من لم يكفره كفراً ينقل عن الملة فهو أيضاً مجتهد ، فهذه المسألة مما يسوغ فيها الخلاف عند أهل السنة ، وإن كان جمهور الفقهاء على أنه كفر دون كفر وهذا هو الصحيح بدليل حديث الشفاعة « **فيُخرجُ قوماً لم يعملوا خيراً قط** » وعلى هذا يحمل الحديث « **من ترك الصلاة فقد كفر** » على أنه كفر دون كفر جمعاً بينه وبين حديث الشفاعة .

٣ . الدليل على ان تارك الزكاة باخلاً بها لا يكفر :-

قال النبى ﷺ « **ما من صاحب كنزٍ لا يؤدى زكاته إلا أحمى عليه فى نار جهنم ، فيجعل صفائح ، فيكوى بها جنباه وجبينه ، حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنةٍ ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار** » وهذا نص واضح فى أن الذى لا يؤدى الزكاة يُعذب خمسين ألف سنة ثم يمكن أن يدخل الجنة بعد ذلك .

٤ . الدليل على أن المفطر في رمضان ليس كافراً :- ان النبى ﷺ أمر من جامع فى نهار رمضان عمداً بالقضاء والكفارة ، وهذا دليل على أنه عامله معاملة المسلم .

٥ . وأما الأثر الوارد عن عمر رضى الله عنه الذى يستدل به بعض أهل العلم على ان تارك الحج كافر ، فهو أثر ضعيف لا يقوم به حجة وهو " لقد هممت أن أرسل إلى الأمصار فمن وجد سعة فلم يحج أن تضرب عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين " فهذا الكلام من عمر رضى الله عنه لو صح فهو اجتهاد منه ورجع عن هذا القول وانما أخبرهم بأنه همَّ ولم يفعل لينذرهم ، وبين أن هذا الأمر فيه تفكير عنده ، وهو أن هذا الذى لم يحج هل هو مسلم أم لا وليس إسلامه قطعياً .

فلذلك نقول : إن ترك هذه المبانى الأربعة على الراجح ليس كفراً ناقلاً عن الملة ولكن نسميه كفراً دون كفر .

مسألة :- فلو قاتل هذا التارك لهذه المبانى ، على ترك الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو منع الناس من الحج بأن قال مثلاً : نحن سنفطر فى رمضان ونحن مخطئون ولو حاربنا أحدٌ سنحاربه ، أو يمنعون أحداً من عقوبة تارك الصلاة ويقاتلون دفاعاً عنه ؛ فإن الإجماع منعقدٌ على وجوب قتالهم ، فأهل العلم يقولون : لو أن هناك طائفة قاتلت الإمام على منع الزكاة أو منع الصلاة فهؤلاء يقاتلون بالإجماع وهناك إجماع على قتالهم فى الزكاة والصلاة، بل – فى الحقيقة – على كل شعائر الإسلام الظاهرة المجمع على وجوبها لا الأربعة فقط .

وهذه المسألة – مسأله وجوب قتالهم – غير مسألة التكفير ، وإن كان هناك قول عن الحنابلة : أن مَن قاتل على منع الزكاة ، وقاتل على ترك الصلاة فهو كافر ، لكن الراجح عدم التكفير حتى لو قاتلوا ، فهم يقاتلون ولا يخرجون عن الملة .

فصل : هناك خلاف سائغ فى تكفير بعض طوائف أهل البدع

هناك خلاف سائغ أيضاً فى تكفير بعض طوائف أهل البدع مما ليس فيه إجماع عند أهل السنة بل هو من مسائل الإجتهاد عندهم ، كتكفير الخوارج ومتأخرى القدرية والمعتزلة والروافض ، فمن العلماء من يدخل هذه الفرق ضمن الثنتين والسبعين فرقة ، وبعضهم يُخرجها من هذه الثنتين والسبعين فرقة .

* وإنما قلنا " متأخرى القدرية " ولم نقل : كل القدرية ، لأن غلاة القدرية الذين يقولون إن الله لا يعلم الأمور حتى تقع ؛ هؤلاء كفار بلاتفاق .

* وكذلك قلنا " الرافضة " الذين يسبون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما هؤلاء فى تكفيرهم خلاف بين أهل السنة ومن العلماء من يكفرهم ، أما " غلاة الرافضة " الذين يقولون : علىٌّ هو الله أو الدروز الذين يقولون : الحاكم بأمر الله هو الله ، هؤلاء كفار خارجين عن الإثنين والسبعين فرقة بالإتفاق.

* وكذلك " الخوارج " بعض طوائف أهل الحديث يكفروهم أما علي رضى الله عنه لم يكفرهم بالعموم –وإن كان منهم مَن هم كفار فى الباطن .

والراجح فى هذه المسألة الأجتهادية :-

أن أقوال هذه الفرق – سواء الخوارج أو المعتزلة أو متأخرى القدرية أو الرافضة الأثنى عشرية – أقوال كفرية ، ولكن لا يكفر المعين منهم حتى تقام عليه الحجة ، فكفرهم كفر نوع وليس كفر عين ، وهذا مذهب الجمهور.

فصل : لا يكفر مسلم معين إلا بعد بلوغ الحجة

لا يكفر مسلم معين ثبت له حكم الإسلام إلا بعد بلوغ الحجة التى يكفر المخالف لها ، ونقل الأجماع على ذلك ابن حزم الظاهرى وأقره شيخ الإسلام ابن تيمية فى " منهاج السنة " سواء أكان الخلاف فى الأصول أم فى الفروع ، يعنى فى المسائل الأعتقادية أو المسائل العملية .

لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" أن التقسيم إلى أصول يُكفر فيها المخالف وإلى فروع لا يُكفر فيها المخالف هو مآخوذ من المعتزلة وأضرابهم وليس عن أئمة السنة "

<u>**التقسيم نوعان :-**</u>

١ . **تقسيم إصطلاحى** :- مثل تقسيم الدين إلى أصول وفروع ، ومثل تسمية علوم الدين : توحيداً ، وفقهاً وتفسيراً وسيرة ، فهذا الغرض منه تسهيل الفهم وطلب العلم ، فهذا التقسيم الإصطلاحى لا مشاحة فيه إذا لم يُبن عليه أحكام شرعية وأما أذا بُنيَ عليه أحكام فهذه بدعة من كلام المعتزلة كما بيَّن ذلك شيخ الإسلام .

٢ .**تقسيم شرعى** :- مثل تقسيم الرسول ﷺ : الشرك إلى شرك أكبر وشرك أصغر ، لأنه بنص حديث النبى ﷺ قال « **أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : « **الرياء** » .

كذلك تقسيم الكفر ، فقد قال النبى ﷺ للنساء : « **يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الإستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار** » فقالت امراة منهن جزلة : ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال « **تكثرن اللعن وتكفرن العشير** ». أى يكفرن الإحسان ، فهذا كفر دون كفر ،وهو تقسيم شرعى أتى به الشرع ، فهذا الذى يُبنى عليه الأحكام .

لذلك لا يجوز أن يقول قائل : إن علم التوحيد كله من الأمور الإعتقادية فمن خالف فى أى مسألة من مسائله صار كافراً ، وإن الفقه كله من الأمور العملية فمن خالف فى أى مسأله فيه لم يكن كافراً ، فهذا الكلام خطأ ، فمسألة وجوب صوم رمضان مسألة فقهية ومع ذلك فمن خالف فيها فهو كافر ، ومسألة التفضيل بين علي وعثمان رضى الله عنهما ، مسألة إعتقادية ومسألة كون الخضر نبياً أو ولياً مسألة إعتقادية ومع ذلك لا يكفر المخالف فيها إتفاقاً .

إذا : فالمسألة ليس مبناها على كونها مسألة إعتقادية أم عملية ، وإنما مبناها على نوع المسألة هل هى قطعية أم ظنية ؟ وهل هى مما انتشر العلم بها أم لا ؟ وهل الحجة فيها قد بلغت أم لم تبلغ ؟

فصل : بما يثبت حكم الإسلام فى الظاهر

يثبت حكم الإسلام على المعين فى الظاهر بأحد ثلاث أمور :-

أولاً:- بالنطق بالشهادتين :-

لحديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله فقد عصم منى نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله** » متفق عليه . وكما فى حديث أسامه بن زيد رضى الله عنه وهو فى أخر الاسلام :- النبى ﷺ قال « **يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله** » فهذا نصَ فى أن من يقول " لا إله إلا الله " لابد من الكف عنه ، وهذا أمرٌ مجمع عليه بين أهل السنة .

والإجماع نقله ابن رجب فى " جامع العلوم والحكم " فقال : " ومن المعلوم بالضرورة أن النبى ﷺ كان يقبل مِن كل مَن جاءه يريد الدخول فى الإسلام بالشهادتين فقط ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلماً ، فقد أنكر على أسامة بن زيد رضى الله عنة قتله لمن قال : " لا إله إلا الله " لما رفع عليه السيف ، واشتد نكيره عليه ؛ ولم يكن النبى ﷺ يشترط على مَن جاءه يريد الإسلام أن يلتزم الصلاة والزكاة " أ . هـ . فبمجرد نطقه بهما يصير بذلك مسلماً وإن كان يُلزم بعد ذلك بالصلاة والزكاة وسائر الواجبات .

ثانياً : يثبت حكم الإسلام بالولادة لأبوين مسلمين أو أحدهما :-

كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنة أن رسول الله ﷺ قال « **ما من مولودٍ إلا يُولد على الفطرة فأبواه يُهودانه أو ينصرانه أو يُمجسانه** » وقد بوب مجد الدين ابن تيمية فى (المنتقى) : باب تبع الطفل لأبويه فى الكفر ، ولمن أسلم منهما فى الإسلام وصحة إسلام المميز " ولا خلاف بين أهل العلم فى أن الأبوين إذا كانا مسلمين ؛ كان أولادهما مسلمين ، والجمهور على أن الولد يتبع المسلم منهما أيا كان الأب والأم وهو الصواب بلا شك ، وأما من وُلد لأبوين كافرين فهو كافر فى أحكام فى الدنيا والخلاف المشهور فى حكمهم فى الآخرة والأرجح : أنهم فى الجنة خدم لأهلها ، وقد يكون بعضهم من أهل الإمتحان والله أعلم ، ومثل الولادة : أن يُسِلم أحد أبوي الطفل وهو دون البلوغ أو يأسره المسلمون بعيداً عن أبويه ؛ فيصير مسلماً بذلك .

ثالثاً : يثبت حكم الإسلام بالصلاة على الصحيح من أقوال العلماء :-

وهذه المسألة مختلف فيها بين أهل العلم والراجح : أن الصلاة يثبت بها الحكم بالإسلام ظاهراً لحديث جرير ابن عبد الله رضى الله عنه قال: بعث رسول اللهﷺ سرية إلى خثعم ، فاعتصم ناس منهم بالسجود فأسرع فيهم القتل ، قال : فبلغ ذلك النبى ﷺ فأمر لهم بنصف العقل – يعنى نصف الدية – وقال : « **أنا برئ من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين** » قالوا : يا رسول الله : لِمَ ؟ قال « **لا تراءَى ناراهما** » .

مسألة هامة :

من توقف فى الحكم بالإسلام لمن نطق الشهادتين أو وُلِدَ مسلماً ولم يعلم عنه شرك ولا ردة ، فهو مبتدع لمخالفة إجماع السلف الصالح وإجماع المسلمين ، ومعنى التوقف- عند هؤلاء- هو أن يتوقف فى الحكم بالإسلام لشخصٍ نطق الشهادتين حتى يمتحنه ويتبين من مدلول الشهادتين فهذه بدعة ضلالة .

وأيضاً : الذى يُكفر الناطق بالشهادتين بسبب أن كثيراً من الناس اليوم – فى ظنه- يقولون : لا إله إلا الله ولا يعلمون معناها ويُكفرهم ، فهذه بدعة ضلالة ، لأن هذا خلاف إجماع السلف الصالح.

فصل : إستمرار العصمة لمن دخل الإسلام

أولاً : ثبوت أصل عصمة الدم والمال يكون بالنطق بالشهادتين : كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله** » وكما بيَّن ابن رجب الحنبلى .

ثانياً : إستمرار عصمة الدم والمال لمن دخل فى الاسلام ، متوقف على الإلتزام بالصلاة والزكاة وسائر أحكام الإسلام ، كما فى الراوية الأخرى من رواية ابن عمر رضى الله عنه « **حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابُهم على الله** » .

فأستمرار العصمة فى الدم والمال هو أن يبقى معصوم الدم والمال فلا يعتدى عليه أحد فى دمه ولا فى ماله أما كونه كافراً أو غير كافر فهذا موضوع سبق شرحه ، مثال على ذلك :-

* الكبائر – بخلاف ترك المبانى الأربعة – ليس هناك خلاف أن مرتكبها – بشرط أن يكون غير مستحل – ليس بكافر ، ومع ذلك فقد يرتكب المسلم كبيرةً تستوجب استباحة دمه فيصير غير معصوم الدم وهو مازال مسلماً ، فالزانى المحصن يجب رجمه ، فهو غير معصوم الدم ، فلو قتله شخص غير الإمام لا يُقتل به ولا يقتص من القاتل لأن القتيل غير معصوم الدم ، وإن كان القاتل يُعذر لأنه افتأت على الإمام .

* وكذلك مانع الزكاة بخلاً فهو مسلم على الراجح ، ولكن هو غير معصوم المال ، فتؤخذ منه قهراً ولو قاتل عليها فقُتل لكان دمه هدراً .

* وكذلك من سرق قدر النصاب – نصاب السرقة – يده غير معصومة ، والذى سرق دون النصاب أو سرق شيئاً من غير حرز فعليه غرامة ضعفاً ما أخذ ، فهذا القدر من ماله غير معصوم ويعاقب بجلدات نكال ، وكل هذا ضمن قول النبى ﷺ « **إلا بحقها** »

فصل : يجب الحذر من تكفير المسلمين

وفى الجملة يجب الحذر من تكفير المسلمين ، فمن عُلِمَ اسلامه بيقين لا نُكفره إلا بيقين جازم ، فمن عُلم إسلامه بيقين وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله أو الولادة لأحد المسلمين ، لا نخرجه من الملة إلا بيقين مماثل ، وذلك لقول النبى ﷺ : « **أيما امرئٍ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه** » أى رجع عليه إثم التكفير ، وإثم التكفير كبير جداً وقد قال النبى ﷺ « ...... **ولعن المؤمن كقتله ومن رمى مؤمناً بكفرٍ فهو كقتله** » فمن قال لأخيه المسلم : يا ملعون فكأنه قتله أى يأخذ إثماً وذنباً مثل إثم قتله ، مع أن قتله عظيم ، فما بالك بمن قتل الآلاف والملايين وهو جالس فى بيته ، بأن يُكفرهم أو يلعنهم لأنه يعتقد عقيدة الخوارج .

♣♣♣♣♣♣

الباب الثامن : العقيدة فى الصحابة والخلافة والإمامة وكرامات الأولياء

من المسائل الكبرى فى أمر الإعتقاد : مسألة الإعتقاد فى صحابة النبى ﷺ وأهل بيته الكرام رضوان الله عليهم وكذلك مسألة الخلافة والأمامة .

أولاً : الإيمان بالصحابة

حب الصحابة :-

هو ضمن الايمان بالله تعالى وبالرسول ﷺ وبالقرآن العظيم وباليوم الأخر.

أولاً : حب الصحابة جزء من الإيمان بالله :-

لأن النبى ﷺ قال « **أوثق عُرَى الإيمان الموالاة فى الله ، والمعاداة فى الله ، والحب فى الله والبغض فى الله** » فلا يكون هناك إيمان لمن يبغض من أحبهم الله ، ولا لمن يحب من يبغضهم الله.

ثانياً : حب الصحابة جزء من الإيمان بالقرآن :-

لأن الله تعالى بيَّن لنا فى كتابه فضل الصحابة رضى الله عنهم ومنزلتهم ، وبيَّن لنا وجوب مراعاة قرابة الرسول ﷺ ومعرفة حقهم ، فقد قال تعالى { **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جناتٍ تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** }

ثالثاً : حب الصحابة جزء من الإيمان بالرسول ﷺ :-

لأن النبى ﷺ حذر من سب صحابته ، وبيَّن فضائلهم وشهد لأعداد منهم بالجنة ، وبيَّن مَن منهم أفضل هذه الأمة ، وأثنى عليهم ، فمن كّذب ذلك فهو يُكذب ما جاء به النبى ﷺ فى هذا الجانب

رابعاً : حب الصحابة جزء من الايمان باليوم الأخر :-

لأن من الإيمان باليوم الأخر الشهادة لمن شهد له الرسول ﷺ بالجنة ، وثبت أنهم من أولياء الله تعالى بنص الكتاب والسنة فهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وذلك يستوجب معرفة منزلتهم فى الأخرة كذلك فمن أتهمهم بالكفر أو بالفسق أو أنهم فى النار فهو ضالٌ مُضِلٌ .

- **فضائل الصحابة :-**

١ . قال تعالى { **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جناتٍ تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** } أختلف أهل العلم فى من هم السابقون الأولون :-

القول الأول : هم الذين أسلموا قبل صلح الحديبية وهذا هو الصحيح ، لدلالة القرآن .

القول الثانى : من صلى إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ .

القول الثالث : من أسلم قبل فتح مكة .

٢ . قال تعالى { **لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى** } المراد بالفتح فى الأية صلح الحديبية وهذا هو الصحيح من أقوال العلماء .

٣ . قال تعالى { **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً** }

٤ . قال تعالى { **للفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوناً وينصرون الله ورسوله أولئك هو الصادقون والذين تبوءُوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جآءُو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوفً رحيم** } فهذه الأيات تدل على فضل الصحابة والثناء عليهم من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان وضمنت الأيات بالترضى عنهم وبشارتهم بالجنة ونحو ذلك من فضائلهم .

الشيعة يزعمون أن هذه الأيات – التى فيها فضائل الصحابة نزلت فيهم قبل ردتهم وهذا من أبطل الباطل ؛ لأن الله تعالى لا يُطلق هذا المدح على من يعلم سبحانه أنه يموت كافراً بل بيَّن سبحانه أن الصحابة يثبتون على الإيمان كما قال سبحانه { **أعد لهم جناتٍ تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً** } دل على ثباتهم وأنهم لا ينحرفون بعد وفاة النبى ﷺ ، وأيضاً أن الله امتدح الذين اتبعوهم بإحسان كما امتدح الذين جاؤوا من بعدهم قال تعالى { **والذين جآؤء من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بلإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين ءامنوا** } فقد

مدح سبحانه الذين يمتدحون الصحابة ويشهدون لهم بالإيمان ويشهدون لهم بالسبق ، دل على ثبات الصحابة على الإيمان ، فكيف نقول بعد ذلك إن هذه الإيات نزلت فيهم عندما كانوا مسلمين ، ولكنهم لما أرتدوا لم يكن لهم هذا الفضل ، نعوذ بالله من التناقض الفظيع.

٥ . ومن السنة مما يدل على فضل الصحابة قال النبى ﷺ : « **خيرُ الناس قرنى ثم الذين يلونـهم ثم الذين يلونـهم** » فهذا الحديث يدل على أن أفضل الناس بعد الأنبياء هم جيل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ثم التابعون لهم ثم تابعوا التابعين هم أفضل هذه الأمة فى الجملة .

مسألة : - فهل هذا يقتضي تفضيل كل واحد من الصحابة على كل واحد ممن أتى بعدهم أو كل واحد من التابعين على كل واحد ممن أتى بعدهم وكذا فى تابعى التابعين؟ أم هو تفضيل فى الجملة ؟ تفصيل ذلك :-

أولاً :- أما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم أفضل السابقين من هذه الأمة ولا يعدلهم أحد فى الفضل .

ثانياً :- أما بعد السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يكون الفضل بالمجموع ، بمعنى مجموع الصحابة أفضل من مجموع التابعين ، وكذلك مجموع التابعين أفضل من مجموع تابعى التابعين ومجموع تابعى التابعين على من يأتى بعدهم ، أما أن يكون التفضيل لكل واحد منهم فهذا لا يلزم من الأدلة والله أعلى وأعلم . لأنه كان فيمن صحب النبى ﷺ ، قد وقع فى خصال النفاق الأصغر كما قال النبى ﷺ « **أية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان** » وكذلك وُجد فيهم من إرتكب الكبائر ؛ فلا يصح تفضيل كل واحد من هؤلاء على أفاضل الأمة الذين أتوا بعد ذلك من التابعين وتابعى التابعين والله أعلم ، وهذا التفصيل هو الصحيح من أقوال أهل العلم .

٦ . قال النبى ﷺ « **لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفهُ** » بمعنى لو أنفق أحد الناس مثل جبل أُحد ذهباً فى سبيل الله ما بلغ إنفاق الصحابى ملء كفيه فى سبيل الله ؛ لأن الله تعالى أقام الإسلام بنفقات هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم فهذا يدل على فضل صحابة النبى ﷺ .

حكم سب الصحابة رضى الله عنهم :-

سب الصحابة كبيرة من أعظم الكبائر لأنه يسُبُّ من مدحهم الله ورسوله ﷺ وهذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم .

أختلف أهل العلم فى تكفير من سب أبا بكر وعمر خصوصاً :-

القول الأول : ذهب طائفة من علماء السنة إلى تكفير من سب أبا بكر وعمر بأى نوع من السب .

القول الثانى : ذهب الجمهور على تعزير من سب الصحابة وعدم تكفيره ، ودليلهم فى ذلك أن علياً رضى الله عنه لم يُكفر الخوارج الذين سبوه ورموه بالكفر بل وقاتلوه وهذا فى حق على رضى الله تعالى عنه ، ومثله فى حق أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لأن ثبوت الشهادة لعلى رضى الله عنه بالفضل وبالجنة وبالخلافه مثل ثبوتها لأبى بكر وعمر فى ذلك .

لذلك من اشد الفرق عداوة لأهل السنة وخطراً على المسلمين هم الشيعة الرافضة الذين يسبون أصحاب النبى ﷺ ويكفرونهم .

بداية ظهور فرق الشيعة :-

كان اليهود من وراء هذه الفرق فى الأصل ، حيث ظهر عبد الله ابن سبأ اليهودى الذى انتسب للإسلام نفاقاً وقام بالتحريض على قتل عثمان رضى الله عنه ، وهو الذى ابتدع بدعة الغلو فى أهل البيت حتى زعم – وصدقه على زعمه ذلك طائفة – أن علياً هو الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وحاول فى ذلك ما حاولة اليهود فى دين المسيح ، حيث دخل ذلك اليهودى " بولس" إلى دين المسيح زاعماً انتسابه إلى النصرانية ثم ابتدع البدعة الفظيعة الكفرية وهى تأليه المسيح ، وحاول هذا اليهودى عبد الله ابن سبأ ذلك فى علىٍ رضى الله عنه ، وتبعته طائفة وهم السبئية وهى أول فئة شيعية غالية ظهرت فى التاريخ فى عهد علىٍ رضى الله عنه ، حيث طلب علىٍ رضى الله عنه القبض على هذا اليهودى عبد الله ابن سبأ لما سمع هذه المقالة الفظيعة ، فهرب عبد الله ابن سبأ ، وأدرك علىٌّ أصحابه ودعاهم إلى الإسلام وحذرهم من هذا الكفر حين اعتقدوا فيه الإلهية ، ثم لما أصروا تولى قتلهم بنفسه رضى الله عنه وحرقهم بالنار ، وكان ذلك مما أُخذ عليه ولكنه برر فعله بأنه وجد أمراً فظيعاً ما كان يتصوره ونسى نهى النبى ﷺ من التعذيب بالنار ، بسبب هذا الأمر الفظيع وأستحسن فى النهاية قول ابن عباس رضى الله عنهما " لو كنت أنا لم أُحرقهم لأن

النبى ﷺ قال « **لا تعذبوا بعذاب الله** » ولقتلتهم كما قال النبى ﷺ « **من بدل دينه فاقتلوه** » والعجب من ذلك أن هؤلاء القوم ظلوا على إعتقادهم الكفرىِ رغم حرقهم بل قالوا : " تيقنا أنك أنت الله ؛ لأنه لا يعذب بالنار إلا رب النار ، وأنت تعذب بالنار " . ولا تزال هذه الطوائف مؤثرة تأثيراً فظيعاً فى المسلمين ، ولم تزل هذه الطوائف عبر التاريخ من أخطر الفرق الموالية لأعداء الله .

فخلاصة الكلام فى الموقف من الشيعة أنهم طوائف ثلاث :-

الطائفة الأولى : غلاة الرافضة :-

الذين يعتقدون الألوهية فى الأئمة أو النبوة أو تحريف القرآن ، فهؤلاء كفار نوعاً وعيناً ، مثل النصيرية العلوية يعتقدون بأن على رضى الله عنه إله ، والدروز يعتقدون أن الحاكم بأمر الله إله ، والباطنية يعتقدون الألوهية فى إمامهم ، وكذلك من إعتقد فى أى أحدٍ النبوة كإعتقاد غلاة الرافضة من البهائية حيث إعتقدوا نبوة البهاء أو إعتقاد تحريف القرآن أو خطأ الوحى ، فهؤلاء كفار نوعاً وعيناً بلا خلاف عند أهل السنة .

الطائفة الثانية : وهم الشيعة الأثنى عشرية :-

الذين يسبون الصحابة وربما كفروهم ويعتقدون أن الإمامة منصوص عليها لعلى رضى الله عنه ثم بقية الأثنى عشر إماماً بزعمهم، وهؤلاء عقائدهم منها ما هو كفر ، ولكن لا يكفر المعين قبل أقامة الحجة .

الطائفة الثالثة :-" الشيعة المفضلة" :-

وهم الزيدية الذين يفضلون علياً على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ؛ وهؤلاء لا يكفرون بلا خلاف عند أهل السنة فى هذه المسألة .

الواجب على كل مسلم اتجاه الصحابة :-

الواجب على كل مسلم هو حب الصحابة رضى الله عنهم وتوليهم ومعرفة فضلهم ، خصوصاً أفضلهم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضى الله عنهم جميعاً وهذا الترتيب لابد من معرفته ، فقد نص علىٍ رضى الله عنه على ترتيب أبى بكر ثم عمر رضى الله عنهم ، حيث قال لابنه محمد ابن الحنفية لما سأله : « **أىُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : ابو بكر** ، قال له : ثم مَن ؟ **قال : عمر** ، قال محمد ابن الحنفية : وخشيت أن يقول عثمان ، قلت : ثم أنت ، **قال : ما أنا**

إلا رجلٌ من المسلمين » . وثبت عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « **كنا فى زمن النبى ﷺ لا نعدل بأبى بكر أحداً ، ثم عمر ،ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبى ﷺ لا نفاضل بينهم** » ولا نزاع أن الأفضل بعد ذلك هو علىٍ بن أبى طالب فبإجماع أهل الإسلام لأن على رضى الله عنه عندما كان فى الخلافة كان أفضل أهل الأرض بلا نزاع .

<u>أفضل الصحابة :</u>

" **أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علىٍ** " رضى الله عنهم جميعاً ، أتفق أهل العلم أن أبا بكر أفضل من عمر ، وهناك خلاف قديم بين أهل السنة فى تفضيل علىٍ على عثمان رضى الله عنهما أو عثمان على على رضى الله عنهما ولكن إنقرض هذا الخلاف وأصبح الإتفاق على تقديم عثمان فى الفضل ولكن لا يبدع المخالف .

" **ثم باقى العشرة المبشرين بالجنة** " :- وهم طلحة ، والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح .

" **والستة أهل الشورى** " الذين كان عمر رضى الله عنه قد اختارهم وجعل الخلافة فيهم يختارون منهم واحداً " وهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف " هؤلاء أفضل الصحابة بعد النبى ﷺ وهم الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضى .

" **وأهل بدر** " الذين قال فيهم النبى ﷺ « **لعل الله أن يكون قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غُفرت لكم » .**

" **وأهل بيعة الرضوان** " الذين بايعوا تحت الشجرة فى الحديبية قال تعالى { **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** } وقال النبى ﷺ « **لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة** »

" **ومن أنفق من قبل الفتح وقاتل** " أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا قال تعالى { **لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير** } فمن أسلم وأنفق وقاتل قبل الحديبية أفضل

ممن أسلم وأنفق وقاتل بعد الحديبية " وكلا وعد الله الحسنى وهى الجنة ، وهذا دليل على الشهادة للجميع بالجنة .

وكذلك أزواج النبى ﷺ

وأهل السنة يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويعتقدون أنهن أزواجة فى الجنة ، قال تعالى فى حقهن { **يا أيها النبىُّ قل لأزواجك إن كنتن تُردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الأخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً** } وكلهن اخترن الله ورسوله ﷺ والدار الأخرة ، وما طلق النبى ﷺ واحدة منهن عندما نزلت الأية ، فهن أزواجة ﷺ فى الجنة .

وأفضلهن خديجة رضى الله عنها :

أم أكثر أولاده ﷺ ، وهى أول من آمن به وعاضده على أمره ، وكان جبريل عليه السلام يقرئها السلام من ربها ، وأمر النبى ﷺ أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب – وهو اللؤلؤ المجوف – لا صخب فيه ولا نصب كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى جبريل النبى ﷺ فقال : « **يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناءٌ فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها – عز وجل – ومنىَّ ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصبٍ لا صخب فيه ولا نصب** » .

ثم عائشة رضى الله عنها :-

لقول ﷺ : « **وفضل عائشـــــة على النساء كفضلِ الثَّريد على سائر الطعام** » ونزل الوحى على النبى ﷺ وهو فى لحاف عائشة ، كما قال النبى ﷺ لأم سلمة « **لا تُؤذينى فى عائشة ، فإنه لم ينزل علىَّ الوحى وأنا فى لحاف امرأةٍ منكن إلا فى لحاف عائشة** » وتوفيِ النبى ﷺ وهو بين سحرها ونحرها رضى الله عنها وكانت آخر من اجتمع ريقها بريقة ﷺ قبل رحيله ، وتوفى فى بيتها ودُفن فى حجرتها ، كما قالت عائشة رضى الله عنها « **تُوفى النبى ﷺ فى بيتى وفى نوبتى ، وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه** ... » الحديث ، وكان ﷺ يحبها رضى الله عنها أكثر من غيرها ، كما فى حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : بعثنى رسول الله ﷺ على

جيش ذات السلاسل ، فأتيتُهُ فقلت : أيُّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال « **عائشة** » فقلت : من الرجال ؟ فقال « **أبوها** » قلت : ثم من ؟ قال : « **ثم عمر ابن الخطاب** » فعد رجالاً ، رضى الله عنهم وعن سائر أزواجة .

وكذلك حب آل البيت فرضٍ وواجب

قال تعالى { **قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة فى القُربى** } وهى على أقوالٍ منها : أنهم قربى النبى ﷺ وقال النبى ﷺ : « **أذكركُم الله فى أهل بيتى** » ، وقال أيضاً ﷺ « **وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبى وسببى وصهريٍ** » ، وقال النبى ﷺ « **وإنى تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعِترتى ، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتىِ أهل بيتى** » وهذا الحديث يدل على أن أهل بيته ﷺ لا يجتمعون على ضلالة .

*** أهل السنة وسط بين الرافضة والنواصب :-**

أهل السنة :- يجمعون بين حب الصحابة وحب أهل البيت ولا يجعلون تناقضاً بين حب الصحابة وحب أهل البيت كما يفعل الرافضة ولا يسبون أهل البيت كما فعل النواصب ، بل يحبون الجميع ويرون فضل الجميع رضى الله عنهم جميعاً .

الروافض :- يُغالون فى آل بيت النبى ﷺ خصوصاً علىِ وفاطمة وذريتهم ، ويبغضون اصحاب رسول الله ﷺ ويسبونهم ويخصون أبا بكر وعمر رضى الله عنهم بمزيد من السب .

النواصب :- الذين نصبوا العداوة على آل بيت النبى ﷺ وكفروا علياً رضى الله عنه وكان ذلك بسبب الخلاف الذى نشأ فى واقعة الجمل وصفين وقد انقرض هؤلاء النواصب بحمد الله وكان فعلهم من المنكرات العظيمة التى أبطلها الله وكان أول من أبطلها عمر ابن عبد العزيز رحمه الله .

فصل

ويجب الإمساك عما شجر بين الصحابة بعد قتل عثمان رضى الله عنه من خلاف وقتال لأنه زيدَ فيه أو نقص منه وغُيرِّ عن وجهه ، وكثير مما يروى كذب وزور عليهم .

وأكثر أهل السنة على أن المجتهد المصيب علي رضى الله عنه ، والمخطئ من خالفه ، وهو مجتهد مرفوع عنه الإثم معذور فى خطئه ، لقول النبى ﷺ عن عمار بن ياسر « **ويح عمارٍ**

تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » ولقوله ﷺ عن الخوارج : « **يقتُلُها أولى الطائفتين بالحق** » وقد قاتلهم علي رضى الله عنه .

فصل

ولا عصمة لأحدٍ بعد النبى ﷺ لا الصحابة ولا إمام ، ولا ولي ، بل الجميع يجوز عليهم الكبائر والصغائر ، لكن للصحابة رضى الله عنهم مزية على من بعدهم ؛ للسبق للإسلام والصحبة والجهاد فى سبيل الله تعالى .

ثانياً : الخلافة والإمامة

والخلفاء بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، وكنا قبل ذلك ذكرنا ترتيبهم فى الفضل ، وهنا نذكره فى اعتقاد الخلافة لهم .

- فإن قيل : لماذا أصبحت الخلافة مسألة إعتقادية ،أليس هذا أمراً سياسياً ؟

الجواب : بل هو أمر إعتقادى ؛ لأن إجماع الصحابة حجة ، والصحابة أجمعوا على تقديم أبى بكر ، وأشار النبى ﷺ إلى خلافته ، كما فى الحديث عن محمد بن جبير بن مُطعم عن أبيه قال : أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه – أى فى العام القادم - ، قالت : أرأيت إن جئتُ ولم أجدك ؟ كأنها تقول الموت قال ﷺ : « **إن لم تجدينى فأتى أبا بكر** » وقال ﷺ لعائشة – رضى الله عنها – وهو فى مرضه « **ادعِي لى أبا بكر أباكِ وأخاكِ حتى اكتب كتاباً** ، **فأنى أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** » وقال ﷺ : « **سدوا عنى كل خوخةٍ فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر** » فهذا الذى قدمه الصحابة بإجماعهم ، فكيف نطعن بعد ذلك فى خلافته وكيف نقول إن خلافته باطلةٌ ، بل أن خلافة أبى بكر رضى الله عنه وقعت بالطريقة الشرعية الصحيحة وبالبيعة الثابتة من أهل الحل والعقد ، والإجماع انعقد منهم وفيهم علي بن أبى طالب رضى الله عنه .

وبعد أبى بكر فى الخلافة هو عمر ابن الخطاب لأن أبا بكر عهد إلى عمر بالخلافة وبايعه المسلمون أيضاً ثم عمر رضى الله عنه نص على أن الخلافة بعده تكون فى ستة وأمر بإختيار واحد منهم فوصلت الخلافة إلى عثمان بالشورى كما هو معلوم وبعد عثمان علي رضى الله عنه

وقعت خلافته بالشورى ايضا ، فمن طعن فى خلافة واحد منهم فهو ضال لإجماع الصحابة على ذلك وإجماعهم حجة ملزمة ومن طعن فى خلافة واحد منهم فهو أضل من حمار أهله كما قال شيخ الأسلام ابن تيمية .

أما من قدم علياً على أبى بكر أو عمر فى الفضل أو فى الخلافة فهو مبتدع ضال ، وهذا إعتقاد الشيعة الإمامية فى الخلافة يقولون : أول الخلفاء بعد الرسول ﷺ علي رضى الله عنه ويقولون : إن خلافة أبى بكر وعمر وعثمان خلافة باطلة وهم أضل الفرق ويزيدون على ذلك سب أبى بكر وعمر .

فصل

وإقامة الخلافة التى بها تجتمع كلمة مسلمين فرض و واجب على المسلمين وعودتها على منهاج النبوة مما بشر به النبى ﷺ، لذلك وجب على المسلمين السعى لإقامة الخلافة بالوسائل المشروعة المستطاعة .

ثالثاً : كرامات الأولياء [1]

وأولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون فى كل زمان ومكان من أهل السنة قال تعالى { **إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ءامنوا وكانوا يتقون** } وأولياء الله لا يجوز الغلو فيهم ولا صرف العبادة لهم ، ولهم من الكرامات والفضائل فى الدنيا والأخرة ما يوجب حبهم وتوليهم .

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين ، وصل اللهم على محمد وعلى إله وصحبه وسلم ، وبارك عليهم أجمعين .

(١) **قال شيخ الأسلام ابن تيمية فى العقيدة الواسطية** :- ومن أصول أهل السنة : التصديق بكرامات الأولياء وما يُجرى الله على أيديهم من خوارق العادات فى أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم فى سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهى موجودة فيها إلى يوم القيامةِ .

والناس فى كرامات الأولياء طرفان ووسط :-

الطرف الأول : من يغلو فى إثبات الكرامة من اصحاب الطرق الصوفية والقبور بين الذين يدجلون على الناس ويأتون بخوارق شيطانية كدخول النار وضرب أنفسهم بالسلاح وغير ذلك مما يدعونه لأصحاب القبور من التصرفات التى يسمونها كرامات ، وهى فى الحقيقة خوارق شيطانية .

الطرف الثانى : من يُنكر كرامات الأولياء من المبتدعة كالمعتزلة وبعض الأشاعرة .

الوسط: وهم أهل السنة أثبتوا كرامات الأولياء ولم يغلو فيهم

الفهرس